



جامعة الكوفة – كلية الآداب

قسم اللغة العربية

ألفاظ السمع في القرآن الكريم

- دراسة لغوية-

رسالة قدمها الى

مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة

شكيب غازي بصري الحلفي

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ.د. علي كاظم أسد

اذار – ٢٠٠٨م

صفر- ١٤٢٩هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة قد جرى بإشرافي ، بمراحلها كافة وأرشحها  
للمناقشة .

الإمضاء :

الاسم : أ.د. علي كاظم أسد

التاريخ : / /

بناءً على ترشيح المشرف العلمي وتقرير الخبير العلمي أرشح الرسالة  
للمناقشة .

الإمضاء:

الاسم : أ.م.د. خليل عبد السادة إبراهيم

التاريخ : / /

## إقرار لجنة المناقشة

استناداً الى محضر مجلس الكلية في جلسته .....المنعقدة بتاريخ.....  
بشأن تشكيل لجنة لمناقشة الرسالة الموسومة بـ ( ألفاظ السمع في القرآن الكريم –  
دراسة لغوية- ) للطالب ( شكيب غازي بصري الحلي ) نقرّ نحن رئيس لجنة المناقشة  
واعضاءها بأننا اطلعنا على الرسالة وناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها  
بتاريخ.....فوجدناها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية  
وأدائها وبتقدير ( امتياز ) .

الإمضاء :

الإمضاء :

الاسم :

الاسم :

التاريخ : / /

التاريخ : / /

الإمضاء :

الإمضاء :

الاسم :

الاسم :

التاريخ : / /

التاريخ : / /

صادق مجلس كلية الآداب-جامعة الكوفة بإقرار لجنة المناقشة

الإمضاء :

الأستاذ الدكتور عبد علي حسن الخفاف

عميد الكلية

التاريخ :

## شكر و عرفان

مع الأصيل وقبل غروب الشمس آخذ نورا ... ومن الغيث قبل أن تجف السماء أجمع  
قطرا ... ومن حديقة الإخلاص قبل حلول الخريف أقطف غصنا ، فأرويه بماء الشكر  
فيصبح الغصن شجرة ، فتحمل أزهارا ملونة بألوان الطيف ...  
فواحدة بيضاء لأستاذي الدكتور علي كاظم أسد إذ لمست عنده أمنا وسلاما .  
وأخرى حمراء لأسرتي الكريمة إذ وجدت فيهم كفا هادئا ملؤه حنانا ورأفة .  
وثالثة صفراء لأسر مكنتبات كلية الآداب والتربية في جامعة الكوفة ومكتبة أمير  
المؤمنين العامة ومكتبة الإمام الحكيم العامة ومكتبة الروضة الحيدرية العامة والمكتبة  
الأدبية المختصة في النجف الأشرف إذ أفاضوا على البحث كرما كثيرا من اعتدال  
المزاج وسعة الصدر ورقة الطبع .

الباحث

## الإهداء

كَانَتْ الشَّمْسُ حَارِقَةً فَانْحَنَيْتَا يَقْيَانِي لَهَيْبِهَا حَتَّى احْدُودَبَ

ظَهْرَاهُمَا

ثُمَّ أَخَذَا بِيَدِي يُغْدِيَانِي شَهْدَ عَطْفِهِمَا

وَيُضِيئَانِ بِنُورِ دِفْنِهِمَا طَرِيقَ الْحَيَاةِ

حَتَّى كَبُرْتُ .. وَكَبُرُوا .. فَصَغُرْتُ أَمَامَهُمَا

فَأَنْ لِي أَنْ أَظْلَهُمَا بِأُورَاقِ سَوَدَّتْهَا عُصَارَةُ أَفْكَارِي

أُمِّي .. أَبِي

فَأَقْبِلَا إِهْدَائِي

## المحتويات

٥-١	..... المقدمة
٣١-٦	..... التمهيد
٦٣-٣٢	الفصل الأول : المستوى الصوتي لألفاظ السَّمع في القرآن الكريم.....
٣٤-٣٣	..... مدخل
٤٥-٣٥	المبحث الأول : دلالة البنية الصوتية لألفاظ السَّمع في القرآن الكريم.....
٣٧-٣٥	..... أولا- دلالة الانسجام الصوتي
٤٠-٣٧	..... ثانيا- دلالة الشدة والغلظة
٤٣-٤٠	..... ثالثا- دلالة التفخيم والمبالغة
٤٥-٤٣	..... رابعا- دلالة الترقب والخشية في امتناع السَّمع
٦٢-٤٦	المبحث الثاني : دلالة التغيرات الصوتية لألفاظ السَّمع في القرآن الكريم .....
٤٦	..... مدخل
٥٣-٤٧	..... أولا - دلالة الإدغام
٥٨-٥٤	..... ثانيا - دلالة الإبدال
٥٩-٥٨	..... ثالثا - دلالة الإمالة
٦٢-٥٩	..... رابعا - دلالة المد
١٠٧-٦٣	الفصل الثاني : المستوى الصرفي لألفاظ السَّمع في القرآن الكريم.....
٦٣	..... مدخل
٨٨-٦٥	..... المبحث الأول : الصيغ الإسمية
٦٦-٦٥	..... أولا- الاسم

٦٩-٦٦	..... ثانيا - المصدر
٧٢-٧٠	..... ثالثا - الجموع
٨٨-٧٢	..... رابعا - المشتقات
١٠٧-٨٩	..... المبحث الثاني : الصيغ الفعلية
٩٧-٨٩	..... المحور الأول : الأبنية المزيدة
١٠٧-٩٧	..... المحور الثاني : أزمنة أفعال السَّمع
٩٨-٩٧	..... أولا : أزمنة أفعال السَّمع من خلال الصيغة
١٠٧-٩٨	..... ثانيا : أزمنة أفعال أَلْفَاظ السَّمع سياقيا
١٠٧-١٠٥	..... المحور الثالث: التعجب في أفعال السمع
١٥٩-١٠٨	..... الفصل الثالث: بناء دلالة السَّمع في تركيب الجملة القرآنية (( دراسة في الأساليب))

١٠٩	..... مدخل
١٣٣-١٠٩	..... المبحث الأول : بناء دلالة السَّمع في الأسلوب الخبري
١٤١-١٣٣	..... المبحث الثاني بناء دلالة السَّمع في الأسلوب الإنشائي
١٥٢-١٤٢	..... المبحث الثالث بناء دلالة السَّمع في الأسلوب الشرطي
١٥٩-١٥٣	..... المبحث الرابع دلالة التعدي في أفعال السَّمع
١٩٢-١٦٠	..... الفصل الرابع : المستوى الدلالي لألفاظ السمع في القرآن الكريم

١٦١	..... مدخل
١٧٤-١٦١	..... المبحث الأول : دلالة السياق لألفاظ السمع
١٦٨-١٦١	..... أولا : التناسب بين السياق وفاصلة السمع القرآنية
١٧٤-١٦٨	..... ثانيا : أثر السياق في دلالة التقديم والتأخير
١٨١-١٧٥	..... المبحث الثاني : دلالة اقتران السمع بالألفاظ ذات الصلة
١٨٥-١٨١	..... المبحث الثالث : تغاير التركيب وأثره في المعنى الواحد
١٩١-١٨٦	..... المبحث الرابع : دلالة الإطلاق والعموم



١٩٥-١٩٢	.....الخاتمة
٢٠٥-١٩٦	.....الملاحق
٢٢٢-٢٠٦	.....المصادر والمراجع
1-2-3-4-	.....ملخص باللغة الإنكليزية

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين  
أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .  
أما بعد ...

فبعدُ النص القرآني نصا مفارقا للنصوص السماوية التي سبقته فضلا  
عن النص البشري نفسه سواء من جهة نسق أبنيته (( الشكل )) أم مضامينه (   
المعنى ) ، أما الشكل فقد انتظمت نصوصه على وفق إيقاعات التأليف التي  
تكتنز مظاهر العلو والسمو المفضيين إلى الجمال المحسّ ، في حين تخطت  
مضامينه الموضوعات الآنية (( الحالية )) إلى آفاق حدود المستقبل فأخبر عما

---

(<sup>1</sup>) من المائدة : ٥٤ .

(<sup>2</sup>) من هود : ٨٨ .

(3) ظ : العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح : د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، مطابع الرسالة ، الكويت ، ط : ٣ (١٩٨٠) والصاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري ، تح : عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين ، ط : ٣ (١٩٨٤) : سَمِعَ ، اللسان : أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت - ط : ٤ (١٩٥٥) : سَمِعَ ، تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن محمد الأزهرى ، تح : عبد السلام هارون وآخرون ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنباء والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٤-١٩٦٤ : سَمِعَ .

(4) ظ : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : سَمِعَ .

(5) البقرة من الآية: ٧ .

(6) ظ : الصحاح : سَمِعَ .

(7) ظ : اللسان : سَمِعَ .

(8) ق من الآية: ٣٧ .

(9) ظ : معاني القرآن : أبو زكريا يحيى الفراء ، تح : د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ومراجعة : الأستاذ علي النجدي ناصف ، دار الكتب المصرية ، (١٩٥٥) : ٨٠/٣ .

(10) ظ : اللسان : سَمِعَ .

(11) الصحاح : سَمِعَ .

(12) ديوان : طرفة بن العبد : دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت للطباعة والنشر ، بيروت : ١٩ .

(13) ديوان الشنفرى : ٢١٧ .

(14) اللسان : سَمِعَ .

(15) تهذيب اللغة : سَمِعَ .

(16) ظ : العين : سَمِعَ .

(17) أساس البلاغة : أبو القاسم جار الله محمود عمر بن أحمد الزمخشري ، تح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط : ١ ، (١٤١٩-١٩٩٨) : سَمِعَ .

(18) اللسان : سمع .

(19) جواهر الألفاظ : لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ٣ ، (١٤١٩-١٩٩٨) ، : ٣٤٩ .

(20) أساس البلاغة : سَمِعَ .

(21) البيت من شواهد (( اللسان )) ولم أعثر على قائله .

(22) ظ : مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، عارضه بأصوله وعلق عليه : د. محمد فؤاد سكرين ، الخانجي - دار الفكر ، ط : ٢ ، (١٩٧٠) ١١٥/٣ .

(23) ظ : مفاهيم القرآن : جعفر السبحاني ، مطبعة الإمام الصادق - قم ، ط : ٣ ( ٢٠٠٠ ) : ١٦٠/٢ .

(24) لم أعثر على البيت في ديوان ذي الرمة .

- (25) اشتقاق أسماء الله : أبو القاسم عبد الرحمن إسحاق الزجاج تح : عبد الحسين مبارك ، النعمان ، ط : ١ (د.ت) : ١٢٥ .
- (26) م.ن : ١٢٤ .
- (27) اللسان : سَمِعَ .
- (28) أقرب الموارد إلى فصيح العربية والشوارد : العلامة السيد الحوري الشرتوتي اللبناني ، (د.ت) : (سَمِعَ) .
- (29) الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس ، تح : مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، (١٩٦٤) : ٢٥٧ .
- (30) المائدة من الآية: ٤٢ .
- (31) ط : تهذيب اللغة : سَمِعَ ، ومجاز القرآن :: ٢٨٢/١ .
- (32) ط : تهذيب اللغة : سَمِعَ .
- (33) المائدة من الآية: ٤٢ .
- (34) اشتقاق أسماء الله : ١٢٥ .
- (35) م.ن : ١٢٦ ، والبيت مضطرب الوزن .
- (36) نهاية المرام في علم الكلام : العلامة الحلي ، تح : فاضل العرفان ، اعتماد - قم ، ط : ١ (١٠٥٠هـ) : ٥٦٠/١ .
- (37) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون : عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ، تح : محمود الحيدر آبادي ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات - بيروت ، (١٩٧٥) : ١٨٢/٢ .
- (38) الطب محراب الإيمان : خالص جلبي ، رسالة دكتوراه ، جامعة دمشق - كلية الطب ، مخروبة على الآلة الكاتبة ، (١٩٧١) : ١٢٩ .
- (39) يوسف من الآية: ٩٦ .
- (40) المحصل : أبو عبد الله بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي ، أمير - قم ، ط : ١ (١٩٩٩) : ١٣٧ .
- (41) التعبير القرآني : د. فاضل السامرائي ، المكتبة الوطنية - بغداد ، (١٩٨٨) : ٥٣ .
- (42) مريم من الآية: ٤٢ .
- (43) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : تأليف العلامة الفقيه المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط : ١ (٢٠٠٢) : ٣٢٧/٩ .
- (44) التعبير القرآني : ٥٣ .
- (45) شبكة المعلومات العالمية (( انترنت )) ، من سمات الأداء البياني في ثقافة العرب الأولين (( الإيقاع )) : د. بلقاسم بلعرج بن أحمد .
- (46) الكهف من الآية: ١١ .
- (47) فصلت من الآية: ٢٦ .

- (48) جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير ، د. أحمد ياسوف ، دار المكتبي ، سوريا - دمشق ، ط : ١ (د.ت) : ٧٥-٧٦ .
- (49) ظ : الطب محراب الإيمان : ١٩٧ .
- (50) بلغ مجموع تكرار مفردة (( سمع )) وجميع ما يندرج ضمن حقلها الدلالي إحدى وأربعين ومائتي مرة ، ظ : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث - القاهرة ، ط : ٢ : (١٩٨٨) : سمع ، صمم، وقر، نصت، حس، جس، صخ، وجس، ان.
- (51) الصورة السمعية في الشعر الجاهلي : د. صاحب خليل إبراهيم ، دار السلام - بغداد ، ط : ١ (٢٠٠٥) : ٧١ .
- (52) مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن محمد بن خلدون ، تح : د. علي عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربي - القاهرة ، ط : ٣ (١٩٦٥) : ٥٤٦/١ .
- (53) ظ : جماليات المفردة القرآنية : ٧٨ .
- (54) دلالة الألفاظ : د. إبراهيم أنيس ، الإنجلو المصرية - القاهرة ، (١٩٩٩) : ١٩٣ .
- (55) الطب محراب الإيمان : ١٩٧ .
- (56) دفاع عن البلاغة : أحمد حسن الزيات ، الرسالة - القاهرة ، ط : ٣ (١٩٤٥) : ١١٠ .
- (57) جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ط : ١ ، (١٩٨٠) : ٢١ .
- (58) جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : ١٥ .
- (59) ظ : بلاغة أرسطو بين العرب واليونان : د. إبراهيم سلامة ، مطبعة مخيمر ، ط : ٢ (١٩٥٢) : ٩ .
- (60) سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، شرح وتحقيق : عبد المتعال الصعيدي ، محمد علي صبيح ، ط : ١ (١٩٦٩) : ٦٨ .
- (61) م.ن : ٥٦-٦٠ .
- (62) دلالة الألفاظ : ١٩٥ .
- (63) العصر الجاهلي : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، (د.ت) : ١٢٤ .
- (64) ظ : الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس ، الإنجلو المصرية - القاهرة ، ط : ٢ (١٩٩٥) : ١٥ .
- (65) ظ : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي : د. هادي نهر ، دار الأمل للنشر والتوزيع - الأردن : ط : ١ (٢٠٠٧) : ٥٣٦ .
- (66) م.ن : ٥٣٦ .
- (67) ظ : م.ن : ٥٣٦ .
- (68) ظ : المعجم المفهرس : سمع .
- (69) ظ : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣٠٩/٨ .

(70) المجادلة من الآية: ١ ، والثاني في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ

أَغْنِيَاءُ ﴾ ، آل عمران : ١٨١ .

(71) يوسف من الآية: ٣١ .

(72) ظ : إعراب القرآن : محمد جعفر إبراهيم الكرياسي ، منشورات دار ومكتبة الهلال - بيروت ، ط : ١ ،

(٢٠٠١) : ٤٠٤/٥ .

(73) النور من الآية : ١٢ ، أما الموضع الثاني فجاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا

أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾ ، النور من الآية : ١٦ .

(74) الايات: (( البقرة : ٩٣ ، ٢٨٥ ، آل عمران : ١٩٣ ، النساء : ٤٦ ، ٤٦ ، المائدة : ٧ ، الأنفال : ٢١ ،

٣١ ، الأنبياء : ٦٠ ، المؤمنون : ٢٤ ، النور : ٥١ ، القصص : ٣٦ ، السجدة : ١٢ ، ص : ٧ ، الأحقاق :

٣٠ ، الجن : ١ ، ١٣ )) .

(75) السجدة من الآية: ١٢ .

(76) البقرة من الآية: ١٨١ .

(77) الايات: (( المائدة : ٨٣ ، الفرقان : ١٢ ، القصص : ٥٥ ، فاطر : ١٤ ، الملك : ٧ ، القلم : ٥١ )) .

(78) المائدة من الآية: ٨٣ ، وهذه إشارة علمية دقيقة في أن الدمع يخرج من العين كلها ولذلك نجد دقة الإشارة

القرآنية واستعماله الفعل ( فاض ) .

(79) ظ : مجمع البيان في تفسير القرآن : أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسين الطبرسي ، تح : لجنة من

العلماء الاختصاصيين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، (١٩٩٥) : ٤٩٤/١ .

(80) من الملك : ٧ .

(81) ظ : مجمع البيان : ٧٢٢/١٠ .

(82) من طه : ٤٦ .

(83) ظ : (( مريم : ٩٨ ، طه : ١٠٨ ، المنافقون : ٤ ، الغاشية : ١١ )) .

(84) من مريم : ٩٨ .

(85) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ،

دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ٢ (٢٠٠٥) : مج : ٨ ، ٤٥٩/٢٦ .

(86) ظ : روح المعاني : مج ٨ ، ٤٥٩/٢٦ .

(87) عمران من الآية : ١٨٦ .

(88) فصلت من الآية: ٢٦ .

(89) الزخرف من الآية: ٤٠ أما الثاني فجاء في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا

كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٨٩) .

(90) الايات: (( البقرة : ١٧١ ، التوبة : ٦ ، مريم : ٤٢ ، الأنبياء : ٤٥ ، الجاثية : ٨ ، المجادلة : ١ )) .

(91) الجاثية من الآية: ٨ .

(92) لقمان من الآية: ٧ ، أما الموضع الثاني قوله تعالى : ﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُثَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا

كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ الجاثية : ٨ .

(93) الاياتⓈ ((البقرة:٧٥، الانعام:٣٦، الاعراف:١٩٥، ١٧٩، ١٠٠، الانفال:٢١، يونس:٦٧، النحل:٦٥، مريم:٦٢، الأنبياء:١٠٢، الحج:٤٦، الروم:٢٣، السجدة:٢٦، فصلت:٤، ق:٤٢، الواقعة:٢٥، النبأ:٣٥، الشعراء:٧٢، الفرقان:٤٢)).

(94) الأنعام من الآية: ٣٦ .

(95) الأنفال من الآية: ٢٣ ، أما الموضع الثاني في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ الأنفال من الآية: ٢٣ .

(96) الايات: (( البقرة : ٩٣ ، ١٠٤ ، المائدة : ١٠٨ ، التغابن : ١٦ )) .

(97) المائدة من الآية: ١٠٨ .

(98) الايات: (( يونس : ٤٢ ، النمل : ٨٠ ، ٨٠ ، ٨١ ، الروم : ٥٢ ، ٥٣ ، الزخرف : ٤٠ )) .

(99) الروم من الآية : ٥٣ .

(100) الصافات من الآية : ٧ .

(101) ظ : سيأتي تحليل هذه البنية في المستوى الصوتي من المبحث الثاني من الفصل الأول .

(102) الايات: (( الجن : ١ ، الأنبياء : ٢ ، الشعراء : ٢٥ ، محمد : ١٦ ، الجن : ٩ ، يونس : ٤٢ ، الإسراء : ٤٧ ، ٤٧ ، الأنعام : ٢٥ ، الزمر : ١٨ ، الأحقاف : ٢٩ ، الطور : ٣٨ ، طه : ١٣ ، ق : ٤١ ، الأعراف : ٢٠٤ ، الحج : ٧٣ )) .

(103) الجن من الآية: ١ .

(104) الاياتⓈ ((يونس:١٣، هود:٢٠، الحجر:١٨، النحل:٧٨، الاسراء:٣٦، المؤمنون:٧٨، الشعراء:٢٢٣، ٢١٢، السجدة:٩، ق:٣٧، الملك:٢٣، الجن:٩، الكهف:١٠١، الاحقاف:٢٦، الانعام:٤٦، فصلت:٢٢، الجاثية:٢٣، البقرة:٢٠، النحل:١٠٨، فصلت:٢٠، الاحقاف:٢٦))

(105) الكهف من الآية: ١٠١ .

(106) ظ : المعجم المفهرس : ٤٥٥ .

(107) الشورى من الآية: ١١ .

(108) الإنسان من الآية: ٢ .

(109) المائدة من الآية: ٤١ وظⓈ ((المائدة:٤٢، ٤١، التوبة:٤٧))

(110) ظ : المعجم المفهرس : ٤٥٥ .

(111) فاطر من الآية: ٢٢ .

(112) ظ : اللسان : صَمَمَ .

(113) ظ : أساس البلاغة : صَمَمَ .

(114) محمد من الآية: ٢٣ .

- (115) ظ : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تح : محمد علي النجار ، دار التحرير للطباعة والنشر - القاهرة ، (د.ت) : ٤٣٩/٣ .
- (116) البقرة من الآية: ١٨ .
- (117) بصائر ذوي التمييز : ٤٣٩/٣ .
- (118) المراد باللفظ ذات الصلة التقارب الوظيفي بينهما كمفردة البكم والعمي .
- (119) الايات: (( الروم : ٥٢ ، النمل : ٨٠ ، الأنبياء : ٤٥ ، يونس : ٤٢ ، الأنعام : ٣٩ )) .
- (120) الايات: (( المائدة : ٧١ ، ٧١ ، محمد : ٢٣ ، الزخرف : ٤٠ ، الفرقان : ٧٣ ، هود : ٢٠ ، البقرة : ١٨ ، ( ١٧١ ،
- (121) الايات: (( المائدة : ٧١ ، ٧١ ، الإسراء : ٩٧ ، هود : ٢٤ )) .
- (122) الأنفال من الآية : ٢٢ .
- (123) الايات: (( البقرة : ١٧ ، ١٧١ ، الإسراء : ٩٧ )) .
- (124) الايات: (( البقرة : ١٧ ، ١٧١ )) .
- (125) ظ : الإسراء من الآية: ٩٧ .
- (126) الإسراء من الآية : ٩٧ .
- (127) مجمع البحرين : مجمع البحرين: للعلامة المحدث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي، منشورات دار و مكتبة الهلال (١٩٨٥):صمم .
- (128) الايات: (( المائدة : ٧١ ، ٧١ ، محمد : ٢٣ ، البقرة : ١٨ ، الأنعام : ٣٩ ، الأنفال : ٢٢ ، الزخرف : ٤٠ ، الإسراء : ٩٧ ، الفرقان : ٧٢ ، هود : ٢٤ ، الروم : ٥٢ ، النمل : ٨٠ ، الأنبياء : ٤٥ ، يونس : ٤٢ )) .
- (129) المائدة من الآية: ٧١ .
- (130) محمد من الآية: ٢٣ .
- (131) الايات: (( البقرة : ١٨ ، ١٧١ ، الأنعام : ٣٩ ، يونس : ٤٢ ، الأنبياء : ٤٥ ، النمل : ٨٠ ، الروم : ٥٢ ، الزخرف : ٤٠ ، الأنفال : ٢٢ )) .
- (132) الأنعام من الآية: ٣٩ .
- (133) الإسراء من الآية: ٩٧ ، أما الموضع الثاني قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ من الفرقان : ٧٣ .
- (134) هود من الآية: ٢٣ .
- (135) ظ : اللسان : نصت .
- (136) ظ : بصائر ذوي التمييز : ٦٢/٥ .

(137) ديوان الراعي النميري : دراسة وتحقيق د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي ، المجمع العلمي العراقي

، (١٩٨٠) : ٧٨ ، وفي الديوان : ..... فأسكت عني بعده كل قاتل

(138) ظ : بصائر ذوي التمييز : ٦٢/٥ .

(139) ديوان الطرماح : تح : د. عزة حسن ، مديرية إحياء التراث القديم - دمشق ، (١٩٦٨) : ٤٨٥ ، القناقن

(بضم القاف ) : البصير بالماء وما تحت الأرض واستخرجه ، ظ : اللسان : قنن .

(140) التفسير الكبير : مج ١١ ، ٤٧/٢٢ .

(141) من الأحقاف من الآية: ٢٩ أما الموضع الثاني قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا

﴾ الأعراف من الآية : ٢٠٤ .

(142) الصحاح : صغى .

(143) المفردات في غريب القرآن : العلامة الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ، الناشر : نور

محمد أرمارغ ، فيروز آبادي - كراچي ، ط : ١ ، (١٩٨٧) : صغا .

(144) التحريم من الآية: ٤ .

(145) الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، علق عليه ووضع حواشيه : محمد

باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ٣ (٢٠٠٥) : ١٠٣ .

(146) ظ : اللسان : صغا .

(147) ظ : م.ن : صغا .

(148) الآية هي : ﴿ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ : من التحريم : ٤ .

(149) الأنعام من الآية: ١١٣ .

(150) اللسان : أذن .

(151) ظ : تهذيب اللغة : أذن والصحاح أذن واللسان : أذن .

(152) اللسان : إذن .

(153) ظ : تهذيب اللغة أذن ، واللسان : أذن .

(154) ظ : المفردات : أذن .

(155) التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط : ١ (١٩٦٤) :

١١٢/١٧ .

(156) ظ : مجمع البيان : ٤٧/٣ .

(157) الايات: (( الاشتقاق ٢ ، ٥ ، البقرة : ٢٧٩ ، الحج : ٢٧ ، الأعراف : ١٦٧ ، إبراهيم : ٧ ، فصلت :

٤٧ ، الأنبياء : ١٠٩ ، المائدة : ٤٥ ، ٤٥ ، التوبة : ٦١ ، ٦١ ، الحاقة : ١٢ ، لقمان : ٧ ، النساء : ١١٩ ،

الأعراف : ١٧٩ ، ١٩٥ ، الحج : ٤٦ ، فصلت : ٥ ، البقرة : ١٩ ، الأنعام : ٢٥ ، الإسراء : ٤٦ ، التكهف

: ١١ ، ٥٧ ، فصلت : ٤٤ ، نوح : ٧ )) .



(158) الانشقاق من الآية: ٢ .

(159) البقرة من الآية: ١٧٩ .

(160) حاشية محي الدين الشيخ زاده : محمد بن مصلح الدين الشيخ مصطفى التوجي الحنفي على تفسير القاضي البيضاوي ، ضبطه : محمد عبد القادر شاهين ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط : ١ (١٩٩٧) : ٦٧٤/٢ .

(161) البيت من شواهد حاشية محي الدين شيخ زاده ، ولم أعر على قائله .

(162) الأعراف من الآية: ٤٤ ، أما الثاني فجاء في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَذِنَ مَوْلَانُ أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ يوسف من الآية: ٧٠ .

(163) الحج من الآية: ٢٧ .

(164) الأعراف من الآية: ١٦٧ ، والثاني في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم من الآية: ٧ .

(165) فصلت من الآية: ٤٧ .

(166) الأنبياء من الآية: ١٠٩ .

(167) الايات: (( المائدة : ٤٥ ، ٤٥ ، التوبة : ٦١ ، ٦١ ، الحاقة : ١٢ )) .

(168) المائدة من الآية: ٤٥ .

(169) التوبة من الآية: ٦١ .

(170) القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، دار الفكر - بيروت ، (١٩٨٧) : أدن .

(171) الحاقة من الآية: ١٢ .

(172) الايات: (( النساء : ١١٩ ، الأعراف : ١٧٩ ، ١٩٥ ، الحج : ٤٦ ، فصلت : ٥ ، البقرة : ١٩ ، الإسراء : ٤٦ ، الكهف : ١١ ، ٥٧ ، فصلت : ٤٤ ، نوح : ٧ )) .

(173) فصلت من الآية : ٥ .

(174) ظ : المفردات و قر و الألفاظ الكتابية : عبد الرحمن بن عيسى الهمداني الكاتب ، راجعه وقدّم له : د. السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : ٢ (١٩٩١) : وقر .

(175) ظ : بصائر ذوي التمييز : ١٤٩/٢ .

(176) ديوان زهير بن أبي سلمى : صفه أحمد الشنتمري ، تح : د. فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية بحلب ، ط : ١ (١٩٧٠) : ٢٧٠ ، وفي الديوان (( وقرعت في العظم )) .

(177) اللب اللباب في غريب اللغة والحديث والكتاب : تأليف العلامة حجة الإسلام الشيخ محمد رضا الغراوي ، تح : السيد أحمد الحسيني ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ، ط : ١ (١٩٦٨) : ١٢٥/١-١٢٦ .

(178) الايات: (( فصلت : ٥ ، الأنعام : ٢٥ ، الإسراء : ٤٦ ، الكهف : ٥٧ )) .

(179) فصلت من الآية: ٤٤ .

(180) الايات: (( فصلت : ٥ ، ٤٤ ، الأنعام : ٢٥ ، الإسراء : ٤٦ ، الكهف : ٥٧ ، لقمان : ٧ )) .  
(181) فصلت من الآية: ٤٤ ، اما الموضوع الثاني فجاء في قوله تعالى ((وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا إليه وفي  
آذننا وقررونا بيننا وبينك الحجاب)) من فصلت: ٥.

(182) الايات: (( الأنعام : ٢٥ ، الإسراء : ٤٦ ، الكهف : ٥٧ ، لقمان : ٧ )) .  
(183) الإسراء من الآية: ٤٧ .  
(184) ظ : المفردات : حسّ .  
(185) تاج العروس : حسّ ، واللسان : حسّ .  
(186) الزاهر في معاني كلمات الناس : أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، قرأه وعلق عليه  
: د. يحيى مراد ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط: ١ (١٠٠٤) : ٢٧٥ .

(187) يوسف من الآية: ٨٧ .  
(188) اللسان : حسّ .  
(189) آل عمران من الآية: ٥٢ .  
(190) ظ : معاني القرآن : الفراء : ٢٠٧/٢ ، اللسان : حسّ .  
(191) مريم من الآية: ٩٨ .  
(192) ظ : تاج العروس : حسّ ، واللسان : حسّ .  
(193) اللسان : حسّ .  
(194) آل عمران من الآية: ١٥٢ .  
(195) تاج العروس : حسّ .  
(196) من الأنبياء من الآية: ١٠٢ .  
(197) تاج العروس : حسّ .  
(198) العين : جسّ ، ظ: اللسان : جسّ ، والمفردات : جسّ .  
(199) بصائر ذوي التمييز : ٣٨٢/٢ .  
(200) م.ن : ٣٨٢/٢ ، والمفردات : جسّ .  
(201) الحجرات من الآية: ١٢ .  
(202) الزاهر في معاني كلمات الناس : ٢٧٥-٢٧٦ .  
(203) م.ن : ٢٧٥-٢٧٦ .  
(204) بصائر ذوي التمييز : ٣٨٢/٢ ، والمفردات : جسّ .  
(205) ظ : اللسان : وجسّ .  
(206) ظ : ديوان ذي الرمة ، جمعه ووقف على طبعه : بشير يموت ، المطبعة الوطنية - بيروت ، (١٩٣٤) :

سيقع وما سيكون فحوى بذلك ميزة الإبداع في تأسيس القول، وتفرّد بقداسة العلم المستقبلي فأضحى أساس كل بنية جمالية ، وبات مفصل كل تحرك حضاري يمدُّ الاثنين بما شاء من قيم السلوك أو عموميات المنهج أو طرائق الإبداع ، فما من طارق إلا وأصاب قدرا من المعرفة منه ونصييا من التأثير به ، ولم تقتصر تلك التجارب على القدامى دون المحدثين أو الزمن الحاضر دون الماضي فكل هذا وذاك ينهل منه وينعم بفضله ، فقد ألحّ النصّ القرآني بأكثر من موضع للكشف عن تمظهرات جماله ، وإيقاعات سحره ، وعمق دعواه كشفاً تمتزج به روح التحرر بحذق الرأي، واستقامة التصور بنشدان الحقيقة ، فإذا كان الخطاب القرآني بهذه الشمولية من استيعاب التجارب كلها فلا شكّ أن محاولة الاقتراب من فهم مضامينه تعدُّ أشرف المحاولات ، وأكثرها قدسية لأنها تلامس القصد الذي من أجله أنشئ النص، وتعدُّ الدراسة اللغوية واحدة من تلك الحقول المعرفية التي أدلت بدلوها لفك مقاصد التركيب القرآني بل

---

(207) ظ : تهذيب اللغة : وجس ، والمفردات : وجس .

(208) ديوان الهذليين ، المكتبة العربية ، نسخة مصورة عن دار الكتب ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ، ( ١٩٦٥ ) ، القسم الثالث : ١ ، وفي الديوان :

حتى أشبَّ لها رام بمحدلة      ذو مرة بدوار الصيد هماس

(209) ظ : اللسان وجس .

(210) وعجزه (( شئز القيام يقضب الأغصانا )) ظ : ديوان القطامي ، مخطوط ، ورقة : ( ٣ ) .

(211) الايات : (( هود : ٧٠ ، طه : ٦٧ ، الذاريات : ٢٨ )) .

(212) طه من الآية: ٦٧ .

(213) بصائر ذوي التمييز : ١٦٥/٥ .

(214) اللسان : صحَّ والألفاظ الكتابية : صحَّ .

(215) عبس : ٣٣ .

(216) اللسان : صحَّ .

(217) عبس : ٣٣ .

(218) الأنعام من الآية : ٧٣ .

(219) اللسان : صحَّ .

وأعقدها ممارسة – بحسب ما اعتقد – لأنها تتعامل مع المكوّن الأساس الذي يتألف به بناء النص وتتألف منه سماته التعبيرية ، ولأنها تقف على تشكلات من الأبنية النصية المتشابهة من جانب والمفترقة عن بعضها من جانب آخر ، الأمر الذي يستلزم أعمالاً دقيقة بغية الابتعاد عن الانزلاق في خطأ التقدير أو سذاجة الحكم ، لذا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ (( ألفاظ السمع في القرآن الكريم – دراسة لغوية – )) لتسهم في الاقتراب من تدبر مقاصد القرآن ، وفهم تراكيبه وقد أخذت على عاتقها دراسة مستوى اللفظ الواحد أو الألفاظ التي تنتمي لمجال دلالي موّحد .

إن دراسة اللفظ الواحد الذي يتقلب بتصاريف وأبنية واشتقاقات متغايرة من الصعوبة ما لا يخفى لأن منهج الدراسة فيه يقوم على أساس تتبع المجالات السياقية التي يوظف فيها ذلك اللفظ مما يعني أنه يكون خاضعاً لتأثيرات الأبنية السياقية بالمستويات كلها .

وإذا كان لا بدّ لكل بحث أن يؤسس على جملة من الفرضيات؛ فالبحث هنا قد أسس على خمس فرضيات هي :

أولاً : كيف تعامل الخطاب القرآني مع هذه الحاسة بوصفها أداة معرفية بوساطتها يزودّ العقل بمعطياته الأولية ؟ .

ثانياً : ما مقدار المساحة التي منحها النص القرآني لهذه الحاسة بين الحواس الأخرى ؟ .

ثالثاً : ما حجم تحركات حاسة السمع في مبدأ الاعتقاد عندما يصف النص القرآني الذين لا يؤمنون بأنهم صمّ بكمّ عمي ؟ .

رابعاً : ما مقصد العلاقة الرابطة بين حاسة السمع والحواس الأخرى التي غالباً ما تساق على مسار بياني – معرفي موّحد ؟ .

خامساً : كيف نفهم الصلة التي يتكلم عنها الخطاب القرآني بين حاسة السمع والفؤاد والقلب والعقل ؟ وما دور هذه الأدوات المعرفية كلّها في بناء

معرفة الإنسان ؟ .

وساحاول الإجابة عن تلك الفرضيات خلال البحث الذي قسّم على أربعة فصول سبقتها مقدمة وتمهيد وتلتها خاتمة أو جرت فيها المعطيات التي أفرزتها الفصول ، أما التمهيد فقد قسّم على ثلاث فقرات تناولت في الأولى منها مدلول (( السمع في اللغة )) واستقلت الثانية بإيجاز مكثف عن (( أهمية حاسة السمع )) فيما جاءت الثالثة لتعيين (( المجال الدلالي لألفاظ السمع في الاستعمال القرآني )) ولم يتجاوز البحث هنا حدود الوصف لتلك الألفاظ من حيث صور ورودها في بنية النص وعديد تواردتها تاركا اتجاهاتها الدلالية لفصول البحث ، أما الفصل الأول فتناولت فيه (( المستوى الصوتي لألفاظ السمع )) حاولت فيه استنباط الأفاق الدلالية من طبيعة الأصوات تارة وطبيعة السياق الذي تنتظم فيه تارة ثانية والهيئة التي تتشكل بها تلك المفردات مع جاراتها تارة ثالثة فعنون المبحث الأول بـ (( دلالة البنية الصوتية لألفاظ السمع )) كـ (( دلالة الانسجام والخفة النطقية ودلالة الشدة والغظة ودلالة التفخيم والمبالغة ودلالة الترقب والخشية في امتناع السمع )) فيما تناولت في المبحث الثاني (( المتغيرات الصوتية لألفاظ السمع )) فعرضت فيه صور تلك المتغيرات كالإدغام والإبدال والإمالة والمد والآثار الدلالية التي تمخضت عنها فحققت بذلك مفصلين دلاليين الأول : (( صوتي )) يتعلق بتوفير الجهد العضلي والخفة النطقية والآخر : (( دلالي )) يختص بتكوين أفق دلالي يقصده النص ، وعنون الفصل الثاني بـ (( المستوى الصرفي لألفاظ السمع )) مقسما على مبحثين : تناولت في المبحث الأول : (( الصيغ الإسمية )) لتلك المفردات والعناصر الدلالية التي أفرزها ذلك القصد من الاختيار ، في حين اختصّ المبحث الثاني بـ (( الصيغ الفعلية )) لتلك البنى وقد اشتمل على محورين أما المحور الأول : فقد عالجت فيه الصيغ الفعلية المزيدة فقط طلبا للإيجاز ، أما المحور الآخر : فتناولت فيه أزمنة أفعال السمع بفقرتين هما (( أزمنة أفعال السمع من خلال الصيغة وأزمنة أفعال السمع من خلال السياق )) ، أما الفصل

الثالث فتناولت فيه (( بناء دلالة السمع في تركيب الجملة القرآنية – دراسة في الأساليب )) وتضمن أربعة مباحث ، جاء المبحث الأول لدراسة (( بناء دلالة السمع في الأسلوب الخبري )) وقد حاولت مراقبة تقلبات مفردة (( السمع )) في بناء جملتها مشيراً إلى المنجزات الدلالية التي راقبت ذلك التحول ، في حين خصّص المبحث الثاني بدراسة (( بناء دلالة السمع في الأسلوب الإنشائي )) استوعبت فيه التأليفات الأسلوبية التي تتدرج ضمن هذا النمط معللاً فيه ظاهرة القصد في اختيار المفردة والبناء على حد سواء في تركيب الجملة القرآنية ، أما المبحث الثالث فجاء استكمالاً لخطة الفصل في استيعاب الأساليب فعنون بـ (( بناء دلالة السمع في الأسلوب الشرطي )) راقبت فيه صور تكوينه مبرزاً القصد الذي لأجله قصدت به أداة شرطية دون أخرى مركزاً على ظاهرة تعاضد أكثر من أسلوب شرطي في آية واحدة ، وكانت (( دلالة التعدي للفعل )) (( سمع )) من وظيفة المبحث الرابع إذ لاحظت البحث أن الفعل (( سمع )) في الخطاب القرآني قد أسس ارتباطات دلالية داخل بناء الآية المضمن فيها ، إذ عدي بنفسه تارة ، وبالوساطة تارة أخرى ، ولمفعول واحد أو مفعولين تارة ثالثة ، فحاولت فك مقاصد ذلك الارتباط الاستعمالي ، ، أما الفصل الرابع فجاء بعنوان (( المستوى الدلالي لألفاظ السمع )) وقد قسم على أربعة مباحث ، فعرضت في الأول (( دلالة السياق لألفاظ السمع )) وقد توزّع على فقرتين ، أما الأولى (( التناسب بين السياق وفاصلة السمع القرآنية )) حاولت إيجاد المسوّغ الذي فرض اختيار فاصلة محدّدة فوجدت أن السياق هو الموجه لذلك التناسب في الاختيار ، وأما الأخرى فهي (( أثر السياق في دلالة التقديم والتأخير )) فرجعت تلك الظاهرة لسلطة السياق الذي نسق تكوينها ولاسيما فيما يخص ثنائية (( السمع والبصر )) إذ تفرّد البحث باتجاه خاص بعد ملاحظته أن أقوال العلماء مجردة من المسوّغ فلم أقل بأفضلية أحدهما على الأخرى البتة ، وجاء المبحث الثاني ليسلط الضوء على ظاهرة ( دلالة اقتران السمع بالألفاظ ذات الصلة )) كاقتران السمع بالبصر أو السمع بالفؤاد أو السمع بالعقل

بوصفها منافذ معرفية تتحد باتجاه الهدف الواحد وتتنوع بالوظيفة وقد علل البحث ذلك الاقتران باتجاه معرفي حرص عليه التعبير القرآني، وعرضت في المبحث الثالث ظاهرة (( تغير التركيب وأثره في المعنى الواحد )) (تلاقي التعبير واختلاف التركيب (( )) بدراسة مقارنة بين ما تناظر من آيات السمع برغم اتحادهما بمعنييهما العام وكان السياق - أيضا - هو المحرك لتلك الظاهرة الأسلوبية ، في حين درس المبحث الرابع ((دلالة الاطلاق و العموم))سواء ما تحقق بالمفردة او بالتركيب او بالاثنين معا.

إن المصادر التي اعتمدها البحث كانت متنوعة وكثيرة ابتداء من كتب التفسير وتأويله ، وشرح غريبه ، وإعرابه ، مرورا، وما عنيت به من إيضاحات لغوية أو ممارسات دلالية صوتية كانت أو صرفية أو نحوية أو دلالية ، فضلا عن المصادر العلمية ذات الاختصاصات الصرفة كعلم الطب والنفس وعلم وظائف الأعضاء التي تناولت حاسة السمع بدراسة مقارنة بين وصف القرآن لها وما توصل إليه العلم الحديث فكانت حاسة السمع من مظاهر إعجازه العلمي لأن تنوع تلك المصادر كانت تقرب الباحث لفهم النص بتوظيف تلك المعطيات .

أما المنهج الذي اعتمده البحث فكان منهجا تكامليا ذا ثلاثة اتجاهات هي (( وصفيّ إحصائيّ تحليليّ )) استجابة لطبيعة المادة التي فرضت هذا المنهج في التناول لأن الوصف إذا أقيم على ركيزة الإحصاء تكاملت بذلك التمازج ملامح طرائق التحليل الدلالي لمراد النص فكانت النتائج التي توصل إليها البحث تستند إلى واقعية تلك المقدمات مما يرفع درجة الاطمئنان بها . وبعد فإن هذا البحث محاولة من الباحث في التقرب إلى الله (( عزّ وجل )) خدمة لكتابه وتجلية للون آخر من ألوان إعجازه ألا وهو (( الإعجاز السمعي )) فإن وفقت بذلك فـ( ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ )<sup>(١)</sup> وإن كان غير ذلك فما أردت ( إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ )<sup>(٢)</sup> . وفي الختام : أقطف ثمرة جهدي أزهارا فأضمهنّ إلى بعض وأسير بخطى

وئيدة ثم أنثرهن على ساقى هذه الأزهار أستاذى وشيخى الأستاذ الدكتور على  
كاظم أسد راجيا من الزمان أن يعفيهن من الذبول لأن نموهن ما اكتمل إلا  
بثلاث سنين .

الباحث



## التمهيد

١ : السّمع في اللغة .

٢ : أهمية السمع .

٣ : المجال الدلاليّ لألفاظ السّمع في الاستعمال القرآنيّ .

١ : السّمع في اللغة :

يستلزم البحث في أية ظاهرة من الظواهر اللغوية إحاطة بتقلبات تلك

المفردة ومديات استعمالاتها ، ولاسيما إذا كان النص هو القرآن توظف به

المفردة بحسب الموقف ، وضرورات الأداء، لذا كان على البحث أن يحيط بالدلالة اللغوية لمفردة السَّمْع في تلك المعجمات (٣) .

فالسَّمْع : سَمِعُ الإنسان يكون واحدا وجمعا (٤) ، كما في قوله تعالى ( خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ) (٥) ، لأنه (( مصدر قولك : سمعت الشيء سمعا وسماعا )) (٦) ، وعبر الخطاب القرآني عن السَّمْع بأنه حسُّ الأذن (٧) ، ومنه قوله تعالى : ( أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ) (٨) ، أي ألقى سمعه إلى كتاب الله وهو شهيد ، أي : شاهد ليس بغائب (٩) ، بمعنى استقطاب متدبر على وفق ما يفهم من المضمون .

وتتصرف مفردة (( السَّمْع )) فيشتق منها اشتقاقات أخرى فيقال : (( سَمِعَهُ سَمْعًا وَسَمَاعًا وَسَمَاعَةً وَسَمَاعِيَّة )) (١٠) ، فهو بذا متصرف لا جمود فيه ، ولا زيادة في أصول (( سَمِعَ )) فجميعها على الأصل ، السين والميم والعين أصل واحد وهو إيناس الشيء بالأذن من الناس وكل ذي أذن ، ويشتق من السمع آتاه أيضا : (( فالسامعة الأذن )) (١١) ، ومنه قول الشاعر :

مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتِي شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ (١٢)

وهو من باب إطلاق وظيفة الأذن على الأداة نفسها كصورة من صور لمس المعنى المبالغ فيه ، وقد تباينت آراء العلماء لمصدر (( سَمِعَ )) واسمه ، فقالوا : إن مصدر (( سَمِعَ )) السَّمْع - بفتح السين - أما الاسم - بكسرها - ( السَّمْع ) ، وقيل في التقليب الأخير إنه اسم لولد الضبع ، ومنه قول الشاعر :

أنا السَّمْعُ الأزلُ فلا أبالي وكو صَعَبَتِ شَنَاخِيبُ القبابِ (١٣)

والراجع أن مصدر سمع السَّمْع ، أما السَّمْع - بكسر السين - فاسم يطلق على ولد الضبع ، كما تقدم .

وقد توسعت العربية في استعمال هذه المادة فتقول (( إذا رأيت زيدا سمعته ، كما تقول أبصرت عيني زيدا يفعل كذا وكذا أي : أبصرت بعيني يفعل كذا )) (١٤) وردّه الأزهري (٣٧٠هـ) بقوله : (( ولا أدري من أين جاء الليث بهذا الحرف ، وليس من مذاهب العرب أن يقول الرجل : سمعت أذني بمعنى

أبصرت عيني وهو عندي كلام فاسد لا آمن أن يكون مما ولده أهل البدع والأهواء وكأنه كلام الجهمية ((<sup>(١٥)</sup>) ، ومن توسعهم في الاستعمال : أن يطلقوا على خبر ذاع صيته بأمر معيب سماعا<sup>(١٦)</sup> ، وإذا ذاع صيته بأمر حسن (( ذهب سمعه في الناس )) وجاء في الحديث الشريف : (( من سمع بعبد سمع الله به ))<sup>(١٧)</sup> : أي من أذاع في الناس عيبا على أخيه المسلم أظهر الله عيوبه ، ويقال أيضا (( إن السمع هـ ————— إدراك المسموع ))<sup>(١٨)</sup> ، وإذا أدركت الشيء بحاستك السامعة يقال : (( سمعته ، وأسْمَعته ، ووعيته ، واستوعيته ))<sup>(١٩)</sup> ، بيد أنها تفرق في دلالاتها الدقيقة التي يحددها السياق ، وإذا أقسموا قالوا : (( لا وسمع الله يعنون لا وذكر الله ))<sup>(٢٠)</sup> إذ تحمل مفردة (( سمع )) معنى : الذكر كظل لمعناها الأصلي ، وعليه قول الشاعر :

سَمِعْتُ بِسَمْعِ الْبَاعِ وَالْجُودِ وَالنَّدَى      فَأَدْلَيْتُ دَلْوِي فَأَشْتَعَلْتُ بِرِسْنَا  
(٢١)

وقولنا : (( سمع الله لمن حمده )) : توسع آخر من باب المجاز أي : أجاب وقبل<sup>(٢٢)</sup> ، لأن السماع يستلزم الإجابة من الباري – عزَّ وجلَّ – وفسر بمجيب الدعاء لأن السماع بلا إجابة لا ينفع العبد<sup>(٢٣)</sup> ، وتتناوب الألفاظ بعملها الدلالي ، فقد يكون السمع بمعنى الاستماع ، يقال : سمعك حديثي يعجبني أي : استماعك إلى حديثي يعجبني ، كقول ذي الرمة :

إِذَا تَوَجَّسَ رِكْزاً مُقْفِرٌ نَدُسُّ      بِنَبْأَةِ الصَّوْتِ مَا فِي سَمْعِهِ كَذِبٌ  
(٢٤)

(( أي : ما في استماعه كذب ))<sup>(٢٥)</sup> ، لأن المصادر ينوب بعضها عن الآخر ، فالعطية بمعنى الإعطاء ، وسمع بمعنى الاستماع ، فإذا طلبت الاستماع يقال : (( استمعت استماعا واستمعت ))<sup>(٢٦)</sup> ، (( وامرأة سمعنة نظرة أي : تسمع كل ما يتكلم وتتنظر إليه ))<sup>(٢٧)</sup> ، وإذا كان الإنسان خفيف السمع يقال له (( سمع )) وبه يشبهون الغول لخفته فيقولون : (( غول سمع أي

خفيف (( (٢٨).

وجعل العرب للأرض – من باب التوسع أيضا – سمعا وإبصارا ، فتقول :  
(( مَرَّ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا )) (٢٩) ، ومن أسماء الله وصفاته (( السميع  
)) بعد أن وسع علمه وسمعته كل شيء ، ومنه قوله تعالى : ( فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ  
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) (٣٠) ، وقد عجب الأزهري ممن فسّر قوله تعالى هذا بمعنى  
: (( المُسْمِع )) باسم الفاعل هربا من وصفه بأنه يسمع (٣١) ، أما الرجل فإذا  
كان كثير الاستماع يقال له (( سَمَاع )) بتشديد الميم (٣٢) ، وعليه قوله تعالى :  
( سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلسُّحْتِ ) (٣٣) ، وأحيانا يقام المصدر على زنة ((  
فَعَال )) مقام الفعل كـ (( قول العرب سماع يا هذا بوزن فَعَال بكسر الآخر  
بمعنى أسمع مني ، كما يقال دراك بمعنى أدرك )) (٣٤) ، ومنه قوله الشاعر :  
سَمَاعُ اللَّهِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَنْنِي أَعُوذُ بِحَقِّ خَالِكَ يَا ابْنَ عُمَرَ (٣٥)

وأراد : سَمِعَ الله والعلماء فأناب المصدر مناب فعله .

أما السَّمْع كاصطلاح : فقد اتضح للباحث أن ليس السمع مصطلحا فهو  
كمفردة البصر والشم والذوق وهو مصدر قولنا سمعت سمعا وسماعا ، وأظهر  
من أن يعرف فر (( المحسوسات لا يمكن تعريفها ، لأنها أظهر من كل ما تعرف  
به ، ولكن غلط جماعة في ماهيته )) (٣٦) فعرفوه ووضعوا له حدا ، فالسمع  
لفظ يدل على حاسة معروفة وليس لفظا خاصا أو لفظا له مفهوم خاص يصطلح  
على خصوصه جماعة أو فئة أو جهة علمية .

٢: أهمية حاسة السَّمْع :

تعدّ حاسة السَّمْع من أكثر الحواس ارتباطا بمحيطها الخارجي ، فالسَّمْع  
يسهم في كثير من أفعال الإنسان ، لذا اهتم الإنسان فطرة بسمعه ، لشعوره  
بوظيفته الحساسة في تلقي المعرفة إذ (( كانت الوسيلة الوحيدة لتبادل  
المعلومات ، وتناقلها من جيل إلى جيل ... وهذا هو المهم في تأثير الأذن ))

(٣٧) ، لذا أخذت مكانها من بين حواس الإنسان ، فلا تقوم مقامها حاسة أخرى ، ولا تتفوق عليها ، دقة في التوصيل ، فبلغت (( حساسية الأذن لسماع الأصوات درجة كبيرة بحيث إنها تفرق ما بين صوتين فيما إذا زاد أو نقص عدد التوترات )) (٣٨) ، فلو جُرِّدَ الإنسان سامعته لا نعزل غالبا ، واستدلَّ المفسرون على أهميتها بأن لم يكن من بين الأنبياء نبي أصم في حين أن يعقوب (عليه السلام) فقد بصره في مرحلة من مراحل حياته ثم ردَّ الله عليه بصره بما أخبرنا القرآن الكريم في قوله تعالى ( فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ) (٣٩) ، بل ذهب الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) إلى أن (( السَّمْع لو زال لزال النطق )) (٤٠) لأن السَّمْع (( شرط النبوة بخلاف البصر ولذلك لم يبعث الله رسولا أصم ... ولأن بالسمع تصل نتائج عقول البعض إلى البعض )) (٤١) ولهذا وصف النص القرآني الذين يعبدون غير الله بأنهم لا يملكون سمعا وأبصارا ، كقوله تعالى : ( إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ) (٤٢) ، (( لأنه لا يملك أصلا القدرة على السَّمْع والبصر ، وبتعبير آخر : إن العبادة يجب أن تكون لمن له القدرة على حلّ المشكلات ، ويدرك عباده وحاجاتهم ، سميع بصير ، إلا أن هذه الأصنام فاقدة كل ذلك )) (٤٣) ، وقد ربط بعض ممن تمرس في دلالة الحواس في الاستعمال القرآني السَّمْع بالرسالة على معنى التلازم لأن (( السَّمْع بالنسبة إلى تلقي الرسالة أفضل ... وإن فاقد السَّمْع لا يمكن تبليغه بسهولة فالأصم أنأى عن الفهم )) (٤٤) والإدراك (( إذ توصل الدارسون إلى أن عملية التواصل التي تعتمد على الكلام تستهلك حوالي ٧٠% من وقت الإنسان الذي يقضيه متكلمًا ومستمعًا ، وهذه العملية لا تقتصر على ما تقول فقط وإنما كيف تقول ؟ )) (٤٥) وهذا يعني أن كيفية الأداء التي يوجهها السياق وأصوات الكلمات وأبنيته تسهم في تحديد مفهوم الرسالة اللغوية ، فضلا عن أن حاسة السَّمْع من الحواس التي تؤدي وظيفتها حتى في النوم على عكس حاسة البصر ، لذا ضرب الله على أسماع أهل الكهف ، قال تعالى : ( فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ) (٤٦) بل أن حساسية

السَّمع تتضح ضرورتها إذا ما أدركنا أنها المنفذ الأوحـد لتأثير القرآن في نفوس المعاصرين للنص القرآني ، فقد كان اللفظ القرآنيّ ببنائه الصوتي وإعجازه في التآليف يقرع مسامعهم ولا غير المسامع يقرع ، فيسحرهم نظمه ، ويملك عقولهم قبل قلوبهم ، لذا أصروا على الهرب منه على ملامن القوم ، والتلصص لسماعه ليلا بعد أن أرهفت آذانهم وصقلتها الممارسات اللغوية ، فأمنوا من إحساسها ، لذا أكد الخطاب القرآني مركزية السَّمع في حياتهم بقوله تعالى : ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ )<sup>(٤٧)</sup> ، وقد عزا بعض المحدثين هذه الملكة السمعية عندهم إلى (( ضخامة مساحة الأمية بين العرب حينئذ ، بالإضافة إلى كثرة استماعهم للشعر الذي صور شؤون حياتهم جميعها ، ولهذا كان السَّمع هو المعيار الأول ))<sup>(٤٨)</sup> ولعل ما يثير الدهشة ويعمق مبدأ الإيمان بالله أنه وهب أداة السَّمع (( أذن )) أعلى درجات الدقة ، وأدق حالات التأثير لحركة الأصوات فيمكن أن تميّز ما بين أربعة وثلاثين ألف لحن في الشدة والتواتر والاهتزاز<sup>(٤٩)</sup> ، وهذا الكشف لحساسية الأذن ورهافتها واستجابتها لهذه الأعداد من الفونيمات الصوتية المتغايرة في الشدة والرخاوة يعد دليلا يسوغ نسبة تكرار مفردة السَّمع في القرآن الكريم الصريحة والضمنية<sup>(٥٠)</sup> ، وقد ذهب الفخر الرازي (٦٠٦هـ) إلى أن الوحي كان إحاؤه سمعيا ولم يكن غير ذلك فكانت تعاليمه لا سبيل لفهمها غير السَّمع والإسماع ، ويبقى القرآن (( في حد ذاته معجزة ، وحينما قرع أسماع العرب للوهلة الأولى أذهلهم وحين يسمعه المؤمن يخشع ويبيكي ، وكذلك الدخول في الإسلام وما يتعلق بالشهادتين )) (نطق وسماع)) ودعوات الأنبياء كانت تقوم على الاستماع لأقوالهم وحججهم))<sup>(٥١)</sup> ، فلا غرابة أن يقول ابن خلدون (٥٠٥هـ) أن (( السَّمع أبو الملكات اللسانية ))<sup>(٥٢)</sup> ، فهو بهذا المعنى نافذة على النفس ، وحافز على الانفعال والتفاعل مع متطلبات دينية حيوية<sup>(٥٣)</sup> ، (( فالمستقبل للسمع لا للعين والثقافة عن طريق العين ستفتقد كثيرا من سلطانها وسيكون للسمع المنزلة الأولى ولاسيما الملكات اللسانية

وصناعة القول ، ولا نشك في أن السَّمع حينئذ سيصبح أكثر حساسية ))<sup>(٥٤)</sup> ، فخلق الأذن بلغت من الدقة ما يثير العجب ، وبلغت في دقة حساسيتها أن تميز وتضع حدا بين المتشابهات من الأصوات فإن (( المتأمل ليأخذه العجب في قدرة الأذن على التقاط كافة الأصوات والتمييز ما بين صوت الإنسان وتغريد البلابل ))<sup>(٥٥)</sup> ، ولم تقف تأثيرات حاسة السَّمع عند حدود هذه الإنجازات ، بل تجاوزتها إلى مرحلة الحكم على النص الإبداعي ومحاولة تقويمه (( إن تمييز اللفظ الحسن من اللفظ القبيح يحصل بأدنى كلفة لأن المرجع في ذلك إلى الحاكم المطلق وهو السَّمع ، فما استحسنه كان حسنا ، وما استنقله كان قبيحا ))<sup>(٥٦)</sup> ، فما أعطى السَّمع طلاقة الحكم في تمييز الرديء من الحسن إلا لرهافة الأذن ، وعلو درجة حساسيتها ، بل إن الدراسات النقدية والبلاغية تعتمد فضلا عن رهافة الحس ، وانفعال الإنسان بالكلمة المعبرة (( حاسة السَّمع وسيلة للمفاضلة بين لفظين يشتركان في المعنى ويتباينان في صوتهما اللفظي وجرسهما وإن قيمة هذا التباين وأثره السار والمنفر يمكن إدراكه بواسطة الأذن ))<sup>(٥٧)</sup> التي صقلتها التجارب الإبداعية ، ونمتها الخبرات الأدبية ، وتأسيسا على هذا فإن (( السَّمع حاكمٌ في نقد الصوت اللفظي وفي تشويق الأذن للكلام الخفيف الرائع ))<sup>(٥٨)</sup> ، ولا غرو في ذلك ما دام السَّمع أنتج لنا أرفع فنون الجمال ، لأن السَّمع مزدوج الوظيفة فكما بنقل المسموع يفرز ما بين المسموعات من الفروق الجمالية<sup>(٥٩)</sup> ، ولهذه الأسباب وغيرها آمن ابن سنان (٤٦٦ هـ) بحاسة السَّمع ، فأقام ركن النقد عليها ، وأبدع في تفصيل جوانب الحسن والقبح فيه يقول (( وليس يخفى على أحد من السامعين أن تسمية الغصن غصنا وفننا أحسن من تسميته عسلوجا وأن أغصان البان أحسن من عساليج الشوحط في السَّمع ))<sup>(٦٠)</sup> لخفته على الأسماع ، ونفر عن العسلوج لبشاعته ، وتلك قيم نقدية عالية أفرزها السَّمع لا غيره ، فإن الحواس ولاسيما السَّمع هي السلطة (( الحاكمة في هذا المقام في تحسين لفظ وتقبيح آخر ))<sup>(٦١)</sup> ، ولهذا كان السَّمع هو المعيار الأول ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس (( وفي رأبي أن هذه الموسيقية في اللغة

العربية تعزى إلى تلك الأمية حين كان الأدب أذن لا أدب العين ، وحين اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي ، فاكتمت تلك الأذان المران والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة ((<sup>٦٢</sup>) ، فاللغويون – إذن – ركزوا اهتمامهم على حساسية السَّمع لارتباطه بدراسة الصوت ، وسبقه في التعاطي مع الثقافات اللغوية لأنه أكثر الحواس تماسا معها ، فضلا عن ذلك فإن جل الأحكام النقدية كان منشؤها منشأ سمعيا بما يتساقط عليها فضلا عن ذلك فإن أصل الأحكام النقدية كان سمعياً لتمييز اللحن وعذوبته ، وخشونة الصوت وغضاضته ، فيكون السَّمع قد مثل مرتكزا محركا لاتجاهات الثقافة اللغوية ، وهذا ما دعا الدكتور شوقي ضيف إلى أن يقول (( إن الشعر فن سمعي لا بصري )) (<sup>٦٣</sup>) .

إن هذا الاتساع المكثف في مجالات حاسة السَّمع كان بمثابة الممهّدات التي بموجبها منح النص القرآني تلك الحاسة مكانتها في التعبير ، فإذا عرفنا مقدار حاسة السَّمع ومكانتها اتضحت لنا مسوغات الاهتمام القرآني بها ، وأخيرا : ليس علينا أن ندرك فضل السَّمع إلا أن نقارن بين ما يمكن أن يصل إليه إنسان فقد بصره من رقي عقلي وبين آخر أصم (<sup>٦٤</sup>) .

### ٣: المجال الدلالي لألفاظ السَّمع في الاستعمال القرآني :

المراد بالمجال الدلالي : تتبع المعنى المشترك لمتفرقات لفظية تدرج تحت معنى عام يجمعها (<sup>٦٥</sup>) ، فهي – إذن – ممارسة فنية تمثل أداة من أدوات البحث المنهجي المنظم الذي يعتمد على رصد الملامح الدلالية الممتدة بين تلك البنى النحوية (<sup>٦٦</sup>) مع عنونة المجال بعنوان يستوعب كل لفظ بعض من دلالاته الخاصة ، بحيث يتألف (( مجال )) أو (( دائرة )) من الكلمات تعطي مجالا لغويا واحدا يتصل معنى الكلمة فيه بمعنى كلمة أو كلمات أخرى قريبة منها في الدلالة على ذلك المعنى مما يكون في ضوئه معرفته من خلال الحقل الذي



ينتمي إليه<sup>(٦٧)</sup> ، لذا انطلق البحث على وفق نظرية المجال الدلالي لجدولة (( أفاظ السَّمع في القرآن الكريم )) متخذاً من عنوانها (( السَّمع )) الملمح الأبرز لفهم المفردات الآخر التي سيقَّت في الاستعمال القرآني ومتابعة المفردة في كتب التفسير بحسب صيغ هذا الجذر وأبنيته :

أ : (( سَمع )) :

بلغ مجموع ورود هذه المفردة خمسا وثمانين ومائة مرة<sup>(٦٨)</sup> ، وبنى صرفية كثيرة ، كل بنية لها دلالتها التي لا تقوم مقامها غيرها ، وهذا يبرز رفعة البنى الأسلوبية – الصرفية للخطاب القرآني ، ويمكن تصنيف هذه المباني الصرفية على النحو الآتي :

١ : (( سَمع )) : ورد مرتين أسند فيهما السَّمع لله مجازاً لإفادة معنى الشمول في قدرته ، وقد اقترنا بـ( قد ) التي من معانيها التحقيق<sup>(٦٩)</sup> ، كقوله تعالى : ( قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ )<sup>(٧٠)</sup> .  
٢ : (( سَمِعَت )) : وردت مرة واحدة أسند فيها السَّمع لامرأة العزيز في قوله تعالى : ( فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا )<sup>(٧١)</sup> ، وقد اقترن الفعل بـتاء التانيث كعلامة للفاعل المؤنث .

٣ : (( سمعتموه )) : ورد مرتين مع واو الجماعة<sup>(٧٢)</sup> ، كقوله تعالى : ( لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا )<sup>(٧٣)</sup> .  
٤ : (( سمعنا )) : ورد في آيات السَّمع سبع عشرة مرة<sup>(٧٤)</sup> ، وقد لاحظ البحث أن أغلبها سيقَّت على لسان المشركين بدلالة الندم والتحسر على ما فرطوا في جنب الله بعد أن عطَّلوا أسمعهم كقوله تعالى : ( رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ )<sup>(٧٥)</sup> .

٥ : (( سمعه )) : ورد مرة في قوله تعالى : ( فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ )<sup>(٧٦)</sup> .

٦ : (( سمعوا )) : ورد هذا التصريف ست مرات<sup>(٧٧)</sup> ، مرتين مسنداً

إلى المؤمنين كقوله

تعالى : ( وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ )<sup>(٧٨)</sup>

والخطاب هنا مسوق على معنى الكناية والرمز على ارتفاع مستوى الخشية لديهم لعمق الإيمان

المتحقق ، لأن فيض العين من الدمع ، كفيض النهر بالماء <sup>(٧٩)</sup> ، أما المواضع الأربعة فهي إخبار عن المشركين كقوله تعالى : ( إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقاً وَهِيَ تَفُورٌ ) <sup>(٨٠)</sup> ، أي : إذا طرح الكفار في النار سمعوا للنار صوتاً فظيعاً مثل صوت القدر عند فورانها وغلجانها ، فيعظم بسماع ذلك عذابهم لما يرد على قلوبهم من هولته <sup>(٨١)</sup> ، وهي أوصاف حركية دالة حشدت في آية واحدة ليرتفع بذلك الحشد مظاهر عظمة النار وشدة حريقها لهم ، وفي الآية أمارات بيانية أخرى سيقف البحث عندها .

٧ : (( أَسْمَعُ )) : وردت مرة اقترنت بالفعل (( أرى )) في مقام تثبيت لنبي الله موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) في قوله تعالى : ( قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ) <sup>(٨٢)</sup>

٨ : (( تَسْمَعُ )) : ورد أربع مرات <sup>(٨٣)</sup> ، كقوله تعالى : ( هَلْ نُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ) <sup>(٨٤)</sup> وهذا ضمن الأدلة المسوقة على استحالة بقاء مخلوق (( فقد ذهبوا فلا يرى لهم عين ولا يسمع لهم صوت وكانوا أكثر أموالاً ، وأعظم أجساماً ، وأشد خصاماً من هؤلاء فلم ينفعهم ذلك لما أردنا أهلكهم فحكم هؤلاء حكم أولئك في أنه لا يبقى منهم )) <sup>(٨٥)</sup> ، والآية استئناف مقرر لمضمون ما قبله ، والاستفهام في معنى النفي أي ما تشعر بأحد منهم <sup>(٨٦)</sup>

٩ : (( لَتَسْمَعَنَّ )) : ورد مرة واحدة في قوله تعالى : ( وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثيراً ) <sup>(٨٧)</sup> .

١٠ : (( تَسْمَعُوا )) : ورد مرة واحدة وقد سبق بـ(لا) الناهية في قوله تعالى : ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ) <sup>(٨٨)</sup> وهي

تصور خوف المشركين من تأثير القرآن في أتباعهم لما له من سلطة على الفطرة .

١١ : (( نَسْمَعُ )) : ورد مرتين بزنه ( نَفْعَل ) التي يستتر فاعلها وجوبا ، فهو متلبس بها كقوله تعالى : ( أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ) (٨٩)  
١٢ : (( يَسْمَعُ )) : ورد هذا الفعل ست مرات (٩٠) ، دالا على معنى التجدد والاستمرار الحدتي كقوله تعالى : ( يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُثَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ) (٩١) ، فدل على أن حدث السَّمع متجدد لا انقطاع فيه بيد أنهم غلقوا سمعهم فلم يسمعوا مضامين آيات الله .

١٣ : (( يَسْمَعُهَا )) : ورد مرتين منفيا بـ ( لم ) الجازمة ، كقوله تعالى : ( وَإِذَا تُثَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ) (٩٢) .  
١٤ : (( يَسْمَعُونَ )) : ورد إحدى وعشرين مرة (٩٣) ، وقد استقل كل موضع بمعالجة موضوعية كقوله تعالى : ( إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ) (٩٤) .

١٥ : (( أَسْمَعُ )) : ورد مرتين ، كقوله تعالى : ( وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُوا نُنْظِرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ) (٩٥) .  
١٦ : (( أَسْمَعُوا )) : ورد أربع مرات (٩٦) ، كقوله تعالى : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ) (٩٧) .

١٧ : (( نُسْمَعُ )) : ورد ثماني مرات (٩٨) ، كقوله تعالى : ( إِنْ نُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ) (٩٩) .

١٨ : (( يَسْمَعُونَ )) : ضُمن بألفاظ السَّمع مرة واحدة في قوله تعالى : ( لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ ) (١٠٠) ، ويلحظ أن هذه البنية حدثت فيها تغيرات صوتية لصوتي ( التاء والسين ) لأن الأصل فيها (( يستمعون )) ثم أبدلت التاء سينا لتقارب مخرجيهما فأدغمتا ، فأصبحت بعد تلك التغيرات (( يَسْمَعُونَ )) (١٠١)

١٩ : (( اسْتَمَعَ )) : وهو بناء مزيد قصدا لمستوى دلالي لا توفره

الـ صيغ

المجردة ، وردت عشرة مرة (١٠٢) ، كقوله تعالى : ( قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنَّ ) (١٠٣) .

٢٠ : (( السَّمْع )) : ورد اثنتين وعشرين مرة (١٠٤) ، اثنا عشر موضعاً مقترناً بالألف واللام كقوله تعالى : ( مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ) (١٠٥) : (( سَمِيع )) : وهو مصوغ على معنى المبالغة بزنة (( فعيل )) ورد سبعا وأربعين مرة (١٠٦) ، وهي صفات لله كلها دلالة شموله واستيعابه كقوله تعالى : ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) (١٠٧) ، عدا موضعاً واحداً أسند الوصف فيه للإنسان في قوله تعالى : ( إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ) (١٠٨) .

٢٢ : (( سَمَاعُونَ )) : وهو من أبنية المبالغة ، ورد أربع مرات كقوله

تعالى : \_\_\_\_\_ الى :

( سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ) (١٠٩) .

٢٣ : (( مُسْمِع )) : بناء اسم الفاعل المصوغ من الرباعي (( أسمع ))

ورد أربع مرات (١١٠) كقوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ) (١١١) .

ب : (( صَمَم )) :

الصَّمَمُ : انسداد الأذن وثقل السَّمْع (١١٢) ، وَصَمَّ يَصَمُّ - بفتحهما -

وَصَمَمَ كَعَلِمَ نادر وَصَمَّ وَصَمَّمًا ، وَأَصَمَّ بِمعنى صَمَّ ، وَاصَمَّهُ اللهُ لآزم ومتعد كما ذكر الزمخشري (١١٣) (٥٣٨هـ) قال تعالى : ( فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ )

(١١٤) وهو : أَصَمُّ وَالجمع صُمٌّ وَصُمَّانٌ : وتصامَّ عن الحديث ، وتصامَّ صاحبه : أراه الصَّمَمُ ، وشبَّه بالأصم من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله (١١٥) ، قال

تعالى : ( صُمُّكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) (١١٦) ويشبهه به من لا حول له ولا قوة ، والصمَّاء الداهية ، وَصَمَّى صمام : أي : زيدي يا داهية (١١٧) ، وقد لاحظ

البحث في مفردة الصمم في الاستعمال القرآني الحقائق الآتية :

أ- ورد الصمم بمفرده من دون اقترانه بأي لفظ من الألفاظ ذات الصلة

(١١٨) خمس مرات (١١٩) .

ب- اقتران الصمم بالعمي ثماني مرات (١٢٠) .

ج- قدّم العمي على الصمم أربع مرات (١٢١) ، وتأخر عنه في المواضع

الأخر .

د- اقتران الصمم بالبكم مرة واحدة وقدّم الصمم به (١٢٢) .

هـ- اقتران الصمم بالبكم والعمي ثلاث مرات (١٢٣) ، وقدّم الصمم

مرتين (١٢٤) ، وتأخر عنهما مرة واحدة وذلك في مشهد حشر الكافرين على

وجوههم (١٢٥) .

و- كل ما في القرآن من (( صمم )) فعن سماع القرآن خاصة وسماع

الإيمان إلا الذي في قوله تعالى : ( وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ

وَبُكْمًا وَصُمًّا ) (١٢٦) ، فهو عن فقد السمع (١٢٧) .

وقد بلغ مجموع ورودها خمس عشرة مرة ، (١٢٨) كما يأتي :

١ : (( صَمُّوا )) : وردت مرتين لازماً ، كقوله تعالى : ( وَحَسِبُوا أَلَّا

تَكُونُ فِتْنَةً فَاعْمُوا وَصَمُّوا ) (١٢٩) .

٢ : (( أصمهم )) : ورد مرة واحدة في قوله تعالى : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ

لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ) (١٣٠) وهو متعدي والفاعل الله .

٣ : (( صُمُّ )) : ورد تسع مرات (١٣١) ، صفة مشبهة جمعا ، كقوله

تعالى : ( وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ) (١٣٢) .

٤ : (( صُمًّا )) : ورد مرتين وقد وقع حالا ، كقوله تعالى : ( وَنَحْشُرُهُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا ) (١٣٣) .

٥ : (( الأصم )) : ورد مرة واحدة في قوله تعالى : ( مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ

كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ) (١٣٤) .

ج: نَصَّتْ :

يُنصِتُ نَصْتًا ، وأنصت إنصاتاً : إذا سكت واستمع للحديث (١٣٥) ،

ويقال : أنصتوه ،

وأنصتوا له بمعنى (١٣٦) ، وأنصت فلان فلاناً إذا أسكته ، قال الشاعر :  
أبوك الذي أجدى عليّ بنصرة فأنصت عني بعده كلّ قائل (١٣٧)

وانتصت : سكت (١٣٨) ، قال الطرماح :

يُخَافِتْنَ بَعْضَ الْمَضْغِ مِنْ خَشْيَةِ  
الـــــــرْدَى  
وَيُنْصِتْنَ لِلسَّمْعِ إِنْتِصَاتَ الْفَنَاقِنِ  
(١٣٩)

فمدار الإنصات بمعنى السَّمْع بيد أعلى منه درجة لأن السَّمْع يتحقق بالسكوت وعدمه ، على حين لا يتحقق الإنصات إلا مقترنا بالسكوت ، قال الرازي (٦٠٦) إن ((الانصات سكوت مع استماع ، ومتى انفك أحدهما عن الآخر لا يقال أنصت )) (١٤٠) فالإنصات – إذن – أعمق منالسمع ، وقد وقع مرتين في مجال السمع بصيغة الأمر كقوله تعالى : ( فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ) (١٤١) .

د- (( صغى )) :

الصغو : الميل قال الجوهري : (( صغا يصغو ويصغي صُغُوا ، أي مال ، وكذلك صَغِي بالكسر يَصْغِي صَغِيَّ وَصُغِيًّا )) (١٤٢) ، ويقال : (( أصغيت إلى فلان : ملت بسمعينه )) (١٤٣) ، (( فالإصغاء هو طلب إدراك المسموع بامالة السَّمْع إليه ... وفي القرآن ( فَصَغَتْ قُلُوبُكُمَا ) (١٤٤) أي : مالت )) (١٤٥) وأصغيت الإناء : أملته ، وصغت الشمس والنجوم تصغوا صُغُوا : مالت للغروب (١٤٦) ، ومنه إطلاق الإصغاء بمعنى الاستماع ، لأن أصله إمالة السَّمْع أو الأذن (١٤٧) ، ورد هذا الفعل مرتين في مجال السَّمْع في القرآن الكريم بفعل الماضي مرة (١٤٨) وبفعل الأمر مرة أخرى في قوله تعالى : ( وَلْيَصْغِيَ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ) (١٤٩) .

هـ: (( أذن )) :

يدل هذا الأصل ( أذن ) في كتب المعجم على أربع دلالات هي : العلم ، والاستماع ، والإباحة ، والنداء ، (( أذنت بهذا الشيء أي : علمت وأذنتني :

أعلمني)) (١٥٠) ، ويقال : أذنت له أذنا : إذا استمعت له (١٥١) ، ومنه قولهم (( فلان أذن إذا كان يقبل كل ما يسمعه ، ويصدق به ، وينصت له )) (١٥٢) ، وأذنت لفلان بالشيء : إذا أبحته له (١٥٣) ، والأذن من الحواس الجارحة ، والجمع آذان (١٥٤) ، والأصل في هذه المعاني أنها مشتقة من الأذن : (( وهي جارحة

السَّمْع )) (١٥٥) أي حاسته وآلته (١٥٦) ، فاشتق فعله من آله ، وقد ورد في النص القرآني في اثنين وأربعين موضعا ، ورد بستة وعشرين موضعا بمعنى الاستماع (١٥٧) ، على النحو الآتي :

١ : (( أذِنتُ )) : وردت مرتين دلالة على إطاعة السماء لأمر الله بالانشقاق كقوله تعالى : ( وَأَذِنتُ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ) (١٥٨) .

٢ : (( فاذنوا )) : ورد مرة واحدة في قوله تعالى : ( فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ) (١٥٩) . فاذنوا (( من الأذن وهو الاستماع ، يقال : أذن له أذنا ، أي : استمع )) (١٦٠) ومنه قول الشاعر :  
صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ      وَإِنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ  
أذنوا (١٦١)

٣ : (( أذن )) : ورد مرتين كقوله تعالى : ( قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ) (١٦٢) .

٤ : (( أذن )) : ورد مرة واحدة مضعفا يأمر بالحج في قوله تعالى : ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ) (١٦٣) .

٥ : (( تأذن )) : ورد مرتين مسبوqa بـ ( إذ ) ، كقوله تعالى : ( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ ) (١٦٤) .

٦ : (( أذناك )) : ورد مرة واحدة في وقوله تعالى : ( وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذْنَاكَ ) (١٦٥) .

٧ : (( أذنتكم )) : ورد مرة واحدة في قوله تعالى : ( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذِنْتُكُمْ عَلَى سِوَاءٍ ) (١٦٦) .

٨ : (( أذن )) : ورد خمس مرات <sup>(١٦٧)</sup> مرتين في جزاء الاعتداء كقوله تعالى : ( أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ ) <sup>(١٦٨)</sup> ، ومرتين وصف للنبي على لسان المشركين في قوله تعالى : ( وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْتُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَى ) <sup>(١٦٩)</sup> وقد اتضح للباحث : أن مفردة (( أذن )) – يضمّتين – أينما ورد في التعبير القرآني فيراد بها حاسة السمع إلا في هذا الموضع فمقصدها : المستمع القابل لما يقال <sup>(١٧٠)</sup> ، وقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى : ( لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أَدْنَى وَاعِيَةٌ ) <sup>(١٧١)</sup> .

٩ : (( أذان )) : ورد جمعا لـ ( أذن ) هذا البناء إحدى عشرة مرة <sup>(١٧٢)</sup> ، كقوله تعالى : ( وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ) <sup>(١٧٣)</sup> .  
و : (( وقر )) :

و الوقر : الثقل في السمع <sup>(١٧٤)</sup> ، وقُرّت أذنه بالكسر توقر وقرأ ، أي صُمّت ، وقياس مصدره التحريك إلا أنه جاء بالتسكين <sup>(١٧٥)</sup> ، ووقر الله أذنه يَقْرُهَا وَقْرًا ، ويقال : اللهم قِرْ أذنه ، ووقُرّت أذنه على ما لم يسمّ فاعله فهي موقورة ، ووقرت العظم إقره وقرأ : صدعته ، قال الشاعر :

يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَعَنْتَنَا      بِسَرَاتِنَا وَوَقَّرْتَ فِي الْعَظْمِ <sup>(١٧٦)</sup>

- إذن - فليس الوقر ألا يسمع الرجل ، بل هو يسمع ولكن بسمعه ثقل يمنع من أن يدرك ما أحسته أذناه (( ويقال : (( بأذنه وقر )) أي : ثقل سمع ، فإذا زاد فهو صَمَمَ فإذا زاد فهو طرش فإذا زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صلخ (( <sup>(١٧٧)</sup> ، وقد تجلت للباحث السمات التعبيرية الآتية :

أ- اقتران الوقر بالقلب أربع مرات <sup>(١٧٨)</sup> وكانا سببا في الضلال بعد أن عطلا وجاء القلب مقدما على الوقر في المواضع جميعها ، واصفا القلب بأنه في كنانة دلالة على استغلاق حامله وانعدام صلته بالإيمان .

ب- اقتران الوقر بالعمي مرة واحدة ، وقد قدّم عليه <sup>(١٧٩)</sup> .

ج- جاءت مفردة (( الوقر )) ملازمة للأذن في الاستعمال كله ، لأن

العلاقة بين السمع والوقر علاقة عدم ووجود .



د- إن المواضع التي جاء بها هذا اللفظ كانت تحكي صفة الضلال بعد أن وقرت آذانهم فلم يستطيعوا سمعا ، مما يبرز مدى تحرك حاسة السمع في مبدأ الاعتقاد .

وقد وقع في مجال السَّمع ست مرات <sup>(١٨٠)</sup> ، وعلى النحو الآتي :

١ : (( وَقُرُّ )) : ورد هذا البناء مرتين ، منه قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرٌّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ) <sup>(١٨١)</sup> .

٢ : (( وَقَرَأَ )) : ورد أربع مرات <sup>(١٨٢)</sup> ، كقوله تعالى : ( وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ) <sup>(١٨٣)</sup>

ز : (( حَسَّ )) :

الحسُّ : مصدر (( حَسَّ )) وهو مشتق من الحاسة التي تدرك بها الأعراض الحسية <sup>(١٨٤)</sup> ويقال : حست وحسيت وأحست فحست <sup>(١٨٥)</sup> .

وقد لاحظ البحث تعدد دلالات هذه المفردة بعدة اتجاهات يقتصر على ما ورد منها في النص القرآني :

أولاً : (( الاستماع فر )) (التحسس الاستماع لأحاديث الناس) <sup>(١٨٦)</sup> ومنه قوله تعالى : ( يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ) <sup>(١٨٧)</sup> أي (( تحسس الخبر وتبعثه )) <sup>(١٨٨)</sup> لأن السمع إحد نوافذ استحصال الخبر .

ثانياً : (( الوجود )) وجعلوا منه قوله تعالى : ( فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ) <sup>(١٨٩)</sup> ، قال الفراء (٢٠٧هـ) : (( معناه : فلما وجد عيسى قال ، والإحساس : الوجود )) <sup>(١٩٠)</sup> .

ثالثاً : (( الرؤية )) وقد حملوا عليه قوله تعالى : ( هَلْ نُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ نَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ) <sup>(١٩١)</sup> أي هل : هل تبصر أو ترى <sup>(١٩٢)</sup> .

رابعاً : (( القتل الذريع )) فـ (( الحس : القتل الذريع وحسناهم أي : استأصلناهم قتلًا ، وحسهم يحسهم حسا : قتلهم قتلًا ذريعًا مستأصلاً )) <sup>(١٩٣)</sup> ، ومنه قوله تعالى : ( إِذْ تَحُّوا سُوَيْبَةَ )

بإذنيه <sup>(١٩٤)</sup> أي : (( تقتلونهم قتلًا شديدًا )) <sup>(١٩٥)</sup> .  
خامساً : (( الصوت الخفي )) كقوله تعالى : ( لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا )

ومعناها <sup>(١٩٦)</sup> : (( لا يسمعون حسها وحركة ناراها )) <sup>(١٩٧)</sup> .

إن هذا التعدد الدلالي يجعل المفردة عائمة وسط احتمالات كثيرة وعندئذ لابد من تفعيل أداة السياق بأنواعها كافة لتحديد المراد ، وقد ورد هذا اللفظ حاملا لدلالة ((السمع )) ثلاث مرات .

ح: (( جسَّ )) :

((أصل الجسَّ : مسُّ العرق وتعرف بنبضه للحكم به على الصحة والسقم ))<sup>(١٩٨)</sup> ثم تطورت دلالتها عموما لتعني (( تفحص الأخبار والبحث عنها ... قال اللحياني : تحسسقلانا ، ومن فلان بحث عنه ))<sup>(١٩٩)</sup> ، ثم خصت دلالتها في (( البحث عن عورات الناس ))<sup>(٢٠٠)</sup> ، أي إن هذه المفردة قطعت ثلاث مراحل في تطورها الدلالي من مدلولها الحسي في جس النبض، إلى عمومها في تفصي الأخبار، إلى خصوصها في تعرف عورات الناس وأسرارهم ، ويبدو لي أن النص القرآني استعملها بخصوص دلالتها في قوله تعالى : ( وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا )<sup>(٢٠١)</sup> .

ومن اللغويين من وحد بين دلالة (( جسَّ وحسَّ )) يقال (( قد تجسَّس الرجل وتحسس بمعنى واحد هذا اجماع أهل اللغة ))<sup>(٢٠٢)</sup> ومنهم من فصل بينهما ف(( التجسس البحث عن عورات الناس ، والتحسس الاستماع لأحاديث الناس ))<sup>(٢٠٣)</sup> وهو رأي ابن الأثير ، وأظن : أن الفرق بينهما يندرج ضمن علاقة الخصوص والعموم فالحس (( أخص من الجس فإن الحس تعرف ما يدركه الحس ، والجس تعرف حال ما من ذلك ))<sup>(٢٠٤)</sup> .

ط: (( وجسَّ )) :

التوجس ، يراد به التسمع إلى الصوت الخفي<sup>(٢٠٥)</sup> ، قال ذي الرمة يصف صائدا :

إِذَا تَوَجَّسَ رَكَزاً مِنْ سَنَايِكِهَا      أَوْ كَانَ صَاحِبَ أَرْضٍ أَوْ بِهِ أَلُومٌ<sup>(٢٠٦)</sup>

وأوجست الأذن وتوجست سمعت حسا<sup>(٢٠٧)</sup> ، ومنه قول مالك الهذلي :

حَتَّى أَتِيحَ لَهُ يَوْمًا بِمَجْدَلَةَ ذُو مَرَّةٍ بَدُورَ الصَّيْدِ وَجَاسَ (٢٠٨)

وأوجس بالشيء : أحسَّ به ، فتنسم له ، وتجسست الشيء إذا سمعته

وأنت

خائف (٢٠٩) ، ومنه قوله :

فبدا صبيحة صوتها متوجسا (٢١٠)

ومما تقدم من الاستعمال يتجلى أن يكون الوجس والتوجس بمعنى

السَّمْع والتسمع بيد أن لكل منهما دلالاته على درجة السمع فالتوجس أدقُّ تحسسا

وتأثرا من التسمع كما اتضح من خلال السياق وظفها ، وقد وردت هذه المفردة

ثلاث مرات (٢١١) دالة على معنى السَّمْع والتسمّع في كل الاستعمال كله ، بزنة

( أفعل ) كقوله تعالى : ( فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ) (٢١٢) (( أي أحسَّ

وأضمر في نفسه خوفا )) (٢١٣) .

ي: (( صَحَّ )) :

(( الصَّاحَةُ : صيحة تصحُّ الأذن أي تطعنها فتصمها لشدها ، ومنه

سميت : القيامة الصَّاحَة ، يقال : كأنه في أذنه صاخَّة أي طعنة )) (٢١٤) وبهذا

فسر أبو عبيدة (٢١٠هـ) قوله تعالى : ( فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ) (٢١٥) (( فأما أن

يكون اسم فاعل من صَحَّ يصحُّ ، وأما أن يكون المصدر وقال أبو إسحاق :

الصَّاحَةُ هي الصيحة التي تكون فيها القيامة تصحُّ الأسماع أي تصمها فلا

تسمع إلا ما تدعى به الأحياء )) (٢١٦) فالصاخة : كناية أو إشارة إلى إشرط

الساعة يوم القيامة ولم تقع هذه المفردة إلا مرة واحدة وذلك في قوله تعالى : (

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ) (٢١٧) (( وهي عبارة عن القيامة حسب المشار إليه بقوله :

( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) (٢١٨) )) (٢١٩)

وبهذا بلغت مفردات المجال الدلالي للسمع في استعمال القرآن إحدى

وأربعين ومائتي مرة مؤلفة مجالا دلاليا واسعا .

الفصل الأول : (( المستوى الصوتي لألفاظ السَّمع في القرآن الكريم ))

- مدخل

المبحث الأول : دلالة البنية الصوتية لألفاظ السَّمع في القرآن الكريم

أولاً- دلالة الانسجام الصوتي.

ثانياً- دلالة الشدة والغلظة .

ثالثاً- دلالة التفخيم والمبالغة .

رابعاً- دلالة الترقب والخشية في امتناع السَّمع .

المبحث الثاني : دلالة التغيرات الصوتية لألفاظ السَّمع في القرآن الكريم

أولاً- دلالة الإدغام

١- إدغام المثليين .

٢- إدغام المتجانسين .

٣- إدغام المتقاربين .

ثانيا- دلالة الإبدال

١- إبدال التاء سينا .

٢- إبدال الهمزة ألفا .

٣- إبدال النون ميما .

ثالثا- دلالة الإمالة .

رابعا- دلالة المد .

مدخل :

حدّ الصوت اللغوي بأنه (( أصغر وحدة في الكلمة وهذه الوحدة هي الصوت  
فتناول نشوءه ومخارجه وصفاته ))<sup>(٢٢٠)</sup> ، وتبدو أهمية دراسة الصوت اللغوي  
بالوظيفة الدلالية التي يفرزها الصوت نفسه ، لأنه من محددات الدلالة ، التي تتعاضد  
على تأديته صفة الصوت ومخرجه ، من خلال التناظر والانسجام بين المستوى الدلالي  
للمفردة ونقطة مخرج الصوت وتشكل صفته ، فمن أجل المعنى تُحشد الطاقات الدالة  
كلها (( صوتا وصرفا وتركيبا )) لاكتشاف التوجه الدلالي الأول لمعنى النص ،  
فالصوت من مميزات الدلالة إذا كان مقصودا أو في نظر الاستعمال من حيث تكراره  
أو تأكيده أو صفه بجوانب صوتية أخرى متجانسة فلا يمكن – كما أظن – تلمّس أو

---

(220) مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة : د. نعمة رحيم العزاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد

إدراك دلالة البنية إلا إذا نظرنا إلى الارتباط بين صفة الصوت ومخرجه وطبيعة المعنى ، بل إن نتائج مستويات المنظومة اللغوية جميعها تبقى نتائج منقوصة إذا أغفلنا دراسة البنية الصوتية للمفردة (( فإذا أردنا أن ننشئ دراسة صرفية على أساس سليم فسوف لا يمكننا أن نفصل بين النطق وبين الجهر والهمس وليس هناك علم للدلالة بلا صرف ولا علم للصرف بلا أصوات ))<sup>(٢٢١)</sup> لارتباط مستويات اللغة ارتباطاً عضوياً فيما بينها ، - إذن - فوصف الصوت يعني رسم الخطوط الأولية للمس العنصر الدلالي للبنية ، ووصفه جزء من وصف منحنيات الخط الدلالي للنص بأكمله ، فإذا كانت دراسة العنصر الصوتي للمفردة تسهم بتحديد اتجاهات النص فلا غرو أن نجد ارتفاع إمارات الاهتمام به منذ عصر تدوين اللغة حتى وقتنا الحاضر<sup>(٢٢٢)</sup> ، وترتفع تلك القيم الصوتية - الدلالية إذا كان النص نصاً سماوياً كرفعة الخطاب القرآني ، إذ وظفت طاقات الصوت الإيحائية لأجل تجلية مستويات المعنى المراد في القرآن حتى يكاد بفعله أن يكون المعنى مرئياً مدركاً ، فأُنزلت كل مفردة بموضعها الذي تقصر عن أداء المعنى ذاته مفردة أخرى (( فاختر لكل حالة مرادة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها ، فجاء كل لفظ متناسبا مع صورته الذهنية ودلالاته السمعية ))<sup>(٢٢٣)</sup> ، فهو عندما يهدد أو يخبر عن وقع عذاب أليم تراه يصم الآذان بألفاظ ذات أصوات تناسب التهديد ، فشدة صوتية بموضع الشدة والقسوة ، ورقة بمكان الرحمة ، كل ذلك بـسياق مناسب يـؤثر في

المتلقي ، فكان البناء الصوتي لاستعمال أية مفردة ينتظم بميزات صوتية تغاير سمات وخصائص ما سواها من المفردات في قيمها الصوتية ، فضلا عن عناصر التأثير الناتجة عن مجاورة البنى اللغوية فيما بينها ، فإحياء صوت المفردة القرآنية يدع خيال المتلقي أزاء (( سلسلة من المعاني التي تتداعى متصلة بالكلمة وهو مرتبط غالبا بـرس الكلمة وإيقاعها وما تحملها من

(221) مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان ، دار الثقافة - مصر ، ط : ٢ (١٩٧٤) : ١١١ .

(222) المدخل إلى علم أصوات العربية : د. غانم قدوري الحمد ، المجمع العلمي ، (٢٠٠٣) : ٩ .

(223) الصوت اللغوي في القرآن : د. محمد حسين الصغير ، دار المؤرخ ، بيروت - لبنان ، ط : ١ - (٢٠٠٠)

(( ظلال ))<sup>(٢٢٤)</sup> ، فانسجمت المفردة القرآنية بإيقاعها مع مستويات معناها فلا همس إلا إذا ارتضى المعنى الرقة والخفة ، ولا جهر إلا إذا أراد السياق ذلك ، ولا عمق لمخرج الصوت إلا إذا تطلبه مستوى الحدث المعالج ، (( فمن عجيب لفظه وبديع أسلوبه ، ذاك تناسب أجراس حروف كلماته المختارة ، مع وقع معانيه في النفوس ، كأنما اللفظ والمعنى يتواكبان ويتسابقان في السطو على الأسماع ومشاعر القلوب معا ، ذلك على السمع وهذا على الفؤاد في التئام ووائم ، فإن كان تكریما فلفظ أنيق ، أو تشريفا فتعبير رحيق ، وإن تهديدا فكلمة غليظة ، أو تهويلا فلفظة شديدة ، وهكذا تتجسد معاني القرآن في قوالب ألفاظه وتتبلور في أجراس حروفه ))<sup>(٢٢٥)</sup> ، لذا جاء هذا الفصل محاولة لربط المنحى الصوتي ودلالاته بأفق المعنى ومستواه ، راسما منحنيات الخط البياني لمسيرة النص الدلالية والنص بأكمله ، باحثا في ظاهرة الانسجام بين خفة الصوت ومخرجه والمعنى المراد ، بمقارنة النص القرآني بعضه ببعض منطلقا من الآية لعنونة المعنى بعنوان صوتي – دلالي مستمدا من طبيعة أصوات المفردة فضلا عن سياقها الإجمالي وهو الذي استقل به المبحث الأول ، وجاء المبحث الثاني لبحث التغيرات الصوتية لألفاظ السَّمع القرآنية فضلا عن صورها في رسم دلالة القرآن ، وتحقيق صورة نطقية صوتية بملحظ الخفة النطقية .

## المبحث الأول

<sup>(224)</sup> الإعجاز القصصي في القرآن : أ.د. عطية علي مطوع ، دار الآفاق العربية ، ط : ١ (٢٠٠٦) : ٢٥٩ .

<sup>(225)</sup> التمهيد في علوم القرآن : محمد هادي معرفة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط : ٣ (١٤١٦) : ٥ / ٢٢٢ .

## دلالة البنية الصوتية

أولا - دلالة الانسجام الصوتي :

الانسجام : مصدر للفعل سجم وانسجم (( وسجمت العين دمعها سجما ... ومن المجاز ... أرض مسجومة : ممطورة وناقاة سجوم ومسجام : درور ، وقد سجت ، وسجم عن الأمر : أبطأ وانقبض ))<sup>(٢٢٦)</sup> ، أي إن : مدار الانسجام لا يتعدى دلالة الرقة والسلاسة وسهولة النطق بالحروف، ونجد هذا المعنى عند بعض المتقدمين من دراسي إعجاز القرآن ومنهم الرماني (٣٨٥هـ) ولكن تحت مصطلح (( التلاؤم )) الذي هو (( نقيض التنافر والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف ))<sup>(٢٢٧)</sup> ، ولا يخفى أن الانسجام صورة من الصور التي تستريح لها الأذان ، وهو ما بدا في مفردة السَّمع في القرآن إذ كانت مؤثرة في كل نفس ، تنساب على مدرج اللسان حرة طليقة مما يعني ارتياح النفس لذلك المعنى في أحسن صورة وأسهل طريقة ؛ لأنها تكون بمثابة الممهّدات لتقبل المعنى ، ومرد هذا الانسجام إما بتأثير تلائم مخارجها على الرغم من التباعد المخرجي فيما بينها إلا أنها منسجمة ، فمخرج السين من أسلة اللسان ومستدقه<sup>(٢٢٨)</sup> ، والميم من الشفتين ، وينقلب مدرج اللسان إلى عمق الحلق حيث مخرج العين<sup>(٢٢٩)</sup> ، لأن سبب الانسجام كما يرى الرماني ( ٣٨٦هـ ) (( تعديل الحروف في التأليف فكلما كانت أعدل كان أشد تلاؤما وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد وذلك إنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة المقيد لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه وكلاهما صعب على اللسان والسهولة من ذلك في الاعتدال ))<sup>(٢٣٠)</sup> - وربما - هذه الخفة النطقية بفعل الصوائت الثلاثة ( الفتحتان والكسرة ) إذ منحتهما مرونة نطقية لأن الفتحة وهي بعض الألف من الحركات الخفيفة (( وسبب ذلك سرعة النطق بها ، ومضاؤه من غير عناء يلحقه ولا

<sup>(226)</sup> لسان العرب سجم و ظ : أساس البلاغة : سجم .

<sup>(227)</sup> النكت في إعجاز القرآن : ٩٦ .

<sup>(228)</sup> ظ : العين : ٥٢/١ - ٥٤ ، ومناهج البحث في اللغة : ١٢٧ .

<sup>(229)</sup> ظ : العين : ٥٢/١ - ٥٤ ، والأصوات اللغوية : ٤٣ .

<sup>(230)</sup> النكت في إعجاز القرآن : ( ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ) : لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ،

تح : محمد خلف الله و محمد زغلول سلام ، دار المعارف - مصر ، (د.ت) : ٧١ .



كلفة ولهذا إذا توالى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم يستكره ذلك ولم يستثقل بخلاف الحركات الثقيلة ، فإنها إذا توالى فيها اثنتان في كلمة واحدة استكرهت واستثقلت ، وذلك لما يجده الناطق فيها من تكلف العناء وتجشم المشقة ((<sup>٢٣١</sup>) ، ومن أجل هذا استثقلت الضمة على الواو والكسرة على الياء لأن الضمة بعض الواو والكسرة بعض الياء فكأنهما حركتان ثقيلتان ، (( فإننا إذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف وهي (( ج - ز - ع )) فلا خلاف أنا إذا جعلنا ( الجيم ) مفتوحة كانت أحسن من جعلها مضمومة ، فإن من له أدنى ذوق وأقل معرفة يعلم ان (( الجَزَع )) أحسن وقعا من (( الجِرْع )) و (( الجِرْع )) أحسن موقعا من (( الجُزَع )) ومن المعلوم أن اللفظة لم يكن اختلاف حركاتها مغيرا لمخارج حروفها ، حتى ينسب قبحها وحسنها إلى المخارج ، بل قد تحققنا أنه يكسوها تارة حسنا وتارة يسلبها ذلك الحسن عنها ورأينا الحسن إنما يحدث لها إذا فتحنا (( الجيم )) فعلمنا أن حسنها حادث من ذلك السبب )) (<sup>٢٣٢</sup>) ، لذا إن فتح السين في (( سَمِعَ )) هو العامل الذي دعا لخفتها ، إذ بلغ مجموع تكرار - الصوائت القصيرة - من الضمة والفتحة والكسرة في مفردة (( سَمِعَ )) ستا وأربعين وأربعمائة مرة (<sup>٢٣٣</sup>) ، ولا يخفى أن هذا العدد الكبير يكسب مفردة (( سَمِعَ )) خفة في نطقها ، وسلاسة في استعمالها ، فضلا عن أن هذا العدد من الصوائت يمنحها وضوحا صوتيا وسمعيا لأن للصوائت أثرا واضحا ، وتتضح ظاهرة الخفة النطقية كذلك من ارتفاع نسبة الأصوات المجهورة التي بلغ مجموع تكرارها تسعا وعشرين وخمسمائة صوت مجهور (<sup>٢٣٤</sup>) ، على حين بلغ ورود الصوائت القصيرة والطويلة واحدا وثلثين وستمائة صوت ، وبما أن الصوائت من المجهور فإن مجموع تكرار الأصوات المجهورة في بنية مفردة ( السَّمْع ) في القرآن يكون ألفا ومائة وستين صوتا مجهورا (<sup>٢٣٥</sup>) ، وقد أجمع بعض (( علماء الأصوات من أن الأحرف المهموسة تحتاج للنطق بها

(<sup>231</sup>) الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور : ضياء الدين بن الأثير ، قام بتحقيقه والتعليق عليه : د. مصطفى جواد ، و د. جميل سعيد ، المجمع العلمي العراقي ، (د.ت) : ٣٤ ، و ظ : الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : محمد علي المؤمن ، دار الكتاب العربي (د.ت) : ٧٥/١ .

(<sup>232</sup>) الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور : ٣٤ .

(<sup>233</sup>) ظ : ملحق برقم ( ١ ) .

(<sup>234</sup>) ظ : ملحق برقم ( ٢ ) .

(<sup>235</sup>) ظ : ملحق برقم ( ١ ) ، ( ٢ ) .

إلى قدر أكبر من هواء الرئتين مما تتطلبه نظائرها المجهورة ، فالأحرف المهموسة مجهدة للنفس ، ولحسن الحظ نراها قليلة الشيوخ في الكلام ، لأن خمس الكلام يتكون عادة من أحرف مهموسة ، وباقي الكلام أحرف مجهورة ))<sup>(٢٣٦)</sup> ، وتنسجم هذه النسبة مع أصل اللغة في الدلالة على المعاني (( إذ برهن الاستقراء أن نسبة شيوخ الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخمس أو العشرين في المئة منه في حين أن أربعة أخماس الكلام أصوات مجهورة ))<sup>(٢٣٧)</sup> ، وهذا يدل على خفة أصوات ألفاظ السَّمع في القرآن فضلا عن سمة الوضوح فيها ، يقول الدكتور أحمد مختار عمر (( أنه يتنبأ الإنسان بكثرة تردد (( الحاءات )) وقلة تردد (( العينات )) في اللغة العربية على أساس أن الحاء مهموس والعين مجهور والمهموس بالنسبة للمجهور بسيط ولكن جاءت اللغة العربية على عكس هذا تحقيق غاية أهم وهو الوضوح السمعي ))<sup>(٢٣٨)</sup> ، في حين بلغت نسبة الأصوات المهموسة فيها عشرة ومائتي صوت ، وتأسيسا على هذه المعطيات تعد مفردة ( سمع ) جميلة لأن انسجام أصوات مفردة ما بعضها مع بعض ركن مهم من أركان الحكم عليها بالجمال الصوتي فهو (( كانسجام النغمات الموسيقية في الألحان ، وكانسجام الألوان في الطيف ))<sup>(٢٣٩)</sup> .

ثانيا - دلالة الشدة والغلظة :

تتغاير المواقف التي يسوقها القرآن ، فبعضها يحمل دلالة الرأفة فتكون الأصوات رخوة مهموسة ومناسبة تلتقي مع دلالة تلك الآفاق ، وبعضها شديد ، قاس فيه العنف والشدة فيختار النص بنى صوتية شديدة قوية تنسجم مع أفق ذلك المعنى ، لأن الانسجام بين الأصوات ومعناها خطوة في توصيل الرسالة ، ويؤثر عنصر السياق بدورا في توجيه استعمال تلك البنى الصوتية بما يلائم المراد ، كقوله تعالى: (صُمُّ بُكْمٌ عُمِّيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)<sup>(٢٤٠)</sup> ، فنلاحظ أن السياق القرآني هو الذي فرض هذه الصياغة الصوتية لهذه الأوصاف الثلاثة ونظمها بهذه الهيأة

<sup>(236)</sup> موسيقى الشعر : د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الإنجلو المصرية - القاهرة ، ط : ٤ (١٩٧٣) : ٣٠٠ .

<sup>(237)</sup> الأصوات اللغوية : ٢٢ .

<sup>(238)</sup> دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب - القاهرة ، ط : ٣ (١٩٨٥) : ٣٤٢ .

<sup>(239)</sup> الرسم واللون : محيي الدين طابو : ٣٤ .

<sup>(240)</sup> البقرة من الآية: ١٨ .

المعبرة ، فالآيات التي سيقت بضمناها هذه الآية أفصحت عن التعالي المفرط و ظاهرة النفاق التي سرت في أرواحهم ، فهم صَمُّ بكم عمي لا ينسجمون مع الهدى، إن دلالة الشدة والغطرسة المستفاعة من هذه الأوصاف الثلاثة برزت بفعل الصياغة الصوتية وحسن التآليف الذي تتخذه

((المفردات مواقع معينة في تشكيل لغوي مفيد، فالتأليف هو التشكيل ... ولا يتم ذلك إلا بحسن توزيع المواقع ودقة ترتيب الكلمات))<sup>(٢٤١)</sup> لأن جمال البلاغة حسن الموقع، فإسقاط إية مفردة من المفردات الثلاث أو تبديل مواقعها كأن يقال : (( صَمَّ عمي بكم )) أو

(( عمي بكم صَمَّ )) أو غيرها من التآليفات يضعف الدلالة التي أداها النظم الصوتي ذلك أن الانتقال من (( التتوين )) في (( صَمَّ )) إلى (( الباء )) في (( بكم )) أسهل وأرشق وأكثر مرونة من الانتقال من التتوين في (( صَمَّ )) إلى (( العين )) في (( عمي )) ، لأن اتساق المفردات بعضها مع بعض ولاسيما في القرآن مؤسس على نظم صوتي خبير وفلاو كـان التآليف (( صَمَّ بكم )) لحدثت طفرة - كما يقول الرماني - فإذا أضفنا إلى ذلك توحد البنية المقطعية لتلك الألفاظ إذ تكونت جميعها من مقطع طويل مغلق /صـ /م /مـ /، /بـ /كـ /مـ /نـ /عـ /مـ /يـ /نـ / أدركنا إيقاعا صوتيا متناسبا على وفق انتظام زمني محدد و أدركنا بالوقت نفسه إتقاننا ملموسا أبان المعنى ، ثم نلاحظ أن تلاحق البنى الصوتية المكونة لهذه المفردات الثلاث تشترك بقاسم يوحدتها من جهة التقارب في صفات أصواتها إذ تشترك بصفة (( القوة والجهر )) على طول الجملة مما أكسبها فخامة - كما يقول القدامى - ، وعلوا صوتيا ، يتناغم وطبيعة سياق الحدث ومستواه ، فالصاد صوت مطبق به (( ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له ))<sup>(٢٤٢)</sup> ، ثم صويت (( الضمة )) يمنحها ثقلا ، و(( الميم )) المجهور وهو صوت (( أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري

<sup>(241)</sup> الأعجاز القصصي في القرآن : ٢٦٧ .

<sup>(242)</sup> سر صناعة الإعراب : صنعة أبي الفتح عثمان بن جني ، نح : مصطفى السقا ، محمد الزفراف ، إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ، مطبعة مصطفى البابي وأولاده - مصر ، ط : ١ (١٩٥٤) : ٧٠/١ .

الصوت ((<sup>٢٤٣</sup>) ، وفضلا عن جهارته فهو صوت أغنّ ، وقد شددت الميم لتزداد الغنة ، وإمعانا من النص في إظهار دلالة الشدة والمبالغة أردفت مفردة (( صَمُّ )) بمفردة (( بكم )) وليست الثانية بأقل شدة من بنى أصوات المفردة الأولى ، فالباء (( صوت انفجاري اشتد لزومه لموضعه وقوي فيه حتى منع الصوت أن يجري فيه عند اللفظ به )) (<sup>٢٤٤</sup>) ، فضلا عن شدته وثقله وقد تعاضد مع الميم في صفة الجهارة صوت الكاف الاحتكاكي الخشن لتعود الميم ثانية بعد أن ارتفعت نغمتها في بداية الجملة ، وجاءت العين في (( عُمِّيُّ )) وهي من أقصى الحلق وتمتاز بجرسها الضخم ، ولا تدخل بناء إلا وحسنه ثم لتعود نغمة الغنة في الميم ثالثة. لتمتد تلك النغمة (( الغنة )) على طول المسار الصوتي ولا يخفى أن ارتفاع نغمة معينة وسط نغمات أصوات أخرى له أثر دلالي على معنى الآية ، فالصاد والميم في (( صَمُّ )) والباء والميم في (( بكم )) والعين والميم في (( عمي )) كلها أصوات (( مجهورة ، شديدة ، انفجارية )) وتلك الصفات تلائم الغلظة والشدة لذا تعاضدت هنا لتؤدي دلالة ما أريد منها من إفراز مستوى حقيقة المنافقين ، وتبدو معاني الشدة والتهويل بارزة في قوله تعالى : ( إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ) (<sup>٢٤٥</sup>) ، يلحظ أن سياق الآية مشحون بالشدة والقسوة والتهويل وعلو درجة الخشية والاضطراب ، فالتغيظ هو إظهار الصوت ، وقد يكون مع صوت مسموع ، والزفير تردد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه (<sup>٢٤٦</sup>) ، وهي أوصاف حشدت لتدل على غضب النار بالتهام أجساد المشركين ، فصياغة الفعل (( غيظ )) و (( زفر )) على بناء معين واتساقهما في نظم صوتي دلًا على ذلك المعنى ، فإن بناء (( تفعل )) يدل صوتيا وصرفيا على معنى الاجتهاد والحركة وشدة الفعل والاستمرار في حدوثه ، فضلا عن التشنج الشديد في (( تغيظ )) يطلق دلالة تصوير ذلك المشهد وإظهار عنصر المبالغة والشدة والتفخيم فيه

(<sup>243</sup>) الكتاب : تأليف : سيبويه ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تح وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب - بيروت ، ط : ١ (١٩٧٩-١٩٨٣-١٩٨٨) : ٤/٤٣٤ .

(<sup>244</sup>) م.ن : ٤/٤٣٥ ، ط : سر صناعة الإعراب : ٧٥/١ .

(<sup>245</sup>) من الفرقان : ١٢ .

(<sup>246</sup>) ط : المفردات : غيظ ، وزفر .



بنائها الصوتي ، وتاليها الصرفي يدل على معناها ، فالصا د صوت مطبق ذي صفير  
صاخب تصحبه ضوضاء متأتية من ضيق مخرجها ، فضلا عن التثديد الذي افرزه  
إدغام اللام بالصا د<sup>(٢٥٤)</sup> فان له دلالة توقيعية بمعنى الشدة والقسوة وهما يناسبان عظمة  
يوم القيامة وشدة هوله ، وأفرز طول صوت المد (( الألف )) معنى المبالغة والتفخيم  
في استطالة نطقهما وهذا أكسبها صدى شديدا ذي ارتداد مرتفع فحروف المد أوضح  
في السَّمع من الحروف الأخرى كالعين والفاء مثلا<sup>(٢٥٥)</sup> وإن صوت الألف يفوق  
الممدودات في وضوحه السمعي (( فأصوات اللين المتسعة أوضح من الضيقة ، أي إن  
الفتحة أوضح من الضمة والكسرة ))<sup>(٢٥٦)</sup> لذا تُعدُّ الألف أوضح من الواو والياء ، لأن  
النطق بهما يتطلب زمنا أطول<sup>(٢٥٧)</sup> ، و لمجيء الخاء المهموسة والهاء المهوتوة  
وعمق مخرجيهما يعطي طابعا آخر من الشدة والتفخيم ، فتكون البنى الصوتية المكونة  
لهذه المفردات بنى شديدة  
(( تخرق صماخ الأذن في ثقلها وعنف جرسها للهواء شقا حتى يصل إلى الأذان صاخًا  
ملحا ))<sup>(٢٥٨)</sup> ، فالعنف المبتوث في طيات هذه المفردة يكمن في هذا المد الطويل الذي  
لا غنى عنه ، حتى الوصول إلى الشدة ، وكأنما تصور الحركات شدة ذلك اليوم الهائل  
فهي تصور الهبوط القوي الذي يفسر معنى الطمِّ والصَّخِّ وغالبا ما يرد هذا البيان  
القرآني في موقف الشدة والتهديد والتقريع والعنف (( فهناك نوع من الألفاظ يرسم  
صورة الموضوع ، ولكن لا بجرسه الذي يلقيه في الأذان ، بل بظله الذي يلقيه في  
الخيال ، وللألفاظ كما في العبارات ظلال خاصة يلحظها الحس البصير ، حينما يوجه

<sup>(254)</sup> إن اللام اختفت مع الصا د بسبب التقارب الصوتي والمخرجي بينهما ، وبسبب ضعف موقع اللام وقوة

موقع الصا د بعدها وهي مماثلة رجعية ، ظ : المنهج الصوتي للبنية العربية : عبد الصبور شاهين ، مؤسسة

الرسالة ، بيروت (١٩٨٠) : ٢١٢ .

<sup>(255)</sup> ظ : موسيقى الشعر : ٢٨١ .

<sup>(256)</sup> الأصوات اللغوية : ٢٧ .

<sup>(257)</sup> ظ : موسيقى الشعر : ٢٦٥-٢٧٣ .

<sup>(258)</sup> التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، دار المعارف ، (١٩٦٣) : ٧٩ .

إليها انتباهه وحينما يستدعي صورة مدلولها الحسية ((<sup>٢٥٩</sup>) وقد يشترك الجرس والظل في تكوين ملامح المعنى ، فكأن الخطاب القرآني بهذه البنية يستحضر وقائع ذلك اليوم فيجعلك على مرأى منه ومسمع فتمتلئ إيماناً وهداية، ثم إن البناء المقطعي لمفردة (( الصّاخة )) مغرق في الطول والمد والتشديد فتستوحى من بنيتها المقطعية مقدار شدتها ، لنستنتج من ذلك أهميتها وأحقيتها بالتلث والرصد والتفكير (<sup>٢٦٠</sup>) ، فهي تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي والأداء الجهوري لسماع رنتها مما يتوافق نسبياً مع إرادتها في جلجلة الصوت وشدة الإيقاع ، كل ذلك مما يوضح مجموعة العلاقة القائمة بين اللفظ ودلالته في مثل هذه المجموعة الصوتية ، فإذا أضفنا إلى ذلك معناها المحدد في كتاب الله تعالى وهو يوم القيامة خرجنا بحصيلة علمية تنتهي بمصاقبة الشدة الصوتية للشدة الدلالية بين الصوت والمعنى الحقيقي (<sup>٢٦١</sup>) ، ولعل الراغب الأصفهاني منح مفردة (( الصّاخة )) دلالة أعمق في الإرادة الصوتية المنفردة فيقول : ((الصّاخة شدة صوت ذي المنطق)) (<sup>٢٦٢</sup>) (( فإن موافقة أصوات ... الصّاخة ... لمعانيها في الدلالة على يوم القيامة ، من أعظم الدلالات الصوتية في الشدة والوقع والتلاؤم البنيوي لمثل هذه الصفة الحاصلة )) (<sup>٢٦٣</sup>) - إذن - رسمت هذه البنية الصوتية بوساطة شدتها لوحة ذلك اليوم ونقلته لك نقلاً يكاد أن يكون مبصراً محسّساً وكذلك مادة (( وقر )) في قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ) (<sup>٢٦٤</sup>) ، فلما كان السياق موظفاً لمعنى التوبيخ والتقريع والشدة والزجر رأينا ارتفاع ظاهرة الانسجام بين الصيغة الصوتية لمفردة (( الوقر )) والأصل الدلالي لها ، فالوقر : ثقل في الأذان ، وقيل هو أن يذهب السَّمع كله ، وقد وقرت أذنه وقرأ أي

(<sup>259</sup>) م.ن : ٨٠-٨١ .

(<sup>260</sup>) الصوت اللغوي في القرآن : ١٧٠ .

(<sup>261</sup>) ظ : م.ن : ١٦٩ .

(<sup>262</sup>) المفردات : صحّ .

(<sup>263</sup>) الصوت اللغوي في القرآن : ١٧٠ .

(<sup>264</sup>) فصلت من الآية : ٤٤ .

صُمَّتْ<sup>(٢٦٥)</sup> ، لذا ناظرت البنية الصوتية بثقلها وشدتها ثقل السَّمع وتعطله ، ونلاحظ أن شدة السياق ومضمونه سوَّغ الاختيار لهذا المانع من دون الموانع الأخرى كالصمم والطبع والختم وغيرها ، لأنها دون (( الوقر )) في شدتها الصوتية أقل منها في شدة المنع (( دلالة على أنهم صَمَّ بكم عمي عن القرآن يتصامون عن سماعه ويتعامون عما فيه من الآيات ))<sup>(٢٦٦)</sup> ، لو أبدلت هذه المفردة بغيرها لاختل المسار الدلالي الذي بني عليه النص ، ولذهبت النبرة المرتفعة للجملة ، فانسجمت مع جارتها على وفق نبرة الصوت ومناسبته وإخباره ، فلا تسد أصوات مفردة أخرى أصوات هذه البنية لمناسبة المعنى مبناه ، وانسجام اللفظ بسياقه ، وإذا كان السمع والبصر قد عطلا هنا فإن القلوب مع السمع معطلة في قوله تعالى : ( قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ )<sup>(٢٦٧)</sup> .

إن الخطاب القرآني بهذا الموضوع حشد ثلاث أدوات بيانية لرسم ملامح صورة علو الاستكبار عند هؤلاء، فضلا عن الإيحاء الصوتي لبنية المفردة (( وقر )) ومحاكاتها لدلالاتها نجد أن النص ساق أداة أخرى لإكمال إطار الصورة المتناسقة فنيا وهي صــــورة (( قلوبنا فــــي أكنة )) ، فالكنُّ : ما يُحفظ فيه يقال : كننت الشيء كنا جعلته في كنٍّ ، والجمع أكنة ومفردها كنان<sup>(٢٦٨)</sup> ، أي إن قلوبهم استحفظت في أكنة تعذر عليهم فهم ما يلقي على مسامعهم ، لأن السمع إذا عطل تعدى فعل التعطيل للقلب وهذا من بديع التصوير القرآني المؤثر ، ولم يكتف بذلك بل ذيل الجملة القرآنية بقوله : ( وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ) ، بمعنى إقامة العازل الكثيف الذي يمنع أطراف عملية السَّمع بعضها عن بعض أي بين المُسْمِعِ والمُسْمَعِ ، فهناك – إذن – حشد فني لتوضيح أجزاء الصورة المرادة كما يتضح من خلال المخطط الآتي :

<sup>(265)</sup> ظ : اللسان : وقر ، والمفردات : وقر .

<sup>(266)</sup> حاشية ابن المحيد : مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي ، ضبطه وصححه وخرج آياته : عبد الله محمود محمد عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط : ١ (٢٠٠١) : ١٧ / ١٧٧ .

<sup>(267)</sup> فصلت من الآية: ٥ .

<sup>(268)</sup> ظ : المفردات : كنٍّ، وتهذيب اللغة : كنٍّ .



قلوب معطلة (( مستحفظة في أكثة )) + أذان مقفلة (( فيها وقر )) + حجاب

ع\_\_\_\_\_ازل

(( يمنع عملية الاتصال )) = الكفر والضلال .

فالتركيب القرآني هنا جمع أكثر من وسيلة لحشد معاني العناد من الكبير والكفر ، فينقل لك إحياء الصوت في (( وقر )) مشهد ثقل من الحديد المثقل بالسلاسل التي تصك مسامعهم ، ويشير بشاعة ذلك الحجاب السميك في نفوسنا وخيالنا فقدان الأمل في مدّ جسور الصلة بين أطراف الدعوة كلها .

رابعا - دلالة الترقب والخشية في امتناع السمع.

لما كان إيقاع الأصوات يتباين تبعا لاختلاف مخارجها ، فيثير تكرار بعض الأصوات صدى نغميا معينا من فرح وسرور أو خشية وترقب ، اتقن القرآن مجانسة هذه القيم الصوتية بما يوافقها من دلالة إمعانا في تجسيد المعنى بصورة حسية مؤثرة (( فهناك المواضع التي يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها ، فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسية والمعنوية ... فقد يستقل لفظ واحد - لا عبارة كاملة - برسم صورة شاخصة لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم الصورة ... خطوة يزيد قيمتها أن لفظا مفردا هو الذي يلقيه في الخيال وتارة بالظل والجرس معا ))<sup>(٢٦٩)</sup> لأنّ الصوت اللغوي قادر على استنتاج نوع الحدث بصداه فمن إيحائه تنطلق لمشاهدة ذلك الحدث ، ولكي تمتزج الممارسة النظرية بالعملية التطبيقية يحاول البحث لمس الدلالة الصوتية (( دلالة الترقب والخشية )) في قوله تعالى : ( لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ )<sup>(٢٧٠)</sup> ، إذ برزت في سياق هذه الآية سيادة صوت السين على مسار النظم الصوتي كله ، فتعاضدت ثلاثة أصوات من نوع واحد لتحاكي بذلك أصوات النار ولهيبها ، وتنقل لنا جزءا من واقعة القيامة وصورة حسيس النار بوساطة من إحياء الصوت وجرسه ، وكأن الصمت والسكون هو المتسيد سوى صوت النار فإنه يقرع الإسماع ليملاً النفوس رعبا وخوفا واضطرابا بيد أن المؤمنين بمأمن منه ،

<sup>(269)</sup> التصوير الفني في القرآن : ٨٦ .

<sup>(270)</sup> الأنبياء من الآية: ١٠٢ .

فمفردة (( حسيستها )) من الألفاظ المصوّرة بجرسها معناها ، فهي تنقل صوت النار وهي تسري وتحرق ، وتحدث ذلك الصوت المفزع ، وإنه لصوت يتفزع منه الجلد ويقشعر<sup>(٢٧١)</sup> ، (( ولذلك نجا الذين سبقت لهم الحسنى من سماعه - فضلا عن معاناته - نجوا من الفزع الأكبر الذي يذهل المشركين وعاشوا فيما تشتهي أنفسهم من أمن ونعمــــــــــــــــيم ، وتتــــــــــــــــولى الملائكةــــــــــــــــة اســــــــــــــــة تقبالهم بالترحيب ، ومصاحبتهم لتطمئن قلوبهم في جو الفزع المرهوب ))<sup>(٢٧٢)</sup> ، فتكرار السين ثلاث مرات خلق سياقاً صوتياً ذا نغمة قربت صورة المشهد للمتلقى ، أي إن الإيحاء الصوتي هنا قد وظف توظيفاً إشارياً ، من وراء ظلال الصوت تلمس لحقيقة المعنى المراد ، وقد وجهت صيغتهما الصرفيتان وتضمنها (( الياء )) المدية في (( حسيــــــــــــــــسها )) و (( الــــــــــــــــواو )) فــــــــــــــــي (( يسمعون )) دفعا دلالياً قد أطلبت بهما النغمة المفرزة من خلال السينات ، وفي مشهد آخر يرسم النص بوحى أصواته خشوع الصوت وسيادة الهمس في قوله تعالى : ( وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا )<sup>(٢٧٣)</sup> ، إن تقديم مشهد به من ملامح الدقة التصويرية الموحية لم يكن إلا بفعل السمة الصياغية التي صيغت بموجبها البنى الصوتية لمفردات (( خشعت ، وتسمع ، وهمسا )) لتكوّن بذلك نمطاً سياقياً دالاً على الترقب والحيرة والخوف الذي يدبُّ في نفوسهم ، فالسياق الصوتي لهذه البنى الثلاث حدّد المعنى . فخشوع وانكسار وضعف وصمت وسمع متسلط ، (( أي : خفضت الأصوات من شدة الفزع وخفنت فلا تسمع إلا همسا : وهو الركن الخفيف المهموس ، وقيل : هو همس الإبل وهو صوت إخفاقها إذا مشت ، أي : لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر ))<sup>(٢٧٤)</sup> ، فالترابط النغمي بين مفردتي (( سَمِعَ وَهَمَسَ )) شكلاً

<sup>(271)</sup> ظ : التصوير الفني في القرآن : ٨٦ .

<sup>(272)</sup> في ظلال القرآن : مج ١ ، ٢٣٩٩/٢ .

<sup>(273)</sup> طه من الآية : ١٠٨ .

<sup>(274)</sup> الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : تأليف الإمام أبي القاسم جار الله

محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، تح : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط

: ٣ (٢٠٠٣) : ٨٦/٣ .

حاجزا صوتيا متسيّدا تتضاءل دونه أصوات المفردات جميعها سوى صوت السين في المفردتين ، كما إن لهشاشة (( الهاء )) في (( همسا )) ولينها وخفتها وهمسها وحفيف صوتها الخافت وغنة الميم قد وافق الهمس ، ودلالة الخفاء ورقة الصوت إذا استطاعت حاسة السَّمع بعد أن فعّلت بأعلى طاقاتها أن تلتقط أقل الأصوات ترددا ، ومنه قوله تعالى : ( يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ) (٢٧٥) ، وكان البحث قد أشار الى أن التحسس يقترن بمدلوله اللغوي بمعنى التسمع وإدراك المحسوس بالأذن (٢٧٦) ، لأن الحس مما يدرك بالأذن أي : (( تعرفوا من خبره بحواسكم فإن التحسس طلب الشيء بالحاسة )) (٢٧٧) – إذن – دلالة (( التحسس )) تترجح بين طلب المعرفة سرا أو طلب العلم ترقبا والسر والترقب كلاهما مشتمل على معنى الهمس والهدوء لذا جيء بالفعل (( حس )) لما كان الفعل يستلزم السرية والعناية ، لأن بحثهم عن يوسف وأخيه بحث بسرية واختلاس ، فهناك أربعة أصوات مهموسة استجابة لمقتضى الحدث وطبيعته ، في حين استعمل الفعلين (( لطف وشعر )) في قوله تعالى : ( فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ) (٢٧٨) ، فالسياق في النصين حدد قصدية الاختيار في استعمال البنى الصوتية بما يلائم نوع الحدث وسمة الموضوع ، ففي سورة (( يوسف )) (عليه السلام) أوصاهم بجمع المعلومات عنه كخطوة في رصد تواجده ، أما في سورة (( الكهف )) فإنه لم يطلب منهم وظيفة التحسس من الآخرين إنما الاحتراس والتوجس منهم خشية سواء بمنظرهم أو ممارستهم الفعلية ، فلما كان السياق في الاستعمال الأول استراق السَّمع من الآخرين استعمل (( تحسسوا )) ، في حين استعمل (( فليتلف ولا يشعر )) لما كان سياق الحدث الاحتراس من أن يعرفهم الناس ، و هو غير التحسس الذي فيه معنى (( التسمع )) ، فاستعمل لكل حدث مناسبه من الصيغ اللفظية .

(275) يوسف من الآية: ٨٧ .

(276) ظ : اللسان : حس .

(277) روح البيان : الشيخ إسماعيل حقي اليروسوي ، دار الفكر ، ط : ٢ (٢٠٠٣) مج:٣، ٣٠٩١٤.

(278) الكهف من الآية : ١٩ .

مما تقدم يتضح : إن البنية الصوتية لها أثرها في إبراز الحدث وليس الدلالة فقط (( فاختر لكل حالة مراده ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها ، فجاء كل لفظ متناسبا مع صورته الذهنية من وجه ، ومع دلالاته السمعية من وجه آخر )) (٢٧٩) ، فلم تكن الشدة الصوتية إلا بموضع الزجر والنهي والتقريع ، وما سيقت الأجراس الصوتية الرقيقة إلا بموضع العطف والرقرة والحلم ، فاستوى التناسق الصوتي – الدلالي وحدة بيانية معبرة عن القصد في النص كله ، لأن المعطيات الصوتية الدلالية (( تستمد من طبيعة الأصوات نغماتها )) (جرسها)) (٢٨٠) ، فاستوى الجرس الصوتي أو البنية الصوتية للمفردة أدوات تعبيرية دالة ، يزواج الصوت فيها معناه ، وينسجم الموقف بمبناه ، فرأينا قيما دلالية استمدها البحث من الصياغة الصوتية للمفردة فضلا عن اتجاهها السياقي المسوّغ لاستعمالها .

## المبحث الثاني

### دلالة التغيرات الصوتية لألفاظ السَّمع في القرآن الكريم

تتغير المنظومة الصوتية بما يطلق عليه بـ (التحويلات) ، إما بفناء صوت بأصوات أو بصوت آخر أو بإحلال صوت محل آخر (( فحين ينطق المرء نطقا طبيعيا لا تكلف فيه يمكن أن يؤثر بعض أصوات الكلمة في بعض ، كما يمكن أن تؤثر

(279) الصوت اللغوي في القرآن : ١٦٣ .

(280) دلالة الألفاظ : ٤٦ .

أصوات كلمة في أصوات كلمة أخرى أيضا)) (٢٨١) وتتفاوت تلك التغيرات الصوتية بحسب طبيعة الصوت المؤثر والمتأثر (( من الأصوات ما هو سريع التأثير يندمج في غيره أكثر مما قد يطرأ على سواه من الأصوات ، ومجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل هي السر فيما قد يصيب بعض الأصوات من تأثر)) (٢٨٢) ، ومنشأ التأثير ضرورة صوتية تهدف إلى جنس من المماثلة ونوع من المشابهة ، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج (( ويمكن أن نسمي هذا التأثير بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة)) (٢٨٣) ، فيبرز صوت أو يختفي الاثنان ليبرز صوت ثالث (٢٨٤) ، ويقسم الأصواتيون هذه التغيرات على قسمين :

أولا : (( تبدلات تركيبية )) ، وتلك (( تصيب الأصوات نتيجة تماسها أو احتكاك بعضها ببعض في الكلام)) (٢٨٥) ولها صور متنوعة أبرزها :

#### المماثلة : (( Assimilation ))

تميل الأصوات اللغوية – كما أسلفت إلى جنس من المماثلة ، فتؤثر وتتأثر ، فاللغة نظام صوتي مؤثر متأثر ، ويسهم هذا التأثير بقسم كبير في تقليل المجهود العضلي، وتعرف المماثلة بأنها (( التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى ، أو هي تحوّل (( الفونيمات )) المتخالفة إلى مماثلة تماثلا جزئيا أو كلياً)) (٢٨٦) ، بيد أننا يجب ألا نغفل حقيقة (( أن ميل الأصوات نحو التماثل لا يحدث على نحو شامل ومطرد ، فلو أتيح لهذا أن يعمل بحرية فإنه سينتهي بالفروق بين الوحدات الصوتية إلى درجة الصفر

(281) المدخل إلى علم أصوات العربية : ١٩٤ .

(282) الأصوات اللغوية : ١٤٥ .

(283) م.ن : ١٤٥ .

(284) كظاهرة القلب عند مجاورة صوت النون الباء .

(285) الوجيز في فقه اللغة : محمد الأنطاكي ، دار الشرق ، (د.ت) : ١٢٩ . ثانيا : (( تبدلات تاريخية تصيب

الأصوات نتيجة التطور الذي تخضع له خلال الزمان )) .

(286) دراسة الصوت اللغوي : ٤٢٤ .

((<sup>٢٨٧</sup>) ، وتنتهي عندئذ القيم الخلافية بين الأصوات فتندم لدينا حسنة التمييز بين المعاني وتشخيصها ، لذا تبدو ظاهرة أخرى تسمى بالمخالفة (<sup>٢٨٨</sup>) تخفيفاً من آثار الظاهرة الأولى ، وسيقتصر البحث على ما ورد من التحولات الصوتية في ألفاظ السَّمع في القرآن الكريم :

أولاً - دلالة الإدغام :

يعدُّ الإدغام أبرز ظواهر التغيرات الصوتية في اللغة ، ويعرّف بأنه (( واصلك حرفاً ساكناً بحرف مثله من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف ، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد ، ترفع لسانك عنهما رفعة واحدة ليشتد الحرف )) (<sup>٢٨٩</sup>) ، (( لأن الإدغام نطق صوت مضعف لا أكثر ، أما بسبب اتصال جزءيه مباشرة ، وأما عن طريق إسقاط الحركة الفاصلة بين الجزءين ليتم التضعيف )) (<sup>٢٩٠</sup>) ، فالإدغام صوتياً (( صامت طويل يشبه الحركة الطويلة التي تساوي ضعف الحركة القصيرة كما إنه صامت مكرر ، كما يحدث عندما تنقسم الحركة الطويلة إلى حركتين قصيرتين )) (<sup>٢٩١</sup>) .

أ- إدغام المثليين :

وهو ما اتفق مخرجا وصفة كالباء والباء والتاء والتاء والسين والسين (<sup>٢٩٢</sup>) ،

ويحـ \_\_\_\_\_ دث ف \_\_\_\_\_ ي  
كلمة أو كلمتين ، فما وقع في الكلمة الواحدة في ألفاظ السَّمع قوله تعالى : ( وَلَتَسْمَعَنَّ

(<sup>287</sup>) المدخل إلى علم أصوات العربية : ٢١٥ .

(<sup>288</sup>) المخالفة : أن يجتمع في الكلمة صوتان من جنس واحد ، فينشأ عندئذ عسر نطقهما ، فيبدل أحدهما من الآخر .

(<sup>289</sup>) الأصول : لأبي بكر بن السراج النحوي البغدادي ، تح : د. عبد الحسين الفتلي ، مطبعة سلمان الأعظمي - بغداد ، ط : ٢ (١٩٧٣) : ٤٠٥/٣ . وظ: ادغام القراء: أبو سعيد السيرافي، تح: احمد عبد السميع الشافعي، دار

الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط: ١ (٢٠٠٢): ١٢ .

(<sup>290</sup>) المنهج الصوتي للبنية العربية : ٢٠٧ .

(<sup>291</sup>) م.ن : ٢٠٧ .

(<sup>292</sup>) ظ : الإلتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١

(١٩٨٧) : ٩٤/١ .

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا (٢٩٣) ، وأصل (( لتسمعَنَّ )) (( تسمعون )) أكدت بالنون ولام القسم ، وقد حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال فالتقى ساكنان ، حذفت الواو لالتقائهما وبقيت الضمة ، ويلحظ عند فك الإدغام (( لتسمعَنَّ )) الجهد العضلي الذي يتطلبه نطق نونين متتاليين ، فكلاهما صوت مجهور ، فجاء الإدغام للتخفيف ، فبدت غنة النون ذات نبرة محببة (( تقضي على تلك العادة الشائعة في بعض اللهجات العربية الحديثة من الميل إلى قلب النون الأولى صوت لين أو همسها اكتفاء بالثانية )) (٢٩٤) ، والغنة في هذه الحالة (( ليست إلا إطالة الصوت المشدد فلا يقلُّ وضوحه عنه في حالات الإخفاء )) (٢٩٥) ، ومنه المفردة السمعية (( صَمَّ )) وكان اللفظ قبل ظاهرة الإدغام (( صَمَمَ )) فلما كانت الميم (( صوت شفوي أنفي )) (٢٩٦) ، وأنه حرف شديد انفجاري ومجهور يشبع الاعتماد عليه في موضعه النفس أن يجري معه حتى ينتهي الاعتماد عليه ويجري الصوت وهذه كلها خصائص تجعل الحرف ثقيلًا في النطق ، عسيرًا في نطقه مفردًا ويزداد صوت (( الميم )) ثقلاً وعسراً فيما لو أردف بمثله وعندئذ يسقط الإدغام أحدهما فيسهل النطق والسماع أيضا ، أما ما جاء في كلمتين فهو كثير منه قوله تعالى : ( إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ) (٢٩٧) ، إذ تجاوزت الميم في ( معكم ) مع الميم في (( مستمعون )) ، فالتقى مثلان في الصفة والمخرج والنوع فوجب إدغامهما طلباً للخفة ، فضلا عن الجرس الذي أحدثته الغنة المطولة للميم ، وشيبه بذلك قوله تعالى : ( وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَدَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ) (٢٩٨) ، في قراءة من أدغم الباء الأولى بالثانية (٢٩٩) ، لتماثلهما في

(293) آل عمران من الآية : ٨٦ .

(294) الأصوات اللغوية : ٦٥ .

(295) م-ن : ٦٥ .

(296) علم اللغة العام ( مقدمة للقارئ العربي ) : د. محمود السعران ، مرك - الإسكندرية ، (١٩٦٢) : ٢٠٣ .

(297) الشعراء من الآية : ١٥ .

(298) البقرة من الآية : ٢٠ .

المخرج واتحادهما في الصفة ، على الرغم من تحرك الأولى ، ولما كانت الباء صوتا شديدا انفجاريا مجهورا ، فإذا أدغم بمثله ارتفع مستوى الدوي فيه ، فتجانست ظاهرة الإدغام ((التشديد)) مع شدة زهاب سمعهم ، وصلك أذانهم ، فكانت شدتها تركيزا على تعطيل أذانهم وسلبها وظيفتها ، وبذا يكون الإدغام قد حقق وظيفتين ، أولاهما : فنية صوتية في سياق الأصوات إذ أدى الإدغام ما يؤول بالنطق إلى الخفة ، وثانيتها : دلالية من خلال مناسبة حال الآية ومقامها المعبر عن استبدالهم ، وشدة تعنتهم إذ أسهم التضعيف بتفخيم الأصوات وعلوها المنسجمين مع زهاب السَّمع ومعناه .

ب- إدغام المتجانسين :

وهو ما اتفقت حروفه مخرجا ، واختلفت صفة ، كالدال والطاء ، والثاء والذال ، واللام والراء ، سواء أكان الحرفان في كلمة أو في كلمتين ، فيبدل الأول من جنس الثاني وتدغمه فيه فيصير من لفظ الثاني كقولك السَّمع<sup>(٣٠٠)</sup> ، وقد ورد في بنية ألفاظ السَّمع في كلمة واحدة وفِي كلمتين ، أما الأول فقد أدغم صوت اللام المجهور بالسین المهموسة اثنتي عشرة مرة<sup>(٣٠١)</sup> كقوله تعالى : ( إَلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ )<sup>(٣٠٢)</sup> ، فالسین صوت مهموس رخو واللام بخلافه<sup>(٣٠٣)</sup> (( صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ومجهور أيضا )) ، فاقتضى تجاور مخرجيهما أن يدغما ، وقد ردَّ الدكتور عبد الصبور شاهين ظاهرة اختفاء اللام بالسین إلى سببين :

---

<sup>(299)</sup> ظ : تحاف الفضلاء البشر في قراءات الأربع عشر : العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء ، وضع حواشيه : الشيخ أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط : ٣ (د.ت) : ٢٢ .

<sup>(300)</sup> ظ : اللامات : لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تح : د. مازن المبارك ، مطبعة الهاشمية - دمشق ، (١٠٦٩) ، المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٦٨ ، و ٢٠٧ .

<sup>(301)</sup> ظ : المعجم المفهرس : ٤٥٩ . هو عدد وورد المصدر ، ظ : ملحق برقم: ٤

<sup>(302)</sup> الحجر من الآية : ١٨ .

<sup>(303)</sup> ظ : المنهج الصوتي للبنية العربية : ٢١٣ .



الأول : إن سبب اختفاء اللام مع أصوات مقدمة الفم ومنها السين سبب صوتي مرده الاقتراب المخرجي .

الثاني : سلطة الصوت الأقوى هيمنت على موقع الصوت الأضعف ، فالسين – بمقياس – الدكتور عبد الصبور – أقوى موقعيا من اللام فأثرت فيها فأدغما .

ومنه قوله تعالى : ( قَلِيَّاتٍ مُّسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ) (٣٠٤) ، فالباء والميم صوتان شفويان بيد أن الباء صوت مجهور شديد انفجاري ، والميم صوت رخو ذو غنة ، ولعل المسوغ لإدغام الميم من ناحية الملحظ الصوتي فضلا عن اتحادهما مخرجيا ((أنه لا فرق بين الباء والميم إلا في أن الهواء مع الأولى يتخذ مجراه من الفم ، ومع الثانية يتخذ مجراه من الأنف ، فعملية الإدغام هنا هي مجرد انتقال الصوت الأول من بين أصوات الفم إلى نظير له بين أصوات الأنف )) (٣٠٥) ، وعلى الرغم من إدغام الميم بالباء بقيت نغمة العُنة تداعب آذاننا فتستريح لها ، وللاحتراز من فناء الميم في الباء ظهرت الغنة التي تشعر بوجود الميم ، ومثله قوله تعالى : ( قَدْ سَمِعَ ) (٣٠٦) ، إذ تجاور صوتان ذوا مخرجين متقاربين فتعذر على اللسان نطقهما مرة واحدة فجيء بالإدغام طلبا للسهولة ونشدانا للخفة فأدغمت الدال في السين فأصبحت (( قَسَمَ )) (٣٠٧) ، فلما كانت الدال صوتا مجهورا شديدا وعلى نقيضه صوت السين فهو حرف مهموس رخو (٣٠٨) ، واللغة تميل بطبيعتها إلى أخف الأصوات وأسهلها حركة لذا أفني الصوت الثقيل (( الدال )) بصوت أسهل ذي صفير واضح ، وجرس موسيقي مميز ، لتقارب مخرجيهما واختلاف صفتيهما فصار صوتا مشددا واحدا ، ولاسيما (( أن إدغام الدال في السين حسن ، لقرب المخرجين فقرىء (( قَسَمَ )) بإدغام الدال في السين حتى لا يلفظ المتكلم بدال ، وإنما حسن ذلك ، لأن السين والدال من حروف طرف اللسان

(304) الطور من الآية : ٣٨ .

(305) الأصوات اللغوية : ١٥٣ .

(306)المجادلة من الآية : ١ .

(307) ظ : السبعة في القراءات : لابن مجاهد ، تح : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - القاهرة ، ط : (١.د.ت)

: ١١٩ .

(308) ظ : الأصوات اللغوية : ٦٧ .

فإدغام الدال في السين تقوية للحرف ((<sup>٣٠٩</sup>) ، ولا تخفى الصعوبة والثقل عند النطق بالدال ثم الانتقال إلى نطق السين في حال الإظهار لأنهما عندئذ يفرضان على اللسان حركة سريعة مركبة لينتقل من موضع الدال إلى موضع السين المتقاربين جدا ، فكان إدغامهما عاملا مخففا ، يقول ابن جنبي (٣٩٢هـ —) (( إن الحروف إذا كانت من مخرج واحد ضاقت مساحتها أن تدني بالتقريب منها ، لأنها إذا كانت معها من مخرجها فهي الغاية في قربها فإن زدت على ذلك شيئا فإنما هو أن تخلص الحرف إلى لفظ أخيه إليه ، فتدغمه فيه لا محالة )) (<sup>٣١٠</sup>) ، وهي مماثلة كلية إذ صيرت الدال سينا وأدغمتا معا ، وأجاز قوم آخرون فكَّهما فيقال (( قد سَمِعَ )) بعد أن تقلقل الدال بنصف صائت لتتضح في الآذان سمعا وهي قراءة الجمهور (<sup>٣١١</sup>) ، وحثهم بذلك (( أن موضع الدال وإن قرب من موضع السين ، فموضع السين حيز ضده ، ومن موضع الدال والطاء والتاء هذه الحروف الثلاثة موضعها واحد ، والسين والزاي والصاد من موضع واحد ، وهي تسمى حروف الصفير فلذلك جاز إظهار الدال )) (<sup>٣١٢</sup>) ، وقد حكم الكسائي (١٨٩هـ) على مَنْ بيّن الدال عند السين بأنه أعجمي وليس بعربي (<sup>٣١٣</sup>) ، وفي ظني : ان اللغة تنفر من الثقل وصعوبة النطق وتميل إلى الخفة والسهولة وما ظاهرة المماثلة إلا خير دليل على ما أزعم ، فمتى تهيأت مناسباتها حدثت ، وقد وقعت بالإدغام هنا شروط المناسبات فجاز الإدغام فيها لأنها اقتصاد في الجهد وإسراع بالنطق ، في حين لا يتحقق هذا بقراءة الإظهار ، ومنه قوله تعالى : ( لَوْ لَا إِذْ

(<sup>309</sup>) معاني القرآن وإعرابه : المنسوب إلى أبي إسحاق الزجاج ، شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، خرج أحاديثه : علي جمال الدين محمد ، عالم الكتب - بيروت ، ط : ١ (١٩٨٨) : ١٣٣/٥ .

(<sup>310</sup>) الخصائص : ٢٣٠/٢ .

(<sup>311</sup>) ظ : معاني القرآن وإعرابه : ١٣٣/٥ .

(<sup>312</sup>) ظ : اللباب في علوم الكتاب : الإمام المفسر أبي حفص الشيخ علي معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط : ١ (١٩٩٨) : ٥٥٣/١٨ .

(<sup>313</sup>) ظ : م. ن : ٥٥٣/١٨ .

سَمِعْمُوهُ ( ٣١٤ ) ، فالذال صوت رخو مجهور ( ٣١٥ ) : يتكون بأن يندفع الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، وعلى نقيضه صوت السين فهو : صوت مهموس رخو ( ٣١٦ ) ، ورغم تباين صفتيهما فإن مخرجيهما متقاربان فكلاهما يسهم اللسان بتكوينه بيد أن السين مع الثنايا العليا أو السفلى ، في حين إن الذال مع أطراف الثنايا العليا فقط ( ٣١٧ ) ، فهيء اقتراب مخرجيهما لظاهرة الإدغام الناقص ، إذ لم تختف صفة الصوتين اختفاء كاملا (( فتهمس الذال أولا ، ثم ينتقل مخرجهما قليلا إلى الورااء لتتشبه السين همسا ورخاوة )) ( ٣١٨ ) ، فساد السكون بالهمس، وتمكّنت ظاهرة الهدوء بعد أن قلل من جهر الذال ، ولا تنكر مزية استرسال الصوتين وجريانتهما على اللسان جريانا بعيدا عن الثقل المخل بالفصاحة – كما يقول البلاغيون – .

#### ج- إدغام المتقاربين :

وهو أن يتقارب الحرفان مخرجا أو صفة ، كالدال والسين ، والثاء والتاء ، والضاد والشين ( ٣١٩ ) ، ويجوز أن يقع في كلمة أو كلمتين ، فما جاء في كلمة واحدة من ألفاظ السَّمع قوله تعالى : ( لا يَسْمَعُونَ ) ( ٣٢٠ ) ، والمسوغ للإدغام هنا : إن التاء صوت مهموس والسين تشابهها همسا ، فلما اتحدا صفة توفر أحد الشرطين فحصل الإدغام وبهذا علل ابن جني ( ٣٩٢هـ ) فأرجع سبب إدغامهما : (( لموافقتهما في الهمس والزيادة وتجاوز المخارج )) ( ٣٢١ ) – ولا أجد – للزيادة مدخلا في مسوغ الإدغام لأنها ظاهرة لا تعمل في المساحة الصوتية فإن منشأ الإدغام تجاوز صوتي ، والزيادة ضرورة أملاها المعنى ، ولعل من أبرز القيم الدلالية التي أفرزها الإدغام بهذه المفردة

(314) النور من الآية : ١٢ .

(315) ظ : الأصوات اللغوية : ٤٥ .

(316) ظ : المنهج الصوتي للبنية العربية : ١١٩ .

(317) ظ : الأصوات اللغوية : ٤٥ .

(318) ظ : م.ن : ١٥٩ .

(319) ظ : الإلتقان في علوم القرآن : ٩٤/١ .

(320) الصافات من الآية : ٨ .

(321) سر صناعة الإعراب : ١٣٢/١ .

هي : إسقاط عنصر الأعمال الفكري المتدبر والمدقق للأشياء ، فالإدغام بهذه المفردة أوحى – والله أعلم – بعبثية السَّمع الحسي المفرغ من التسمع والتفكر الدقيقين ، أي إن السَّمع لا أثر معرفي له ما لم يقترن بالمقارنة حتى تتضح حقيقة المسموع فهم كانوا يسمعون بيد أنهم لا يسمعون وبين الاستعماليين فرق في درجة الإدراك وعدمه ، فواضحة هي دلالة الإدغام التي غايرت بين المسارين الدالين فأثبت السَّمع لديهم وأسقط التسمّع عنهم ، ولو لم يحصل الإدغام لذهب الأثر الدلالي ، ولذهب الانسجام فالتاء صوت ثقيل مطبق شديد تشعر عند النطق به بانفجار صوتي مرتفع فلو قيل (( يتسمعون )) بفك الإدغام لاختل الجمال الموسيقي فيها (( ولو أسكنا التاء حصلنا من شدتها على الصمت ، وإذا أسكنا السين حصلنا من رخاوتها على الصفير وكلا الحرفين مهموس ... ولا شك أن الصفير المهموس أدل على معنى التسمع من الصمت لأننا في العادة لا نتسمع إلى الصمت وإنما نتسمع إلى الهمس )) (٣٢٢) ، لذا كانت قراءة (( لا يسمعون )) (٣٢٣) بالإدغام أنسب لفعل السَّمع من الإظهار ، فضلا عن أنه بالإدغام نفي للتسمّع الذي هو طلب السماع وتكلفه ، ويترتب على نفي التسمّع نفي السماع أيضا ، إذ الشياطين تحاول أن تتسمع فهي بذلك لا تسمع (٣٢٤) ، ومما جاء على هذا النمط قوله تعالى : ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ) (٣٢٥) ، فقرأ بعضهم (( من يسمّع )) بالإدغام ، وقد علل العيني (٨٥٥هـ) ذلك بقوله : (( ويجوز فيه الإدغام بجعل التاء سينا لأن السين والتاء من الحروف المهموسة فيكون القلب (( أسَمع )) ولا يجوز الإدغام بجعل السين تاء لعظم السين في امتداد الصوت ، لأنه من حروف الصفير فلا يقال (( اتمع )) لئلا يذهب صفير السين )) (٣٢٦) ، وقد أنكر الرضي

(٣٢٢) البيان في روائع القرآن : ٨٣/٢ .

(٣٢٣) هي قراءة حمزة والكسائي وحفص بن عاصم ، ط: السبعة في القراءات : ١١٩ .

(٣٢٤) ط : تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب : للإمام فخر الدين الرازي أبي عبد الله

محمود بن عمر بن الحسين القرشي ، البهية المصرية - مصر ، ط : ١/ (١٩٣٨) : مج ٩ ، ١٢٢/٢٦ .

(٣٢٥) الأنعام من الآية : ٢٥ .

(٣٢٦) شرح المراح في التصريف : العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، تح : عبد الستار جواد ، (د.مط)

، (د.ت) : ١٥٤ .

الاسترابادي (٦٨٦هـ) الإدغام فيها لأن إبقاء التاء على حالها أولى من إدغامها فهو يرى أن (( استمع )) أولى من (( أسمع ))<sup>(٣٢٧)</sup> ، وأجد : أن نطق السين متلوة بالتاء أخف من نطقها وهما مدغمتان وان توفرت مناسبات الإدغام فيكون عندئذ الاظهار أولى من الادغام ، أما ما جاء في كلمتين فمنه قوله تعالى : ( وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ )<sup>(٣٢٨)</sup> ، فأدغمت العين في الغين لقرب مخرجيهما إذ كلاهما حلقيان<sup>(٣٢٩)</sup> ، واختلف النحاة في هذا الإدغام<sup>(٣٣٠)</sup> ، ومن أنماط هذا النوع إدغام النون في الياء وقد بلغ وقوعه في ألفاظ السَّمع أربع مرات<sup>(٣٣١)</sup> ، كقوله تعالى : ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ )<sup>(٣٣٢)</sup> ، إذ جاور التنوين في (( القوم )) الياء في (( يسمعون )) فقلب التنوين ياء ، بيد أن هذه الياء تم النطق بها من الفم والأنف (( فهو نوع من القلب تبعه إدغام ، ولكنه قلب ناقص إذ لم يتحول الصوت المقلوب إلى كل صفات الصوت المقلوب إليه مما جعل القدماء

<sup>(327)</sup> شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين الاسترابادي مع شرح شواهد للعالم عبد القادر البغدادي ، تح : محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي - القاهرة ، ط : ١ (١٩٣٩) . ٢٩٠/٣ :

<sup>(328)</sup> النساء من الآية : ٤٦ .

<sup>(329)</sup> ظ : الوجيز في فقه اللغة : ٢١٩ .

<sup>(330)</sup> فكانوا على مذهبين :

**الأول** : وهو مذهب سيبويه (١٨٠هـ) ويعد رأيه رأي جمهور النحاة ، فيمتنع عندهم الإدغام إذ لا يصح أن يقال : (( اسمغاليا ، واسمخقا )) إلا الإظهار غير إدغام العين بالعين أو بالخاء .

**الثاني** : وهو مذهب المبرد (٢٨٥هـ) ، فقد ذهب إلى جواز الإدغام إذ يصح عنده إدغام العين في الغين فيقال : (( اسمغاليا )) ، فذكر إن ذلك مستقيم في اللغة والقياس ، ودليله بذلك أن الخاء والغين أدنى حروف الحلق إلى الفم ، فلما جاز إدغام الهاء في الحاء ، والهاء من المخرج الأول من الحلق والحاء من المخرج الثاني وليست حروف الحلق بأصل في الإدغام ، فالمخرج الثالث أولى أن يدغم فيها ، وهما مخرجا الغين والحاء لأن ما بعده متصل بحروف الفم التي هي أصل الإدغام ، ظ : المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد ، تح : محمد عبد الخالق عزيمة ، المجلس الأعلى بشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ، (١٣٨٦هـ) : ٢٠٨/١-٢٠٩ ، وارتشاف الضرب من لساب العرب : أبو حيان يوسف بن علي الأندلسي ، تح : مصطفى أحمد النحاس ، النسب الذهبي ، ط : ١ (١٩٨٤) : ٣٣٦/١ ، وأجد : أن الإدغام جائز ليس بممتنع لعله صوتية ، فرضتها ظاهرة القرب المخرجي بينهما .

<sup>(331)</sup> ظ : (( يونس : ٦٧ ، النحل : ٦٥ ، الروم : ٢٣ ، السجدة : ٢٦ )) .

<sup>(332)</sup> يونس من الآية : ٦٧ .

يسمون هذا النوع من الإدغام إدغاما ناقصا ((<sup>(٣٣٣)</sup> ، إذ لم تفن النون في الياء فناء تاما بل بقيت إحدى صفاتها المجهورة فسرت في السمع نغمة محببة .

يتضح مما تقدم أن الإدغام اقتصاد في الصوت ، وخفة فضلا عن أفق المعنى الذي حققه إذ أومى التشديد عن شدة المعنى وأفاد معنى التوكيد استجابة لمقصد النص.

#### ثانيا - دلالة الإبدال :

يعد الإبدال من الظواهر التي تنشأ بتأثر صوتي ، فيستبدل حرف بأخر ، وقد أولاهما القدامى (<sup>(٣٣٤)</sup> عناية كبيرة لاشتغال حدوثها في مساحة واسعة من اللغة ، واهتم المحـ

دثون بها (<sup>(٣٣٥)</sup> ، ويعرّف بأنه (( جعل حرف مكان آخر مطلقا ، فخرج بقيد المكان : العوض فإنه قد يكون بغير مكان المعوّض عنه كـ ( تاء ) عدة ، وهمزة ( ابن ) ، وبقيد الإطلاق : القلب بأنه مختص بحروف العلة )) (<sup>(٣٣٦)</sup> ، وعلة وقوعه في الأصوات راجع إلى طلب الخفة والاسترسال بالكلام من دون تكلف (( لأن ظاهرة الإبدال لا تحدث إلا على أساس التقارب بين الأصوات المتبادلة ، وأن الغاية منه تحقيق نوع من الاقتصاد في عمليات النطق المتتابعة )) (<sup>(٣٣٧)</sup> ، وقد وضع الدكتور عبد الصبور شاهين أساسين قيّد بموجبهما ظاهرة الإبدال هما :

(<sup>333</sup>) الأصوات اللغوية : ٦٥ .

(<sup>334</sup>) الإبدال : أبو الطيب : عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ، تح : عز الدين التتوخي ، نشر مجمع اللغة

العربية - دمشق ، (١٩٦١) .

(<sup>335</sup>) ظ : القلب والإبدال : عادل أحمد زيدان ، جامعة بغداد - كلية الآداب - رسالة دكتوراه - مضرورة على

الآلة الكاتبة ، (١٩٧٨) .

(<sup>336</sup>) شرح التصريح على التوضيح : خالد عبد الله الأزهرى ، دار إحياء الكتب العربية - الاستقامة ،

مصر ، (١٩٨٠-١٩٨٢ : ٣٣٦/٢) .

(<sup>337</sup>) المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٦٨ .



فالمسافة بين مخرجي الصوتين قصيرة يثقل على اللسان الانتقال من موضع لآخر مقارب له ، وعندئذ يستبدل أحد الصوتين بالآخر دفعا للثقل ، وإبدالهما في صيغة (( افتعل )) المزيدة إذا كانت فاء الفعل سينا فتبدل التاء بها (( لموافقتهما في الهمس والزيادة وتجاوز المخارج ))<sup>(٣٤٣)</sup> ومن ذلك الفعل المزيد (( استمع )) بزنة (( افتعل )) و (( مستمع )) على (( مفتعل )) ، فيجوز إبدال التاء سينا لقربهما مخرجا فيصبحان (( اسمع )) و (( مُسمِع )) إذ سوَّغ اتحادهما مخرجيا إبدالهما من بعضهما ومنه إبدال تاء (( عتا )) سينا في (( عسا ))<sup>(٣٤٤)</sup> ، وامتنع إدغام السين في التاء لأن السين من أصوات الصفيير ولا يدغم الصفييري إلا بمثله ، وشبيهه بهذا (( مصبّر )) فلا يجوز أن تدغم الصاد في الطاء<sup>(٣٤٥)</sup> حرصا على صفيير الصاد من الضياع ورغبة في التخلص من إطباق الطاء وثقلها وتفخيمها ، ومنه قوله تعالى : ( لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ )<sup>(٣٤٦)</sup> ، فمن قرأها بالتشديد<sup>(٣٤٧)</sup> يبدل التاء سينا ويدغمها لتوقّر لوازم الإبدال ، ومن قرأها بالتخفيف<sup>(٣٤٨)</sup> (( لا يسمعون )) فهو يرى أن لا وجود للتاء ، وجاء في (( الكتاب )) أن بعضهم قرأ (( لا يسمعون )) وأراد (( لا يستمعون ))<sup>(٣٤٩)</sup> ، فهو دليل على أن التاء أبدلت سينا ثم أدغمتا ، في حين أنكر الرضي الاسترلابادي (٦٨٦هـ) تسمية إبدال التاء سينا إبدالا وحجته بذلك : هو لم يكن القصد وقوع ظاهرة البديل ولكن لما قاربت التاء السين في المخرج قصد الإدغام ، وكان لا بد من إحداث صوتين متماثلين قلبت التاء سينا فلما كان البديل الأصل فيه

<sup>(343)</sup> سر صناعة الإعراب : ١/١٧٢-٢٠٩ .

<sup>(344)</sup> ظ : مجاز القرآن : ١/١١٧ .

<sup>(345)</sup> ظ : الكتاب : ٤/٤٦٨ .

<sup>(346)</sup> الصافات من الآية : ٨ .

<sup>(347)</sup> هي قراءة حمزة والكسائي وحفص بن عاصم ، ظ : السبعة في القراءات : ٥٤٧ .

<sup>(348)</sup> وهي قراءة عاصم في رواية عن أبي بكر وابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو ، ظ : السبعة في

القراءات : ٥٤٧ .

<sup>(349)</sup> ظ : الكتاب : ٤/٤١٣ .



الإدغام لم يعتد به<sup>(٣٥٠)</sup> ، وأجد : أن هذه العملية الصوتية قد استوفت مرحلتين صوتيتين : الأولى استبدلت فيها التاء سينا لوجود علة صوتية تسوغ وقوع هذه الظاهرة وانتفاء المانع ، والثانية : متوقفة على تحقق الأولى فلما تحقق الإبدال أصبح في المفردة سينان ولا تخفى الصعوبة والمعاضلة في نطقهما مظهرتين إذ يتطلبان جهدا عضليا مزدوجا فأتى الإدغام بعد الإبدال ليختزل الجهد وليحقق ظاهرة موسيقية تمثلت بصدى السين المضعفة فأظهرت انسجاما ، يسقط عسر التاء وثقلها ، وليناسب مقام المعنى ، فينسجم المبنى بمعناه ، وكأن الإدغام يجسد مشهداً ناطقا بالدلالة عن طريق وحي الأصوات وتأثير الإبدال.

ب- إبدال الهمزة ألفا : تُعدُّ الهمزة من أكثر الأصوات عرضة للتغير والتبدل ، فهي محلُّ خلاف بين العلماء في تعيين صفتها الصوتية ، فعدها بعضهم بأنها صوت حنجري انفجاري مهموس (( لأن صوتها يخرج من الحنجرة ذاتها ، نتيجة انغلاق الوترين الصوتيين تماما ))<sup>(٣٥١)</sup> ، وعدّها آخرون لا مهموسة ولا مجهورة<sup>(٣٥٢)</sup> ووصفها سيبويه (١٨٠هـ) بأنها (( نبرة تخرج من الصدر باجتهاد ))<sup>(٣٥٣)</sup> ، وقد تجتمع في الكلمة الواحدة همزتان كلتاها أو أولهما متحركة والثانية ساكنة ، ولا تكونان ساكنتين<sup>(٣٥٤)</sup> ، فيشق على جهاز النطق أخراجهما معا لما تتطلبانه من جهد عضلي كبير ، فعندئذ يحتاج لمعالجة نطقية تخفف ثقلهما على الحنجرة فيستبدل أحدهما بصوت مجانس لجنس الحركة الأولى فإن كانت حركة الأولى فتحة أبدلت ألفا وإن كانت ضمة أبدلت واوا وتبدل ياء إذا كانت كسرة (( فالذي يبذل منهما عند اللزوم هو الثانية ، دائما لأن الإبدال إجراء للهروب من صعوبة النطق ، وإنما جاءت هذه الصعوبة من الهمزة الثانية ، فكانت موضع التغيّر ))<sup>(٣٥٥)</sup> ، فالإبدال إجراء لتحقيق

<sup>(350)</sup> ظ : شرح شافية ابن الحاجب : ٢٠٣/٣ .

<sup>(351)</sup> المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٦٧ .

<sup>(352)</sup> ظ : علم اللغة ، د. السعران : ١٧١ ، الأصوات اللغوية : ٩ .

<sup>(353)</sup> الكتاب : ٤٥٤/٤ .

<sup>(354)</sup> ظ : شرح التصريح : ٣٧٢/٢ ، و ظ : المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٨٢ .

<sup>(355)</sup> المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٨٢ .



## ج- إبدال النون ميما :

ويتحقق إذا جاورت النون الباء مجاورة مباشرة في كلمة واحدة كـ (أنبئهم) أو كلمتين كـ (من بعد) ، وعلّة إبدالهما ملحظ صوتي يتمثل بأن كل من النون والميم ص\_\_\_\_\_وت أغ\_\_\_\_\_ن

مجهور (٣٦١) ، فالنون تبحث عند ملاقاتها الباء عن أقرب الأصوات إليها في الطبيعة الصوتية وأقربها الميم ، وما ورد في ألفاظ السَّمع قوله تعالى : ( سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) (٣٦٢) ، ف\_\_\_\_\_التنوين ف\_\_\_\_\_ي

(( سَمِيعٌ )) أثرت بالباء فانقلبت إلى صوت أنفي شبيه بالباء في المخرج وهذا الصوت ه\_\_\_\_\_و

الميم ، أي أن النون تفقد مخرجها ولكن لا تفقد صفتها الأنفية (٣٦٣) ، إذ تبقى تلك النبيرة المحببة إلى النفوس تبت في الروح هدوءً ، وتثير في القلوب خشوعاً من قرانتها ترتيباً ، فكانت الغنة التي صيرها الإبدال عاملاً مساعداً على إبراز ذلك الأفق الدلالي ، فضلاً عن إسقاط عنصر المعاضلة في نطقها ، لأنه يتعسر التصريح بالنون الساكنة بعد الباء ، لأن النون الساكنة يجب أخفاؤها من غير حروف الحلق ، كما يجيء في الإدغام ، والنون الخفية ليست إلا في الغنة التي معتمدها الأنف ، والباء معتمدها الشفة ويتعسر اعتمادان متواليان على مخرجي النفس (٣٦٤) ، فكان لا بد من معالجة نطقية يتخلص بها من تلك الصعوبة ، فاقترضت الضرورة النطقية البحث عن صوت متوسط بين النون والباء فوجدت الميم لأن فيه غنة كالنون ، وهو شفوي كالباء (٣٦٥) ، فاختلاف

---

(361) ظ : المدخل إلى علم اللغة ( ومناهج البحث اللغوي ) : د. رمضان عبد التواب ، دار الرفاعي - مصر ،

ظ : ١ : (١٩٨٢) : ٤٣-٤٩ .

(362) الحج من الآية: ٦١ .

(363) ظ : الأصوات اللغوية : ٦٤-٦٥ .

(364) ظ : شرح شافية ابن الحاجب : ٢١٦/٣ .

(365) ظ : م.ن : ٢١٦/٣ .

مخرجيهما ألقًا على عضو النطق أن يميل قليلا إلى السهولة وخفة تقلل الجهد العضلي فجاز قلب النون ميما .

ثالثا - دلالة الإمالة :

ليست الأصوات منعزلا بعضها عن بعض فهي تتأثر وتتجاذب ، فتبدل حيناً ، وتوصل أخرى ، ويحذف بعضها ، ويقلب الآخر ، والإمالة ظاهرة تنشأ بفعل تأثير صوتي وهي (( أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء ))<sup>(٣٦٦)</sup> ، فيتغير مجرى الأصوات الممالة عن مجراها الأصلي والإمالة (( ليست لغة جميع العرب ، فأهل الحجاز لا يميلون ، ولا سواهم ))<sup>(٣٦٧)</sup> ، وأشد العرب حرصا عليها بنو تميم ، إذ ينحون بالألف نحو الياء فيصير مخرجها بين مخرج الألف المفخمة ومخرج الياء وبحسب بعدها تكون خفتها<sup>(٣٦٨)</sup> ، وقد وضع الأصواتيون للإمالة ضوابط يحيل عليها البحث للمستزيد<sup>(٣٦٩)</sup> ، ويقتصر على ذكر ضابط واحد لأن مفردة السَّمع جاءت عليه وهو (( تمال كل ألف بعدها كسرة ولا فاصل بينهما من فتح أو ضم نحو عابد ))<sup>(٣٧٠)</sup> ، ومن ألفاظ السَّمع التي حدثت بها الإمالة المفردتان (( أذنهم - آذنا )) ، وقد بلغ ورودهما ثماني مرات<sup>(٣٧١)</sup> ، إذ أميلت ألفها الثانية لكسر ما بعدها وسقوط الفاصل بينهما ، وجعل ابن الجزري (٦٤٣هـ) من هذه البنية قاعدة نحو الإمالة إذ يقول (( واختص الدوري عن الكسائي بإمالة .. آذانهم وآذاننا ... حيث وقع وكيف جاء ))<sup>(٣٧٢)</sup> ، ويرى البحث : إن

<sup>(366)</sup> النشر في القراءات العشر : أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ( ابن الجزري ) ، صححه وراجعته : علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية - بيروت (د.ت) : ٥٩/٢ .

<sup>(367)</sup> شرح الشافية : ٤/٣ ، ظ : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : ٩٥/١ .

<sup>(368)</sup> ظ : شرح المفصل : موفق الدين بن يعيش النحوي ، عالم الكتب - بيروت (د.ت) : ٥٤/٩ .

<sup>(369)</sup> ظ : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : ٩٥/١ .

<sup>(370)</sup> م.ن : ٩٥/١ .

<sup>(371)</sup> الايات (( فصلت : ٥ ، البقرة : ١٩ ، الأنعام : ٢٥ ، الإسراء : ٤٦ ، الكهف : ١١ ، ٥٧ ، فصلت : ٤٤ ، نوح : ٧ ))

<sup>(372)</sup> تقريب النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، تح وتقديم : إبراهيم عطوة عوض ، شركة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط : ٣ (١٩٨٢) : ٨١ .

إمالة الألف في مفردتي (( أذنهم وأذننا )) جاء كعامل مساعد ليخفف الثقل الحركي على عضو اللسان عند الانتقال من وضع نطق الألف إلى وضع مغاير عند نطق الكسرة ، إذ لا يخفى صعوبة نطق الكلمة التي تتضمن حركات متباينة ، فتمال كمعالجة نظقية لذلك الثقل حتى لا ينتقل اللسان من الألف إلى الكسر فتمال الألف نحو الياء لتجانس الكسرة من جنسها وتدخل ظاهرة الإمالة عندئذ في باب المماثلة<sup>(٣٧٣)</sup> .

رابعا - دلالة المد :

المد (( زيادة المط في حروف المد وهي الألف مطلقا والواو الساكنة والمضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها ولا يكون إلا بسبب ))<sup>(٣٧٤)</sup> ، فهو – إذن – متغير صوتي يطرأ على أصوات المد فيزيد المتكلم من زمنها في النطق وهي عكس القصر لأنه ترك الزيادة ، ويمد حرف العلة بأحد سببين ، أحدهما : لفظي ، وهو ملاقة حرف المد همزا أو ساكنا<sup>(٣٧٥)</sup> ، والثاني : معنوي ، ويكون (( القصد منه المبالغة في النفي ومنه المد للتعظيم ))<sup>(٣٧٦)</sup> ، بإعطاء صوت المد حسا تقخيما يبدو في المعنى ، ويقسم المد على أنواع اقتصر على ما ورد منها بمفرده السَّمع فقط وهي :

أ- المدُّ الأصلي : وهو اللازم لحرف المدُّ الذي لا ينفك عنه ، بل ليس له وجود بعده ويسمى مداً ذاتيا ومداً طبيعيا ، لأنه مرتبط بذات حرف المدُّ ويقوم بقوامه (( ولا يتوقف على سبب بل يكفي وجود أحد أحرف المدِّ الثلاثة السابق ذكرها ويمد حركتين

---

<sup>(373)</sup> ظ : في اللهجات العربية : ٧٨ . ولهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة : د. فاضل غالب المطلبي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية ، (د.ت) : ٢١٨ .

<sup>(374)</sup> تقريب النشر في القراءات العشر : ٥٠ .

<sup>(375)</sup> ظ : تقريب النشر في القراءات العشر : ٥٠ ، وتجويد القرآن الكريم (( أسسه وتطبيقاته ورموزه وضبطه )) : عامر سعيد ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط : ١ (١٩٨٢) : ٩٧ ، والمصطلح الصوتي في العربية : عادل أحمد زيدان ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد – كلية الآداب ، مخروبة على الآلة الكاتبة ، ١٩٧٨ : ١٧٥ .

<sup>(376)</sup> ظ : تقريب النشر في القراءات العشر : ١٨ ، و ظ : تجويد القرآن الكريم : ٥٩ ، والمصطلح الصوتي في العربية : ١٧٥ .

وصلا \_\_\_\_\_ ووقفا<sup>(٣٧٧)</sup> .

ب- المدُّ الفرعي : وهو المستغرق للمد الأصلي ، أو (( هو المدُّ الزائد على المدِّ الأصلي بسبب همزة أو سكون ))<sup>(٣٧٨)</sup> ، وله أقسام<sup>(٣٧٩)</sup> ، ومنها ما كان السكون سببا  
ف\_\_\_\_\_ي م\_\_\_\_\_ده  
(( وهو أن يقع حرف بعد المدِّ سكون ثابت وصلا ووقفا ))<sup>(٣٨٠)</sup> ، وهو الذي اتفق  
جمهور القراء على مده قدرا واحدا مشبعا من غير إفحاش<sup>(٣٨١)</sup> ، ويكون على عدة  
أنواع منه \_\_\_\_\_ا : م\_\_\_\_\_دُ لازم  
(كلمي) (مُتَّقل) أي : منحصر في كلمة إذا أتى بعد حرف المدِّ (( همزة في كلمة  
واحدة ، بأي الحركات كانت الهمزة متطرفة أو متوسطة أو ساكن في كلمة مشددا أو  
غير مشدد ))<sup>(٣٨٢)</sup> ، نحو (( الطَّامة )) و (( الضَّالِّين )) ويمد بمقدار ست حركات<sup>(٣٨٣)</sup> ،  
أو يكون السكون العارض سببا بمده (( وهو أن يكون حرف المدِّ قبل آخر  
حرف في الكلمة وقد سُكِّن في الوقف نحو :  
فاعلون ))<sup>(٣٨٤)</sup> ، ويكون مقدار مده ثلاثة أوجه (( الطول ست حركات ، ويجوز  
التوسط أربع حركات ، ويجوز القصر والأولى الطول ))<sup>(٣٨٥)</sup> ، ومن أقسام المدِّ  
الفرعي : مد البذل : (( وهو إبدال حرف الهمزة مدا تطيل فيه الصوت مقدار حركتين  
مثل آمن وأدم والأصل ل فيه \_\_\_\_\_ا أمنن ،

<sup>(377)</sup> فن التجويد : إعداد عزة عبيد ، الميناء ، بغداد (د.ت) : ٤٢ .

<sup>(378)</sup> م.ن : ٤٢ ، ظ : سر صناعة الإعراب : ٢٠/١ .

<sup>(379)</sup> ظ : تجويد القرآن الكريم : ٦١ ، التجويد الميسر : عبد العزيز عبد الفتاح القارئ ، دار الأرقم - الكويت ،  
ط : ٢ : (١٩٨٠) : ٥٧ .

<sup>(380)</sup> ظ : تقريب النشر في القراءات العشر : ٥٠-٥٣ .

<sup>(381)</sup> ظ : م.ن : ٥٠-٥٣ .

<sup>(382)</sup> ظ : تجويد القرآن الكريم : ٦١ .

<sup>(383)</sup> ظ : التجويد الميسر : ٥٨ ، وفن التجويد : ٤٥-٤٦ .

<sup>(384)</sup> فن التجويد : ٤٥ .

<sup>(385)</sup> م.ن : ٤٥ .

أدم ، فحرف المدُّ قبله همزة ))<sup>(٣٨٦)</sup> ويتم المدُّ في هذا النوع عندما تجتمع همزتان إحداهما متحركة والأخرى ساكنة ، وعند استقراء ألفاظ السَّمع لتشخيص أنواع المدِّ تبين ما يأتي :

أ- المدُّ الأصلي أو الذاتي : وهو الملازم لأصوات المدِّ الثلاث (( الواو والياء والألف )) ، أما مدُّ الواو فجاء في المفردات الآتية : (( يسمعون ، سمعوا ، تسمعوا ، تسمعون ، يسمعون ، يسمعون ، سمّاعون ، مستمعون ، يسمعونكم ، اسمعوا ، فاستمعون ، استمعوه ، تستمعون ، يستمعون )) وقد بلغ مجموع ورود ظاهرة المدِّ في صوت (( الواو )) سبعا وتسعين مرة<sup>(٣٨٧)</sup> ، أما صوت المدِّ (( الياء )) فجاء في الألفاظ السمعية الآتية : (( سميع ، سميعة ، لتصغي )) وقد بلغ مجموع ورودها في مفردات السَّمع سبعا وأربعين مرة<sup>(٣٨٨)</sup> أما صوت المدِّ الألف فقد جاء في المفردات الآتية : (( آذان ، آذانهم ، آذناك ، آذننا )) وقد بلغ مجموع ورود هذا المدِّ تسع عشرة مرة<sup>(٣٨٩)</sup> ، فيكون مجموع تكرار ظاهرة المدِّ الأصلي ببنية ألفاظ السَّمع ثلاثا وستين ومائة مرة<sup>(٣٩٠)</sup> .

ب - المدُّ الفرعي : تضمنت ألفاظ السَّمع منه المدُّ (( المثل )) إذ جاءت بعد حرف المدِّ الألف شدة في مفردة السَّمع (( الصّاحّة )) ، في قوله تعالى ( إذا جاءت الصّاحّة )<sup>(٣٩١)</sup> ولم يأت هذا المدُّ إلا مرة واحدة في ألفاظ السَّمع في القرآن الكريم وهو من المدِّ المتصل إذا اجتمع حرف المدِّ الألف بعد التشديد في كلمة واحدة فاقتضى مدها بمقدار ست حركات ، ومن المدِّ الفرعي في ألفاظ السَّمع مدّ البدل في الألفاظ السمعية الآتية (( آذان ، آذاننا ، آذانهم ، آذناك )) إذ كل مدّ عبارة عن همزتين أو لهما متحركة والثانية ساكنة فيمتدان بحرف مدّ مقداره حركتان وبلغ مجموع ورود هذا النوع خمس

<sup>(386)</sup> تجويد القرآن الكريم : ٦٣ ، والتيسير في القراءات السبع : لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني

: تح : أتو بوتزل ، الدولة ، (١٩٣٠) : ٣٠-٣١ .

<sup>(387)</sup> ظ : ملحق برقم ( ٣ ) .

<sup>(388)</sup> ظ : ملحق برقم ( ٣ ) .

<sup>(389)</sup> ظ : ملحق برقم ( ٣ ) .

<sup>(390)</sup> ظ : ملحق برقم ( ٣ ) .

<sup>(391)</sup> عيس من الآية: ٣٣ .

عشرة مرة ، وبذا يكون المجموع الكلي لأنواع المدود في القرآن ببنية ألفاظ السَّمع تسعا وسبعين ومائة مرة (٣٩٢) .

وبعد هذا الوصف لظاهرة المدّ في ألفاظ السَّمع في القرآن الكريم ، أقف لأتبين ما يبدو من دلالة ، فإذا عرفنا (( إن المعنى دائما يعظم شأنه ، ويرقى إذا ما صاحبتة المؤثرات الصوتية والتوقيعية الخالصة )) (٣٩٣) وان أي انحراف في هندسة المفردة اللغوية يؤدي إلى إسقاطات دلالية تفرز من خلاله فان لظاهرة المدّ في أصوات ألفاظ السَّمع ملامح دلالية لعل أبرزها إفادته لمعنى (( التفخيم )) لذلك المعنى المسوق والمبالغة فيه لان مد الصوت يعني منحه زمنا للنطق أطول من الصوت غير الممتد فمثلا إن معنى السَّمع في قوله تعالى ( سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ) (٣٩٤) يفيد ارتفاع مستوى السَّمع لديهم واجتهادهم من اجل الحصول على المسموع (( الكذب )) ولاسيما ان المفردة قد مد بها صوتين عليّين هما (( الألف والواو )) وهذا يعني إن المدّ فيها جاء بقيد مضاعف يناسب مضاعفة التكلف والحرص على الاستماع والاجتهاد فيه فضلا عن التشديد الذي تظاهر مع المدّ في تكوين معنى المبالغة والتفخيم لعملية السَّمع أي إن المفردة (( سمّاعون )) قد تضمنت ثلاث أدوات بيانية لإظهار ذلك الأفق المضموني الذي قصدت إليه الآية هي (( الألف والواو [ المديتان ] وظاهرة التشديد )) ، فتبدو الدلالة الصوتية جلية لما أراد النص أن يصوّر مدى تمرسهم في شدة سماعهم ، ويصدق هذا المعنى على المفردات التي مدت بعض أصواتها وان تفرقت مستويات ذلك المعنى المفخم بحسب تأثيرات صوتية تتعاقد مع المدّ كنوع الأصوات المكونة للمفردة .

(٣٩٢) ظ : ملحق برقم ( ٣ ) .

(٣٩٣) دور الكلمة في اللغة : ٧٢ .

(٣٩٤) المائدة من الآية : ٤١ .





## الفصل الثاني : المستوى الصرفي لألفاظ السَّمع في القرآن الكريم

مدخل

المبحث الأول : الصيغ الإسمية

أولاً- الاسم .

ثانياً- المصدر .

ثالثاً- المجموع .

رابعاً- المشتقات :

١ . اسم الفاعل .

٢ . اسم المفعول

٣ . الصفة المشبهة .

٤ . صيغ المبالغة .

المبحث الثاني : الصيغ الفعلية

المحور : الصيغ الفعلية المزيدة

١ . أَفْعَلُ .

٢ . فَعَّلَ .

٣ . تَفَعَّلَ .

٤ . افْتَعَلَ .

المحور الثاني : أزمنة أفعال السَّمع

○ أزمنة أفعال السَّمع من خلال الصيغة .

○ أزمنة أفعال السَّمع سياقياً .

## المحور الثالث: التعجب في افعال السمع.

### المدخل

التصريف (( علم يتعلق ببنية الكلمة ، وما لحروفها من زيادة أو اصالة ، وصحة واعتلال وشبه ذلك ))<sup>(٣٩٥)</sup> ، فليس الصرف تحوُّلاً شكلياً يطرأ على البنية الواحدة دون ملامسة أصلها الدلالي (( فهناك نوع من الدلالة يستمد عن طريق الصيغ وبنيتها ))<sup>(٣٩٦)</sup> ، نتيجة لذلك التغيير الذي حوّل بناء المفردة لصورة ثانية ، لذا (( حاول فقهاء اللغة استخراج المعاني واستنباطها عن طريق التحري ، والاستقصاء فوققوا في كثير فيها ، ومن ذلك ما هو معروف مشهور كالأسماء المشتقة ... وبعض أنواع الجموع القياسية المسالمة فيها وغير السالمة ))<sup>(٣٩٧)</sup> .

إن ذلك التنوع في الأبنية والأوزان استجابة ضرورية (( توفّر على المتكلم ، والمتعلم كثيراً من الجهد ذلك أن في عالم الفكر معاني عامة كلية كـ ( الفاعلية ) و ( المفعولية ) ، و ( المكانية ) ))<sup>(٣٩٨)</sup> ، أما خصوصيات ذلك العموم فلا بدّ أن تتوافر عليه مبان خاصة ، وقد لاحظ البحث تلوناً في أبنية ألفاظ السمع ناظره تلون في الإنجاز الدلالي ، فجاءت

---

<sup>(395)</sup> إيجاز التصريف في علم التصريف : ابن مالك تح: د. أحمد حسن أحمد العثمان، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط: ١ (٢٠٠٤) : ٣ ، وظ: أنظمة التصريف في العربية ( القسم الأول ) : سليمان فياض ، دار المريخ للنشر ، ط: ١ ( ١٩٨٩ ) : ١٨ .

<sup>(396)</sup> دلالة الألفاظ : ٤٧ .

<sup>(397)</sup> فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك ، دمشق ، ط: ٢ ( ١٩٦٤ ) : ١١٦ .

<sup>(398)</sup> م.ن : ١١٩ .

البنية الفعلية في المرتبة الأولى ، في حين تأخرت البنى الاسمية ، فضلا عن المشتقات وألفاظ الجموع ، والسياقات الزمنية لأفعال السمع في القرآن الكريم .

## المبحث الأول الصيغ الاسمية

أولا : الاسم :

وهو باصطلاح النحاة مصداق (( لكل ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمن ))<sup>(٣٩٩)</sup> ، وكانت لهم آراء في مفهوم مصطلح الاسم يحيل عليها البحث للمستزيد<sup>(٤٠٠)</sup> ، وللأسم أنماط من حيث التجرد والزيادة فيكون مجردا ومزيدا ، وللمجرد أبنية منها ما يكون ثلاثيا أو رباعيا أو خماسيا ، ولبنائه مستوى من الأصوات (( فأقل ما يوضع عليه الاسم المتمكن ثلاثة أحرف ، وأكثره خمسة ، وما جاء على غير ذلك فمحذوف منه أو مزيد فيه ))<sup>(٤٠١)</sup> ، لعلة توجب حذف بعضها ، أو ضرورة تفرض

---

<sup>(399)</sup> الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين : كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، السعادة - مصر ، ط : ٣ (١٩٥٥) : ٦/١ .

<sup>(400)</sup> ظ : م.ن : ٧/١ .

<sup>(401)</sup> الجمانة في شرح الخزانة : الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني ، مكتبة دار البيان - بغداد ، ط : ١ (د.ت) :

نوعاً من الزيادة فيه ، فتطراً عليه علة حذف أو ضرورة زيادة ، فالاسم ركن مؤسس لبناء الكلام ويتعذر بناء أي كلام مجرد منه ، وقد أحصى العلماء لأوزان الأسماء الثلاثية عشرة أوزان منها بناء (( فُعْلا )) بضم الفاء والعين <sup>(٤٠٢)</sup> ، يقول سيبويه (١٨٠هـ) : (( أما ما كان على ثلاثة أحرف من غير الأفعال ... يكون ( فُعْلا ) فيهما فالاسم : ... الطَّنْبُ والعُنُق ... والصفة : الجُنْب والأُجْد )) <sup>(٤٠٣)</sup> ، وقد ورد الاسم (( أُنْ )) على هذا البناء في ألفاظ السَّمْع خمس مرات <sup>(٤٠٤)</sup> ، بأنساق دلالية متباينة كقوله تعالى : ( وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُنْ قُلْ أُنْ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ) <sup>(٤٠٥)</sup> وحقيقة (( الأُنْ )) في الآية على معنى المبالغة في الاستماع بلا تدبر لما يسمع فـ (( الأُنْ : الرجل الذي يصدّق كل ما يسمع ويقبل قول كلّ واحد ، سمي بالجارحة التي هي آلة السماع ، كأن جملته أُنْ سامعة ، ونظيره قولهم للربيئة عين وإيذاؤهم له هو قولهم هو أُنْ )) <sup>(٤٠٦)</sup> ، فالأُنْ : (( اسم للعضو المعروف واستعمل في الآية مجازاً أي مستمع وزنه فُعْل بضمّتين )) <sup>(٤٠٧)</sup> سمي بالجارحة كأنه من فرط استماعه صار بجملته آلة السماع والتقبل <sup>(٤٠٨)</sup> ، ولعل ما يمكن لمسّه من القيم الدلالية لهذا الاستعمال هو : حسّ المبالغة في الاستماع الذي أراد أن يصوّره المشركون ، فاستعمال هذا البناء اختزل الاستعمالات كلها التي يمكن أن توظف لهذا الاتجاه ، فاستعمالها أوصل أكبر قدر من الإيحاء الدلالي ، فكأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) تحوّل كله أذناً سامعة صاغية فهو – بحسب وصفهم له – مجرد من مقاييس المنطق

<sup>(402)</sup> ظ : الكتاب : ٤ / ٢٤٣ ، . والمنصف : أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ، ط : ١ (١٩٥٤) : ١٨/١ .

<sup>(403)</sup> الكتاب : ٤ / ٢٤٣ .

<sup>(404)</sup> الآيات : (( المائدة : ٤٥ ، ٤٥ ، التوبة : ٦١ ، ٦١ ، الحاقة : ١٢ )) .

<sup>(405)</sup> التوبة من الآية : ٦١ .

<sup>(406)</sup> الكشف : ٤ / ٢٧٥ .

<sup>(407)</sup> ظ : م.ن : ٤ / ٢٧٥-٢٨٩ .

<sup>(408)</sup> ظ : حاشية القونوي : عصام الدين اسماعيل بن محمد الحنفي على تفسير الإمام البيضاوي ، ضبطه وخرج آياته عبد الله محمود محمد عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ (٢٠٠١) : ٩ / ٢٦٤ . .

المحدّدة لمسار سلامة الخطاب ، هذا من جانب ومن جانب آخر : أن استعمال أداة السَّمْع (( الأذن )) بدلا من وظيفتها (( السماع )) يعطي إحياء دلاليًا مفرطًا في التشخيص ، وعمق بث المعنى في أذهان المتلقين للنص ، فالاسم رسم صورة بيانية ناطقة بأصل الوصف ، بيد إن النص القرآني ردّ ما وصفوه به فقال : ( قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ) فهو سماع تدبر مقترن بحكمة ، وخلق منتظم برأفة ، لا سماع جهل وبلادة فـ(( أذن خير كقولك : رجل صدق تريد الجودة والصلاح ، وكأنه قيل نعم هو إذن ولكن نعم الأذن ))<sup>(٤٠٩)</sup> وإنما يقبل الاستماع لكم ليس جهلا بحالكم بل رحمة بكم<sup>(٤١٠)</sup> .

ثانيا - المصدر :

المصدر : حدث مجرد من الزمان<sup>(٤١١)</sup> ، والشخص والمكان<sup>(٤١٢)</sup> ، وعند

المحدثين :

(( اسم الحدث الذي تحمله مادة الكلمة في أصولها الصامتة ، وهو لا يأتي إلا من مادة مخصبة يمكن أخذ المشتقات منها قياسيا ))<sup>(٤١٣)</sup> ، فالصوامت هي اللبنات المحولة لتصاريف المفردات – ويعد هذا الرأي ردُّ على الخلاف الاشتقاقي بين البصريين والكوفيين – ويشترط في اشتقاق المصدر أن يتضمّن أحرف فعله الماضي الأصلية والزائدة وإن كان على نحو الاشتمال الضمني مبنيا على حذف وتعويض نحو (( عدة مصدر )) وعد )) ، والأبنية المصدرية منها المجرد وفيها المزيد ولكل منها أبنية

<sup>(409)</sup> الكشاف : ٢٧٥/٤ ، والجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تح : سالم مصطفى البدري ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ٢ (٢٠٠٤) ، مج : ٤ ، ١٢٢/٨ .

<sup>(410)</sup> ط : حاشية القونوي : ٢٦٤/٩ .

<sup>(411)</sup> ط : اللع في العربية : أبو الفتح عثمان ابن جني ، تح : حامد المؤمن - مط : العاني ، بغداد ، ط : ١ (١٩٨٢) : ١١٤ .

<sup>(412)</sup> ط : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : د. خديجة عبد الرزاق الحديثي ، مكتبة النهضة ، بغداد ، (١٩٦٥) : ٢٠٨ .

<sup>(413)</sup> المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٠٩ .

(٤١٤) ، ومن أبنية مصادر الفعل الثلاثي المكسور العين (( فَعَلَ يَفْعَلُ ومصدره والاسم نحو : لِحْسَهُ يَلْحَسُهُ لِحْسًا وهو لِحْسٌ ، وَلِقْمَهُ يَلْقَمُهُ وهو لِقْمٌ )) (٤١٥) ، وعند إنعام النظر لتعيين المواضع المصدرية في أبنية ألفاظ السَّمْع وجد البحث أن مصدر (( سَمِعَ )) قد جاء مجردا من الألف واللام بنحو صيغتين فقط (٤١٦) ، ومرتين مقترنا بالضمير الكاف وميم الجمع (٤١٧) ، وخمس مرات بالضمير (( ها )) مع ميم الجمع أيضا (٤١٨) ، ومرة واحدة أفترن بالضمير الهاء مجردا من أية علامة (٤١٩) ، في حين بلغ مجموع المصدر المقترن بالألف واللام (( السَّمْع )) اثنتي عشرة مرة فيكون المجموع اثنتين وعشرين مرة (٤٢٠) ، بسياقات دلالية متنوعة يرشحها السياق ، ومن المصادر الأخرى المصدر (( وَقَرَأَ )) بزنة (( فَعَلًا )) وهو ما كان على فَعَلَ يَفْعَلُ كـ (( قَتَلَ يَقْتُلُ قَتْلًا والاسم قاتل ، وَخَلَقَهُ يَخْلُقُهُ خَلْقًا والاسم خالق )) (٤٢١) ، وعند استقراء هذا البناء المصدرية اتضح أن مجموع وروده ست مرات فيكون مجموع ورود المصادر ثمانية وعشرين مصدرا (٤٢٢) ، وقد اشتملت جميعها على أحرف أفعالها اشتمالا ظاهرا لأن المصدر (( سَمِعًا أو السَّمْع )) وباختلاف ما يلحق بهما من سوابق أو لواحق قد اشتملا على أحرف فعلهما الماضي (( سَمِعَ )) ، ويكون هذا الكلام مصداقا للمصدر (( وَقَرَأَ )) ، ويلحظ إن افراغ الزمن عن المصدر يجيز للحدث التحرك في أي زمن قال تعالى : (( وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا )) (٤٢٣) فحدث السمع جرد من عنصر الزمن فانطلق مستوعبا الازمان كلها فما كان جزاؤهم إلا أن ( تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضِ

(414) ظ : الكتاب : ٤/٤ - ٢٤٥ .

(415) م.ن : ٥/٤ .

(416) الايتان : (( الكهف : ١٠١ ، الأحقاف : ٢٦ )) .

(417) الايتان : (( الأنعام : ٤٦ ، فصلت : ٢٢ )) .

(418) الايات : (( البقرة : ٧ ، ٢٠ ، النحل : ١٠٨ ، فصلت : ٢٠ ، الأحقاف : ٢٦ )) .

(419) الجاثية من الآية : ٢٣ .

(420) ملحق برقم : ( ٤ ) .

(421) الكتاب : ٤/٥ - ٤٥ .

(422) ظ : ملحق برقم : ( ٤ ) .

(423) الكهف من الآية : ١٠١ .

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا (٤٢٤)

لأنهم على امتداد الزمان لم يقدرُوا أن يستفيدوا من حاسة السَّمْع حتى يتمكن الاعتقاد بقلوبهم فكان (( يتقل عليهم سماع القرآن وذكر الله تعالى كما يقال : فلان لا يستطيع النظر إليك ولا يستطيع أن يسمع كلامك أي : يتقل عليه ذلك )) (٤٢٥) فهنا دلٌّ – أي المصدر – على كلية الاستحقاق (٤٢٦) ، وقد رشَّح استعمال المصدر معنى الشرك المطلق لديهم المتجذر بقلوبهم ، فقد أوصدوا منافذ سمعهم فلم يتوقف زمن شركهم بالله لحظة واحدة فأصبحوا مستنقعا للشرك فلم يكن عندهم استطاعة قوة (( يطبقوا بها كلام الله تعالى فهم بمنزلة من صُمَّ )) (٤٢٧) بل أكثر درجة من الصَّمَم ، وأبلغ من الوقر ، كما تتضح دلالة الشدة والمبالغة من مجيء المصدر نكرة ومنونا تنوينا يدل على نفي أدنى شيء يتصل بالسمع لتفتح دلالات الإطلاق وليدل على استحالة سمعهم (( لإفراط صممهم عن الحق ، فإن الأصم قد يستطيع السَّمْع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصمت مسامعهم بالكلية )) (٤٢٨) لكون أسماعهم موثوق منها بالختم ، وتتضح دلالة المصدر المقترن بالألف واللام في قوله تعالى : ( ما كانوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ) (٤٢٩) ، فلو حلَّ الفعل محل المصدر لتغيرت الدلالة وحدد الزمن الحدث فما كانوا (( يستطيعون في الدنيا أن يسمعوا سمعا ينتفعون به ، ولا إن يبصروا إبصار مهتد )) (٤٣٠) ، وكأن الصَّمَم ثابت بهم لصيق بشخصياتهم لذا عدل من الفعل إلى المصدر في حين أتى بالبصر بناء فعليا ليبدل على حدوث تعاميمهم وعدم ثبوت تلك الظاهرة عندهم

(424) الكهف : ٩٩-١٠٠ .

(425) الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز : علي محمود دخيل ، المعارف - بيروت ، ط : ١ ، (٢٠٠٢) : ٤٠٠ .

(426) ظ : جماليات المفردة القرآنية : ٢١٥ .

(427) الجامع لأحكام القرآن : مج ٦ ، ٤٤/٢ .

(428) تفسير البيضاوي : المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل وقادة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيراوي البيضاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ (٢٠٠٣) : ٢٤/٢ .

(429) هود من الآية : ٢٠ .

(430) الجامع لأحكام القرآن : مج ٥ ، ١٥/٩ .



وإمعانا في ترسيخ وثبوت الصمم ذكر عدم الاستطاعة مع فعل السَّمع وأسقطها مع فعل البصر فضلا عن مراعاة ظاهرة فنية صوتية تتمثل بالمحافظة على الفواصل ولم يعكس التركيب (( لأن السَّمع أعظم نعمة وأوفر فائدة فالمبالغة في نفيه بنفي الاستطاعة صريحا أهم وأتم ... ولما كان قبح حالهم في عدم إذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السَّمع أشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالإبصار بالغ في نفي الأول عنهم حيث نفي عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الإبصار ))<sup>(٤٣١)</sup> وقد جاءت الجملة على نحو الاستئناف البياني كجواب لسؤال مقدّر عن سبب مضاعفة عذابهم أو حالا واقعة في معرض التعليق كأنه قيل يضاعف لهم العذاب لتضاعف سببه وهو تصامهم عن استماع الحق وتعاميهم عن آيات الله<sup>(٤٣٢)</sup> ، وذهب الرازي (٦٠٦ هـ) إلى أن المراد درجة أبعد من ظواهر السَّمع الحسية إيَّ (( ما هم عليه من صَمِّ وبكم وعمي النفس ))<sup>(٤٣٣)</sup> ، ولم يكن المصدر (( وقر )) بأقل دلالة ففي قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى )<sup>(٤٣٤)</sup> فالوصف بالمصدر بهذا الموضع يكون قد أكسب ماهية الوقر من دون نوعه لأن المراد ما هم عليه من التصامي بغض النظر عن حيثيات ذلك التصامي، لأنّ الوصف بالمصدر يوجّه كل دلالات مصدريته باتجاه الحدث ولا غير الحدث، وأما لوازمه الأخرى فدونه أهمية لمسا لمعنى المبالغة فهم )) صُمُّ عمي عن القرآن يتصامون عن سماعه ويتصامون عما فيه من الآيات ))<sup>(٤٣٥)</sup> فالبناء المصدرى قد دلّ على مستوى عمق الوقر في آذانهم الذي حال دون إدراكهم للإمارات الدالة عليه .

<sup>(431)</sup> حاشية القونوي : ٥٤/١٠ .

<sup>(432)</sup> ظ : م . ن : ٥٤/١٠ .

<sup>(433)</sup> التفسير الكبير : مج ٩ : ٢١٥/١٧ .

<sup>(434)</sup> فصلت من الآية : ٤٤ .

<sup>(435)</sup> تفسير البيضاوي : ١٢٠/٢ .

يتضح مما تقدم : أن البناء المصدرى نستق أطراف معادلة المعنى، وكشف عنه بأجلى صورة لأن المصدر هو ذات الحدث<sup>(٤٣٦)</sup> لذا أتقن النص القرآني استعماله إذ أراد أن يركز على الفعل نفسه من دون لوازمه الأخرى .

### ثالثا - الجموع :

تُعَدُّ الجموع صورة من صور مرونة اللغة ومظهرا من مظاهر حركتها ، ومن أصناف تلك الجموع (( جمع التكسير )) ، وسُمي بذلك لأن بنيته لا تسلم عند تحويله إلى الجموع (إذ لا يعتمد على لاحقة كالجمع السالم وإنما يعتمد الحركات مع ثبات الصوامت في مواضعها وهو بذلك يدل على مرونة اللغة وخصوصيتها في اتساق الصيغ المختلفة من المادَة (الواحدة))<sup>(٤٣٧)</sup> ، وله نوعان : جمع قلة وكثرة ويراد بالأول : ما دلَّ على ثلاثة إلى عشرة وله أربعة أوزان هي (( أفْعُل و أفْعَال و أفْعَلَة و فِعْلَة ))<sup>(٤٣٨)</sup> ، ولا يرى سيبويه بالوزن الأخير جمعا وبهذا أقرَّ بعض المحدثين<sup>(٤٣٩)</sup> ، أما جمع الكثرة فيراد به ما دلَّ على الثلاثة إلى ما لا نهاية وله أوزان كثيرة بلغت ثلاثة وعشرين وزنا يحيل عليها البحث للمستزيد<sup>(٤٤٠)</sup> ، وقد لاحظ الدارسون تداخلا دلاليا يسببه السياق : إذ قد يدل جمع

(436) ظ : الصيغ الزمنية في اللغة العربية : د. مالك المطلبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط : ١ ، (١٩٨٦) : ٣٣ .

(437) المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٣٣ .

(438) ظ : الكتاب : ٤٩٠/٣ ، وشرح الوافية نظم الكافية : أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، دراسة وتحقيق : د. موسى العليلى ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ، ط : ١ (د.ت) : ٢٣١ .

(439) ظ : المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٣٣ .

(440) ظ : الكتاب : ٤٩٠/٣ ، وشرح الوافية نظم الكافية : ٣٢١ .

القلة على الكثرة لأن العرب قد تستغني ببناء عن آخر لوجود قرينة تشخص النوع الدلالي المراد <sup>(٤٤١)</sup> ، وقد اشتملت ألفاظ السَّمع على الصنفين كليهما ، فما جاء من ألفاظ القلة بزنة (( أفعال )) المفردة (( أذان )) التي بلغ مجموع ورودها اثنتي عشرة مرة <sup>(٤٤٢)</sup> وقد جاءت مجردة من أية اقتران أربع مرات <sup>(٤٤٣)</sup> ، ومسندة إلى ضمير الرفع (( نا )) مرة واحدة <sup>(٤٤٤)</sup> ، وسبع مرات مقترنة بالضمير (( هم )) <sup>(٤٤٥)</sup> ، كقوله تعالى : ( وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ) <sup>(٤٤٦)</sup> ف (( أذان )) مفردة سمعية ضمنية عبر عن السَّمع بأداته ، إيّ : جعلوا أصابعهم في مسامعهم فسدوها عن استماع الحق فهي دلالة عن انحراف سلوكهم وتعنتهم (( والحق أنهم بالغوا في التقليد حيث جعلوا أصابعهم في آذانهم لنلا يسمعون البيئة ، واستغشوا ثيابهم إيّ : تغطوا بها ، أما لأجل ألا يبصروا وجهه كأنهم لم يجرأوا أن يسمعوا كلامه ولا أن يروا وجهه )) <sup>(٤٤٧)</sup> ، فمنع السَّمع ، واستغشاء الثياب مبالغة في العناد ، وذروة في التعسف والاستكبار .

ويلحظ أن الجمع (( أذان )) وإن كان بزنة (( أفعال )) وهي من زنات جمع القلة إلا أن السياق يبرز دلالة الكثرة لأن العرب قد تتوسع في الاستعمال وتقيم صيغا مقام أخرى يقول سيبويه ( ١٨٠ هـ ) (( وربما جاء (( الأفعال )) يستغني به وأن يكسّر الاسم على البناء الذي هو لأكثر العدد فيعني به ما عني بذلك البناء من العدد نحو : قُنْبٌ وأقْتَابٌ )) <sup>(٤٤٨)</sup> أما ما جاء على زنة جمع الكثرة بناء (( فُعْلٌ و الذي يطرد في أوصاف

<sup>(441)</sup> ظ : البصر في القرآن الكريم ( لغة ودلالة ) د. نضال حسن سلمان الأسدي ، مجلة المبين ، العدد : ١ ، ٢٠٠٥ م : ٦٢-٦٣

<sup>(442)</sup> ظ : ملحق برقم : ( ٥ ) .

<sup>(443)</sup> ظ : ملحق برقم : ( ٥ ) .

<sup>(444)</sup> ظ : ملحق برقم : ( ٥ ) .

<sup>(445)</sup> ظ : ملحق برقم : ( ٥ ) .

<sup>(446)</sup> نوح من الآية : ٧ .

<sup>(447)</sup> التفسير الكبير : مج ١٥ / ٣٠ / ١٣٦ . .

<sup>(448)</sup> الكتاب : ٥٧١ / ٣ ، و ظ : المقرب : علي بن مؤمن بن عصفور ، تح : أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري ، العاني - بغداد ، ط : ١ ( ١٩٧١ ) : ٤٧٣-٤٧٧ .

وأسماء ترد على وفق أبينة معينة منها : مجيؤها على كل وصف بزنة (( أفعل – فعلاء  
 (( نحر – حمراء – أخضر  
 خضراء ))<sup>(٤٤٩)</sup> أو عيب نحو : (( أصمّ وصماء )) أو جمال نحو : (( أبيض – بيضاء  
 )) وقد جاءت المفردة السمعية (( صُمُّ )) على هذه الزنة وقد بلغ مجموع ورودها  
 إحدى عشرة  
 مرة<sup>(٤٥٠)</sup> ، وكانت الثلاث الأول مجردة من أية اقتران سابق أو إضافة لاحقة<sup>(٤٥١)</sup> ،  
 على حين اقترنت الألفاظ الست الأخريات بأداة التعريف (( الألف واللام ))<sup>(٤٥٢)</sup> و ((  
 صُـمُّ )) بزنة  
 (( فُعَل )) – بضم فسكون – لأن (( صُمُّ )) جمع (( أصمّ )) ومؤنثها (( صمّاء ))  
 وهكذا كل صفة بزنة (( فَعَل )) جمعها القياسي بزنة (( فُعَل ))<sup>(٤٥٣)</sup> ، كقوله تعالى  
 : ( أ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ )<sup>(٤٥٤)</sup> فالصم المشار إليه هنا جمع تكسير ،  
 إذ إن هؤلاء ليسوا قلة إنما هم تجمعات قد عُقِّت مسامعهم ووصدت نوافذها على الرغم  
 من أنها لم تكن معطلة ولكن عطلوها وأصروا على التعتت الأعمى ، ويمكن أن نلمس  
 مفصلا دلاليا من خلال هذا البناء هو : (( الوصفية )) إذ تعددت الأبنية الدالة على هذا  
 الاتجاه الدلالي يقول سيبويه ( ١٨٠ هـ ) : (( واعلم أن مؤنث كل أفعل صفة فعلاء ))  
<sup>(٤٥٥)</sup> ، وفيها يقول ابن يعيش ( ٦٤٣ هـ ) : (( والغالب على هذا البناء أن يكون مؤنث ))  
 أفعل )) وبابه الألوان والعيوب ))<sup>(٤٥٦)</sup> ، وجلى جدا أن الصمّ أحد العيوب بل وأشدّها  
 تأثيرا في انطباعية السلوك واستقامة المشاركة فاستعمال النص القرآني هذا التشكيل

<sup>(449)</sup> ظ : الكتاب : ٥٩١/٣ ، ٦٠٢-٦٠٣ ، ٦٣٩-٦٤٤ .

<sup>(450)</sup> ظ : ملحق برقم : ( ٥ ) .

<sup>(451)</sup> ظ : ملحق برقم : ( ٥ ) .

<sup>(452)</sup> ظ : ملحق برقم : ( ٥ ) .

<sup>(453)</sup> ظ : الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ٦٤/١ .

<sup>(454)</sup> يونس من الآية : ٤٢ .

<sup>(455)</sup> الكتاب : ٢٧/٤ .

<sup>(456)</sup> شرح المفصل : ١١١/٥ .

الصرفي ليدل به على الوصفية برغم أنه لم يستعمل صيغة المؤنث (( فَعَلَاء )) المصوغة من (( فُعَل )) ولكن نلمس تلك الدلالة ضمنا في اثنتي عشرة مرة ، ومنه قوله تعالى : ( صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهَمُّ لَا يَرْجِعُونَ ) (٤٥٧) ، فهو وصف شديد لأذانهم وثقل مسامعهم ، فإن سمعهم لما لم ينفعم كانوا صمما لم يفقهوا ما يسمعه ، فمسامعهم مظاهر شكلية لم توظف بمجال عملها الطبيعي ، يقول أبو حيان الأندلسي معقبا على هذه الجموع الثلاثة في الآية أنها (( جموع كثرة على وزن (( فُعَل )) وهو قياسي في جمع فعلاء – أفعل الوصفين سواء تقابلا نحو : أحمر – حمراء أو تفردوا لمانع الخلقة نحو عذل ورتق )) (٤٥٨) إذ ألقت هذه الأوصاف عيبا خلقيا بعد أن فقدوا قدرة التمييز بين متشابهات الخطاب .

#### رابعا - المشتقات :

وهي في العربية سبعة اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم الزمان والمكان ، واسم التفضيل ، واسم الآلة ويضم الكوفيون المصدر إليها (٤٥٩) ومن المحدثين من عدّها أحد عشر مشتقا ، مضيفا إليها المصدر الميمي والصناعي والمصدر الدال على المرة والهيئة (٤٦٠) وقد وردت المشتقات في ألفاظ السَّمع سبعين مرة (٤٦١) ، على التصنيف الآتي

(457) البقرة من الآية: ١٨ .

(458) البحر المحيط : أنير الدين أبو حيان عبد الله بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ، (د.ت) : ٧٥/١ .

(459) ظ : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، وتصريف الأسماء : ٨٢ .

(460) المنهج الصوتي للبنية العربية : ٢٧٠ .

(461) ظ : ملحق برقم : ( ٦ ) .

أ- اسم الفاعل :

ويعرّف بأنه (( ما اشتق إيّ أخذ من مصدر فعّل ثلاثي أو غيره لمن قام الفعل به ، إيّ تلبّس معنى الحدث ، إيّ حدوث الفعل عنه ، وصدوره منه ، كـ( ضارب ) و ( مُكْرَم ) ، فهو دال على حدث وصاحبه ))<sup>(٤٦٢)</sup> ، فهو وصف يدل على حدث وزمان ودلالته على الزمن ترتبط بالحال والمستقبل وهذا هو زمن المضارع ، ويُصاغ من الفعل الثلاثي المجرد بزنة (( فاعل )) قياسا مطردا من اللازم والمتعدي ، وقد يأتي على غير تلك الزنة<sup>(٤٦٣)</sup> ، ويؤتى من غير الثلاثي بإبدال ياء المضارعة ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر مطلقا ، وقد يراد ببناء (( فاعل )) غير اسم الفاعل كمعنى (( اسم المفعول )) وإنما تفرز تلك الدلالة من السياق واشتقاق المعنى وهو مظهر من مظاهر التوسع في الاستعمال .

والأصل في اسم الفاعل أن يدل على الحدوث وطروء الصفة ، وقد تنزاح دلالاته ليدل على ثبوت الحدث ولزوم الصفة وعندئذ يكون على معنى الصفة المشبهة ، وتكون قرينة السياق هي المرجحة بينهما ، فضلا عن طبيعة الحدث المتضمن فيهما ، فإن اقتضى التجدد فعلى معنى اسم الفاعل وإن ابتغى الثبوت فعلى دلالة الصفة المشبهة .

وقد جاء اسم الفاعل في ألفاظ السّمع مصوغا من الرباعي المزيد بحرف واحد (( أَسْمَع )) في قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ )<sup>(٤٦٤)</sup> ، واشتق من الفعل الخماسي المزيد بحرفين (( الهمزة والسين )) في قوله تعالى : ( فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ )<sup>(٤٦٥)</sup> وورد مصوغا لدلالة الجمع في قوله تعالى : ( قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ )<sup>(٤٦٦)</sup> ، وأرى أن اسم الفاعل في الموضع

<sup>(462)</sup> شرح الحدود النحوية : عبد الله أحمد بن علي الفاكهي ، دراسة وتحقيق : د. زكي فهمي الألوسي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، (د.ت) : ٩٠ .

<sup>(463)</sup> ظ : الكتاب : ٤/٧-٢٢-٣٥ ، وشرح جمل الزجاج : علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور ، تح : د. صاحب أبي جناح ، إحياء التراث الإسلامي ، (١٩٨٠-١٩٨١) ٢/٢٠٤ .

<sup>(464)</sup> فاطر من الآية: ٢٢ .

<sup>(465)</sup> الطور من الآية : ٣٨ .

<sup>(466)</sup> الشعراء من الآية: ١٥ .

الأول يحتمل دلالتين الأولى (( دلالة مغلقة )) لأن ظاهرة إسماع الرسول للذين غلقت مسامعهم حركة ليست ثابتة إنما هي متجددة منقطعة بانقطاع فترة زمنية ، إذ ليس لأسماعهم جدوى ، لذا لا مسوغ لاستمرارها ، لأن الشرك قد استوطن في قلوبهم وتوطن فيها ، فلا يمكن والحال هذه أن توقظهم من سكرتهم كلمات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فإن المقبورين ليس لأسماعهم من سبيل وإنما أنزلهم منزلة الموتى لأن الميت فضلا عن تعطيل سامعته من الإدراك فإن أعضاء وظائفه الأخرى لا تعمل فيكون هناك إسقاط وظائفي مزدوج ، ثم إن النص زاد (( الباء )) طلبا لدلالة التوكيد باستحالة سمعهم وعدم تمكنهم منه فضلا عن نفيه مضمون الجملة ( بما ) وتقديم الاسم على الفعل فلم يقل (( وما بمسمع أنت من في القبور )) لأن بتقديم الاسم تمكّن أثبت للمعنى المنفي وعدم ذبذبه بين النفي والإثبات ، بل إن التركيب عمد إلى ذكر الاسم الموصول (من) وعندئذ تكثف دلالة الإيحاء المشخص للظاهرة الدلالية من الاسم الموصول ومفردة (القبر) فذلك القصد من الاختيار اختزال لمعنيين هما الأموات التي في القبور والقبر نفسه رمز الموت ، إذن حشد النص القرآني أربع أدوات لإظهار مستوى ضلالهم وانحرافهم هي : (( تقديم الاسم (انت) ، زيادة الباء والتوكيد بها ، ذكر المحل ( رمز ) والاموات الذي عبر عنهم ب(من) و اشتقاق اسم الفاعل من المزيد )) ، أما الثانية فهي (( دلالة منفتحة )) على التجدد والاستمرار وربما جاءت هذه الدلالة منسجمة مع توجه الآية فإن الرسول لم يكتف بإسماعهم مرة واحدة بل هناك فعل مكرر متجدد كلما سمحت بذلك ظروف الدعوة ، لأن معاودة الخطاب من شأنه أن يحفز العقل الإنساني من سكرته وهو يتناغم مع مبدأ المرسلين في دعوتهم لمجتمعهم ، فيكون اسم الفاعل دالا على معناه الوظيفي الأصلي لذا لما استترد الرسول ببعث جمالية الإيمان بقلوبهم المجدية نزل النص ناهيا عن تلك الممارسة لسبق معرفة السماء بالنتيجة (( فقد خفي عليك أمرهم فلذلك تحرص وتتهالك على إسلام قوم من المخدولين ))<sup>(٤٦٧)</sup> ففرق كبير بين دلالة اسم الفاعل على التجدد والاستمرار ودلالته على الانقطاع ودلالته على الثبوت ، فدلالة الحدث المتجدد هي الاستمرار ، أما الحدث

المنقطع فيدل على انه حدث مرة واحدة وانتهى ، على حين أن دلالة الثبوت واللزوم يدل على لزوم الصفة بموصوفها على سبيل التلازم والثبوت فأصبحت الصفة مكونا من مكونات شخصيته ، وقسما لا يتقسم منها ، فبين حدود تلك الدلالات فرق لا يلمس إلا بالتحقيق ، فإن انعدمت تلك الفروق غابت الدلالة ، لذا اتقن الخطاب القرآني توظيف تلك الدلالات بحسب مقامات الحدث المعالج شخصا أدق دقائق معانيه واضعا بين تلك الدلالات حدودا مفرقة كمظهر من مظاهر إعجازه الصرفي ، وإذا كان اسم الفاعل بالموضع السابق ترجح بين دلالة الانقطاع والاستمرار ففي قوله تعالى : ( قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ )<sup>(٤٦٨)</sup> قد أفاد معنى الثبوت والملازمة ورسوخ الصفة ، فهو وإن دلَّ ببيئته على معنى اسم الفاعل إلا أن دلالاته كدلالة الصفة المشبهة إذ يطرد قياسها على زنة اسم الفاعل إذا أريد به الثبوت كمعتدل القامة ومنطلق اللسان<sup>(٤٦٩)</sup> وتضاعيف السياق تعضد ذلك المعنى وتؤكدده ، لأن المخصص بظاهرة السَّمع هو الله ولا يمكن تصور حدوث سمعه لأن سمعه للأشياء ثابت مستقر ، وليس عرضا حادثا ولا شيئا طارئا يزول كباقي سَمع المخلوقات<sup>(٤٧٠)</sup> ، فهو سَمعٌ ممتد بامتداد الزمان ومستوعب لكل المسموعات ، ثم إن مجيء (( مستمعون )) بصيغة الجمع وقع دلالي لا يؤديه المفرد هي بعث الأمن والطمأنينة في قلبي (( موسى وهارون عليهما السلام )) وأعطائهما دفعة من الأمن المفقود لديهما فجاء السَّمع هنا بدلالة الحفظ<sup>(٤٧١)</sup> إي : أنا القائم بحفظك يا موسى فيكون فاعل السَّمع هو القائم بتأمين الأمنلها<sup>(٤٧٢)</sup> ، فضلا عن دلالة المشاركة فإن الله مشارك لهما في كل مفصل رسالي يقومان به فيقوي ضعفهما ، والخلاصة : أن اسم الفاعل أريد به الثبوت والملازمة لأن طبيعة المعنى تفرض ذلك الإطار الدلالي فضلا عن عنصر المبالغة المكتسب من صياغة اسم الفاعل من المزيد

<sup>(468)</sup> الشعراء من الآية: ١٥ .

<sup>(469)</sup> ظ : شذا العرف في فن الصرف : الأستاذ الشيخ أحمد الحملاوي ، مصطفى الحلبي - القاهرة ، ط : ١٦ ، (١٩٦٥) ، ٧٧ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٧٥ .

<sup>(470)</sup> ظ : المحصل : ٣٩٩-٤٠٣ .

<sup>(471)</sup> ظ : الكشف : ٢٠٧/٢ ، والجامع لأحكام القرآن : مج٦ ، ٣١٠/٧ .

<sup>(472)</sup> ظ : الكشف : ٢٠٧/٢ ، وروح المعاني : مج٧ ، ٢٠/٧ .



(( استمع )) (( لأن نقل اللفظ أو العدول به من صيغته الى صيغة أخرى أكثر حروفا من الأولى لا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً )) (٤٧٣).

#### ب- اسم المفعول :

وهو : مشتق مصوغ من الفعل المبني للمجهول ليدل على من وقع عليه الفعل (٤٧٤) فتضمنه على معنى الحدوث (٤٧٥) ، فهو مماثل لاسم الفاعل من جهة الوظيفة وإن كان الأخير تنزاح دلالاته إلى الثبوت بحسب طبيعة الحدث ، في حين لا تنزاح دلالة اسم المفعول عن ذلك ، ويتفارقان في دلالة اسم الفاعل على ذات فاعله والمفعول على ذات مفعوله (٤٧٦) ، كما إنه يغاير الصفة المشبهة (( فإن اسم المفعول يوحي بمعنى الحدث أكثر من الصفة المشبهة الدالة على ثبات الحدث )) (٤٧٧) ، ويصاغ من الثلاثي المجرد بزنة (( مفعول )) نحو (( علم معلوم ويبيع مبيوع )) ومن غير الثلاثي بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر ، وقد يصاغ بناء المفعول من الثلاثي بزنة (( فعيل )) ولكن من دون تغيير معناه كـ (( جريح بمعنى مجروح )) (٤٧٨) ، وإنما تنزاح (( فعيل )) لمعنى (( مفعول )) لأن في الأول إحياء متعدد فتأتي للمبالغة وتأتي صفة مشبهة وتأتي مصدرا ، فقد يتسلل إلى دلالة مفعول معنى المبالغة كما يتسلل معنى الصفة المشبهة الدالة على الثبات واللزوم (٤٧٩) .

(473) الإعجاز الصرفي في القرآني الكريم : د. عبد الحميد أحمد يوسف ، المكتبة العصرية - بيروت ، ط : ١ ، ٣٩ .

(474) ظ : شرح المراح في التصريف : ١٢٩ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٣٩٦ .

(475) ظ : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : ٢٣٦/١ .

(476) ظ : معاني الأبنية في العربية : د. فاضل صالح السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط : ١ ، (١٩٨١) : ٥٩ .

(477) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ١٠٧ .

(478) ظ : المنهج الصوتي للبنية العربية : ١١٦ .

(479) ظ : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ١٠٦-١٠٧ .

وقد لاحظ البحث مجيء (( اسم المفعول )) مرة واحدة في قوله تعالى : ( وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ )<sup>(٤٨٠)</sup> فـ (( مُسْمَع )) اسم مفعول مصوغ من المزي

(( اسْمَع )) ، وقد ساق المفسرون توجيهين متضادين لمقصد هذه الآية<sup>(٤٨١)</sup> :  
الأول : إن المراد (( النّم )) ، إيّ : اسمع منا مدعواً عليك – بلا سمعت – لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع ، فكأنه أصمّ غير مُسْمَع ، قالوا ذلك اتكالا على قولهم لا

سمعت – دعوة مستجابة وسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه غير مُسْمَع جواباً يوافقك ، فكأنما لم تسمع شيئاً ، أو اسمع مُسْمَع كلاماً ترضاه فسمعك عنه ناب .

الثاني : المدح ، إيّ أسمع غير مُسْمَع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا إذا سبّه<sup>(٤٨٢)</sup> ، جاء في تهذيب اللغة (( سمعتُ فلانا إذا أسمعته القبيح وشتمته ))<sup>(٤٨٣)</sup> ، - وأجد – إن الاحتمال الثاني أقرب ، لأن الخطاب القرآني جار على أساليب العرب وأعرافها اللغوية في النظم ، والعرب إذا شتمت تقول (( سمعت به ))<sup>(٤٨٤)</sup> إيّ اسمعته القبيح من المسموع والوحش منه بيد أن الرسول مرتفع عن ذلك السب بدلالة أداة النفي (( غير )) (( فإن قلت : كيف جاءوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرحوا وقالوا (( سمعنا وعصينا ؟ قلت : جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ))<sup>(٤٨٥)</sup> وهو جزء من غموض موقفهم تجاه الرسول ودعوته .

جـ- الصفة المشبهة :

<sup>(480)</sup> النساء من الآية : ٤٦ .

<sup>(481)</sup> ظ : الكشاف : ٥١٨/١ .

<sup>(482)</sup> ظ : الكشاف : ٥٠٧/١ ، والجامع لأحكام القرآن : مج ٣ ، ١٥٧/٥ .

<sup>(483)</sup> تهذيب اللغة : سَمِعَ .

<sup>(484)</sup> تهذيب اللغة : سَمِعَ .

<sup>(485)</sup> الكشاف : ٨١٥/١ .

وهي إحدى المشتقات التي تصاغ لتدل (( على حدث ثابت ثبوتاً ملازماً ))<sup>(٤٨٦)</sup> ، ولا ينفك عنه لتلبس الصفة بموصوفها مبالغة في تأكيد الصفة وتعزيدها لمعناها ، فتصل بها صورة المعنى للمتلقى إيصالاً أميناً فإنها أكثر دلالة على المعنى ، وهي تماثل اسم الفاعل سوى (( أن الصفة المشبهة تفيد ثبوت معناها لمن اتصف بها ، واسم الفاعل يفيد الحدوث والتجدد ))<sup>(٤٨٧)</sup> ، وتصاغ من اللازم فقط الدال على الزمن الحاضر ، فلا تصاغ من المتعدي<sup>(٤٨٨)</sup> ، و تصاغ من الثلاثي وغيره<sup>(٤٨٩)</sup> .

وقد جاءت الصفة المشبهة في مجال السمع في المفردة السمعية (( صُمُّ )) المضعّف ، ووردت إحدى عشرة مرة<sup>(٤٩٠)</sup> ، جاءت خمس مرات مجردة من إيّ اقتران<sup>(٤٩١)</sup> . في حين اقترنت بالألف واللام ست مرات<sup>(٤٩٢)</sup> ، إما مجردة كقوله تعالى : (( صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ ))<sup>(٤٩٣)</sup> فالصُّمُّ في الآية جمع (( أصم )) وهي صفة مشبهة من صَمَّ يَصُمُّ باب فتح بزنة (( افْعَل )) وصَمُّ بزنة (( فُعَل )) بضم فسكون ، وهكذا كل صفة بزنة (( أفْعَل )) جمعه القياسي بزنة فُعَل بضم الفاء<sup>(٤٩٤)</sup> ، وعند مقاربة وظيفية (( فُعَل )) ودلالة (( صُمُّ )) يتضح أن الصَّمَّ صفة ملازمة لهم لا انفكاك لهم عنها قد التصقت بهم على نحو التلازم ، فتكون الصفة قد فتحت آفاق دلالة النص باقتراب المتلقي من حقيقة حالهم وتصامهم عن الهداية ، فالصم لديهم ليست حال طارئة وليدة ظروف آنية تزول بزوال مسببها ، إنما أصبح جزء من سلوكهم

<sup>(486)</sup> محاضرات في علم الصرف : د. علي جابر المنصوري ، علاء هاشم الخفاجي ، التعليم العالي في الموصل ، ط : ١ (د.ت) : ٣٢ ، و ط : شذا العرف في فن الصرف : ٧٣ .

<sup>(487)</sup> المنهج الصوتي للبنية العربية : ١١٧ ، و ط : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ١٣٢ .

<sup>(488)</sup> ط : شرح ابن عقيل : ١١٣/٢ .

<sup>(489)</sup> ط : م.ن : ١١٣/٢ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : أبو محمد عبد الله جمال الدين يوسف بن هشام الأنصاري المصري ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، السعادة - مصر ، ط : ٤ (١٩٥٦) ٢/٢٦٦ .

<sup>(490)</sup> ط : ملحق برقم : ( ٦ ) .

<sup>(491)</sup> ط : ملحق برقم : ( ٦ ) .

<sup>(492)</sup> ط : ملحق برقم : ( ٦ ) .

<sup>(493)</sup> البقرة من الآية : ١٧ .

<sup>(494)</sup> ط : الكتاب : ٢٨/٤ .

وفعاليتهم فالمراد (( ما هم عليه من صَمَمٍ وعمى النفس ))<sup>(٤٩٥)</sup> إنما أصبح جزءا فليس لسماعهم جدوى وإن فرض سماعهم (( إذا سمعوه على هذا الوجه كأنهم صُمُّ لم يستمعوه حيث لم ينتفعوا به ))<sup>(٤٩٦)</sup> لبلوغ الصَّمَمِ لديهم مرحلة لا يمكن أن يتجاوزوه لمرحلة إدراك المسموع ، فتكون الصفة المشبهة (( صُمُّ )) قد رسمت حالهم وهي أنهم لم يستفيدوا مما أنعم الله عليهم به من الحواس وجاءت الصفة المشبهة بزنة (( أفعل )) في قوله تعالى (( مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع ))<sup>(٤٩٧)</sup> فالأصم صفة مشبهة بزنة (( أفعل )) من (( صَمَّ يَصِمُّ )) باب فتح مؤنثه صَمَاءٌ وجمعه صُمَّ – كما تقدم – وكذلك يجيء على (( صُمَّان )) بزنة (( فعلان ))<sup>(٤٩٨)</sup> بيد أن هذا التصريف لم يرد في القرآن الكريم ، ويلحظ في هذه الآية قصدية النص القرآني في اعتماد فنية (( التقابلا لجمالي )) إذ (( قوبل الأعمى بالبصير وهو طباق وقوبل الأصم بالسميع وهو طباق أيضا ... ولم يجئ التركيب ، الأعمى والبصير والأصم والسميع فيكون مقابلة في لفظ الأعمى وهذه وفي لفظ الأصم لأنه تعالى لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السَّمع ولما ذكر انفتاح البصر أتبعه بانفتاح السَّمع وذلك هو الأسلوب في المقابلة والأتم في الإعجاز ))<sup>(٤٩٩)</sup> وهذا كله يبعث في النفس السمو والروعة من جمال المقابلة .

#### د- صيغ المبالغة :

وهي (( أن تبالغ في الأمر جهدا ))<sup>(٥٠٠)</sup> وتتجاوز متوقعات المعنى المطروق سلفا ، وعند التهانوي (١١٥١هـ) (( أن يدعي المتكلم بلوغ وصف في الشدة أو الضعف حـ \_\_\_\_\_ دا

<sup>(495)</sup> التفسير الكبير :مج ٩ ، ٢١٥/١٨ ، وظ: الأمثل في تفسير الكتاب المنزل : ٤٠١/٢ .

<sup>(496)</sup> الإتيان في علوم القرآن : ١٣/٢ ، و ظ : الجامع لأحكام القرآن :مج ٢ ، ١٢٢/٣ .

<sup>(497)</sup> هود من الآية : ٢٤ .

<sup>(498)</sup> ظ : شذا العرف في فن الصرف : ١٣١ ، والإتيان في علوم القرآن : ١٢٠/١ .

<sup>(499)</sup> البحر المحيط : ٥١٣/٥ ، و ظ : البيان في روائع القرآن : ١٦٩/١ ، ٤٤٦/١ .

<sup>(500)</sup> لسان العرب: بَلَّغَ و ظ : أساس البلاغة: بَلَّغَ .

مستحيلا ، ومستبعدا ليدل على أن الموصوف بالغ في ذلك الوصف إلى النهاية )) (٥٠١) استيعابا لمساحات المعنى الموصوف ، ويبدو أن مفهوم الأخير أكثر دقة ، وأشمل إحاطة ، لأنه استوعب ضربى المبالغة (( الصيغة والوصف )) في حين اقتصر ابن منظور على المبالغة بالصيغة فقط لأن للمبالغة أداتين : أولهما : بالصيغة نحو (( فعّال ، ومفعّال ، وفِعول ... ألخ )) والآخر : بالوصف ، وأجد : أن الضرب الثاني يلجأ إليه المتكلم لأن الصيغة – ربما – لا تسعفه باستيعاب أطراف ذلك المعنى ، وقاصرة عن لملمة متفرقاته ، فهي – إيّ الصيغة – وإن حاولت تصويره يظل تصويرا جزئيا في حين أن المبالغة بالوصف تتكون من تعاضد الصيغ اللفظية باختلاف أجناسها لتؤلف مسارا بيانيا معبّرا ، فيكون الوصف مجسدا لمشهد حركي ناطق ، فإنه أكثر سحرا من البناء الصيغي لأنه يقرب إليك المعادلة الدلالية بعمل إيقاعي مصورّ تصوير حي ، وتأليف لوحة استعراض لأجزاء ذلك المعنى ، لذا انتشر في الخطاب القرآني كثيرا ومنها ألفاظ السّمع في القرآن الكريم .

وقد جاء الأسلوبان في أبنية ألفاظ السّمع ، فمن أسلوب المبالغة الوصفي قوله

تَعَالَى :

( إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ) (٥٠٢) ، فكل جزء من الآية فيه حركة بتعاضد الأوصاف بعضها مع بعض اذ نظمت مفردات (( الموتى ، الصّم ، الإدبار )) باتجاه دلالي متقارب وهو مظهر كفرهم وطغيانهم فإن الميت خال من مظاهر الحياة (٥٠٣) ثم استدرج من وصف الموتى إلى وصف الصم ليدل على أنهم يسمعون سوى خطاب الحق ، ثم جاء بالفعل (( ولى )) ليوحي بصورة حية تدل على اضطرابهم وتخاذلهم فكانك ترى أقواما يسيرون وقد تعثرت أرجلهم بعضها ببعض ، فضلا عن مفردة (( الإدبار )) التي أوحى عن التصامي بدرجة أعلى (( فلو كان الأصم مقبلا لم يسمع ، فإذا ولى ظهره كان أبعد له من السماع ، فإذا أدبر مع ذلك كان أشد

(501) كشاف اصطلاحات الفنون : محمد علي الفارقي التهانوي ، تح : د. لطفى عبد البديع ، المؤسسة المصرية (١٩٦٣) : ٢٠٠ .

(502) النور من الآية : ٣٥ .

(503) ظ : معاني القرآن ، الفراء : ١١٠/٤ .

لبعده عن السماع)) (٥٠٤) ، إذن وظفت ثلاث دلائل على هيأتهم كما يتضح من خلال المخطط الآتي :

موتى ← صُم ← توليه ← إدبار = عدم تمكنهم من الاستماع مطلقا .

فالوصف ارتفع إلى أرقى درجات التأثير ، وأدق حالات الوصف من خلال تعاضد الأوصاف ، وانسجام بعضها مع بعض ، فتلحظ شدة الأسلوب لشدة الواقع المصور ، فارتفعت تبعا لذلك مستويات التأثير ، فكل لفظ يسهم ، وكل تركيب يشارك برسم ملامح الصورة البيانية ، ومن ذلك قوله تعالى : ( قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ) (٥٠٥) ، فلما أراد تصوير ارتفاع الضلالة عندهم ، اختار المبالغة في الوصف فقلوبهم وهي مستودع ذكرياتهم استغلقت بكنانة (٥٠٦) ، وقد ثنت الآية بوصف ثقل مسامعهم وتصامهم فلا يملكون قدرة التفاعل مع جنس الخطاب ، فنلاحظ ارتفاع الوصف لوصف الواقع ، وقد أقيم الوصف على ترابط عضوي بين الأذان والقلوب فقد ثقل سمع الأولى واستغلقت الثانية بكنانة ، وما هذا الترابط بين (( القلب والسمع )) إلا لتعاضد عملهما وارتباطهما وظيفيا ، فضلا عن أن لوقوعهما على مستوى مسار لفظي موحد : عمل بياني يتمثل في تشكيل إيقاع الألوان في الصورة المعبرة ، وتأليف أطرافها المفضيان للإيحاء الصوري المرشد لذلك الوقوع الدلالي أما ما جاء على بناء الصيغة الصرفية فهي :

أولا : فعّال :

وهو من أبنية المبالغة والتكثير (٥٠٧) (( فإذا فعل الفعل وقتا بعد وقت قيل : فعّال ، مثل علام وصبار )) (٥٠٨) وقد وردت المفردة (( سمّعون )) بهذه الزنة أربع

---

(504) البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، خرّج أحاديثه وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط: ١ (١٩٨٨) : ٤٠٣/٢ .

(505) فصلت من الآية: ٥ .

(506) ط : لسان العرب : كَنَّنَ وَالْبَحْرَ الْمُحِيطَ : ٣٢/٦ .

(507) ط : معاني الأبنية في العربية : ٦٣ ، والمنهج الصوتي للبنية العربية : ١١٥ .

(508) الفروق في اللغة : ١٢-١٣ .

مرات<sup>(٥٠٩)</sup> ، صفة لليهود ثلاث مرات ومرة واحدة لغير اليهود كقوله تعالى : ( وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ )<sup>(٥١٠)</sup> ، فسَمَّاعون جمع سماع ، وهي صيغة مبالغة اسم الفاعل بزنة ((فعَّال)) من البناء (( فعِلَّ )) إلا أنها سبقت جمعاً ، فالرجل إذا كان كثير الاستماع يقال له (( سَمَّاع )) بتشديد الميم<sup>(٥١١)</sup> ، فهو لاء كانوا يستمعون الى الكذب لا الى غيره حتى صارت هذه عادة ولما كثرت منهم أطلق عليهم القرآن وصفه لهم بهذه الصيغة<sup>(٥١٢)</sup> وهذه هي وظيفة (( فعَّال )) لأن (( صيغ المبالغة ترجع عند التحقيق إلى معنى الصفة المشبهة لأن الإكثار من الفعل والمبالغة فيه يجعلانه كالصفة الراسخة في النفس ))<sup>(٥١٣)</sup> إذ بلغوا من تكرار وقوع حدث السماع حداً أصبح لهم بمرتبة السجبة الملازمة لهم التي لا تفارقهم لأن المبالغة (( أن يذكر المتكلم وصفاً فيزيد فيه حتى يكون أبلغ من المعنى الذي قصده ))<sup>(٥١٤)</sup> (( فسَمَّاعون )) زيادة على الأصل ف(( اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً لأن الألفاظ أدله على المعاني ))<sup>(٥١٥)</sup> ف(( سَمَّاعون )) معدولة عن (( سامع )) والأولى أبلغ دلالة من الثانية ف(( فعَّال )) يدل على الكثرة في صدور الفعل و (( فاعل )) دونه دلالة ، - إذن - وقر العدول زيادة في المعنى (( حدث السَّمْع )) فلولا العدول في الصيغة ما تحقق ذلك التحوّل فضلاً عن إحياء الصيغة بأنهم لا يقرون على شيء وإنما هم يهشون لكل صيحة<sup>(٥١٦)</sup> ، ولعلماء التفسير آراء في هذه الآية ، منها : أنهم كثيرو سماع الكذب مع العلم أنه كذب

<sup>(509)</sup> ظ : ملحق برقم : ( ٦ ) .

<sup>(510)</sup> المائدة من الآية : ٤١ .

<sup>(511)</sup> ظ : تهذيب اللغة : سَمِعَ .

<sup>(512)</sup> ظ : البرهان في علوم القرآن : ١٧/٣ .

<sup>(513)</sup> المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : ٢٤٤٣/١ .

<sup>(514)</sup> البرهان في علوم القرآن : ٢٢١/٣ .

<sup>(515)</sup> المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : لضياء الدين ابن الأثير ، قدّم له وحققه وشرحه وعلق عليه الشيخ

: كامل محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ (١٩٩٨) : ٤١/٢ .

<sup>(516)</sup> ظ : الفروق في اللغة : ١٣٢ .

وإلا لم تكن صفة ذم وهم كثيرو السَّمْع<sup>(٥١٧)</sup> ، ورأى آخرون : إنما يستمعون كلام النبي لأجل طاعته بل يجعلون ذلك وسيلة لتكذيب النبي والافتراء عليه<sup>(٥١٨)</sup> .  
ثانيا : (( فعيل )) :

وهي من صيغ المبالغة الدالة على حدوث الفعل والبلوغ به إلى حدٍ كبير<sup>(٥١٩)</sup> ،  
وذهب إلى أن (( فعيل )) أبلغ من (( فعلان )) لدلالة الثانية على الصفات المتجددة نحو  
(( عطشان وجوعان )) بخلاف (( فعيل )) فإنها تدل على الثبوت كـ (( كريم وطويل ))  
فليس كريم مضارع لعطشان في القيمة الوصفية<sup>(٥٢٠)</sup> ، وهذا ما يفرق بينهما ، ووردت  
صيغة (( فعيل )) وزنا للمفردة (( سميع )) سبعة وأربعين موضعا<sup>(٥٢١)</sup> وقد وقعت  
وصفا للذات الإلهية في المواضع جميعها سوى موضع واحد اختصت كوصف للإنسان  
في قوله تعالى : ( فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا )<sup>(٥٢٢)</sup> ، ومن مواضع وصف الذات الإلهية  
قوله تعالى : ( فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ )<sup>(٥٢٣)</sup> فوصفه بالسميع ليس وصفا  
عرضيا زائلا ، إنما هو وصف ثابت ملازم لماهيته فلا يعتريه صَمَمٌ ولا يلحقه وقر ،  
فلا يجوز أن نعتقد حدثان سمعه فضلا عن نفيه عنه (( لأن الحي إذا قبل معنى وله ضد  
ولا واسطة بين الضدين لم يخل عنه أو عن ضده فلو لم يتصف بكونه سميعا لاتصف  
بضدها وذلك نقص وآفة ))<sup>(٥٢٤)</sup> ، وكذا يجب الإيمان بـ (( أن صفات الله التي على  
معنى المبالغة كلها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لأن المبالغة أن ثبتت  
للشيء مما له وأكثر وصفاته تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها ))

<sup>(517)</sup> ظ : الميزان في تفسير القرآن : ٣٤٠/٥ .

<sup>(518)</sup> ظ : الأمتل في تفسير الكتاب المنزل : ٩١٤ .

<sup>(519)</sup> ظ : معانب الأبنية في العربية : ٦٣ .

<sup>(520)</sup> ظ : التعبير القرآني : ٣٨ ، ومعاني الأبنية في العربية : ٦٣ .

<sup>(521)</sup> ظ : ملحق : برقم : ( ٦ ) .

<sup>(522)</sup> الإنسان من الآية : ٢ .

<sup>(523)</sup> البقرة من الآية : ٣٧ .

<sup>(524)</sup> نهاية المرام في علم الكلام : ٣٤٢ .



(٥٢٥) وإنما وردت امثال المبالغة في التعبير القراني المصور للصفات الإلهية جريا على سنن العرب في كلامها لان الخطاب القراني لهم خاصة وللعلم عامة ، فالسمع لديه سَمْعٌ ثابت لا يزول وهو دليل كماله وشموله ، كذلك فإن دلالة (( سميع )) في قوله تعالى : ( فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ) (٥٢٦) دلالة على أن خلق الله للإنسان كان بأحسن تقويم فمن فضله عليه أن حباه بنعمة السَّمع والبصر وتفضل بهما عليه فإن مجيء هاتين الصفتين على معنى المبالغة بزنة (( فعيل )) ليدلّان على مكانة الإنسان وعظم منزلته ، بيد أن بين الوصفين (( وصف الله ووصف الإنسان )) فارق في نسبة الثبوت وتفاوت في الدرجة فليس ثبات سَمع الإنسان بنفس ثبات سَمع الله فبينهما فارق ملحوظ ، من هنا يجب توظيف طبيعة الحدث المضمن في الأبنية لتوجيه الدلالة الدقيقة فضلا عن عنصر السياق ، بدليل أن (( فعيل )) قد تتضمن معنى (( فاعل )) الدال على الحدثان والتجدد ولاسيما أن صيغ المبالغة في أصلها (( ألفاظ تدل على ما يدل عليه اسم الفاعل مع المبالغة في المعنى )) (٥٢٧) ، لذا يعد حمل (( فعيل )) على دلالة الثبوت واللزوم إطلاقا خطأ في تقدير دلالات المباني ، لذا فسّر بعضهم قوله تعالى : ( فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) (٥٢٨) بمعنى (( المُسْمَع )) (( لأن العرب تضع فعيل في موضع مَفْعَل ومنه قول عمرو بن كلثوم :

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَاعِي السَّمِيعُ (٥٢٩)

إيَّ : مُسْمَعٌ )) (٥٣٠) إذن : فدلالة (( فعيل )) على (( فاعل )) واردة في عرف اللغة وقد وردت في سياق القرآن . وقد لاحظ البحث أن معنى المبالغة قد تحقق ببعض الابنية كصيغة (( يَفْعَل )) وهي من الصيغ الفعلية التي تضمنتها ألفاظ السَّمع في

(525) الإتيان في علوم القرآن : ٣٢٤/٣ .

(526) الإنسان من الآية : ٢ .

(527) ظ : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : ٢٤٢/١ ، و ظ : النهج الصوتي للبنية العربية : ١١٣ .

(528) غافر من الآية : ٥٦ .

(529) ديوان عمرو بن كلثوم، الهيئة المصرية للكتاب، (١٩٧٨): ١٧٢

(530) مجاز القرآن : ١٨٨/١ .

المفردة (( يَسْمَعُونَ )) التي وردت مرة واحدة في قوله ( لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ) (٥٣١) ، وكان البحث قد وقف عندها في الفصل الأول (٥٣٢) ، وقد أشار إلى أن هناك قراءتين : إحداهما : بالإدغام ، والأخرى بالتخفيف وهي قراءة أبي عبيدة (٢١٠هـ) (٥٣٣) وقد تبناها الباحث لانطباقها ومعطيات البحث الصوتي الحديث وضرورات أخرى أشرت إليها ، وهنا أضيف معطى آخرًا لدلالة الإدغام فبالإدغام يصبح الفعل (( يَقْعَلُونَ )) والأصل (( يَتَقَعْلُونَ )) فبالإدغام طلب مبالغ في حدث السمع ، وارتفاع مستوى فعالية الأذن في طلب السماع ، (( فالتسمع التكلف في السماع سَمِعَ أو لم يسمع وقد ضمن معنى الإصغاء فلذلك عُدِّي بِإِلَى وَقِيلَ إِنْ مَعْنَى سَمِعْتَ إِلَيْهِ مَلَتْ إِلَى جِهَتِهِ سَمِعِي )) (٥٣٤) فهناك علو في الإحساس ، ومما يقوّي هذه الدلالة أن (( تعدية السماع بإلى تضمنه معنى الإصغاء مبالغة لنفية وتهويلا لما يمنعهم عنه ... كذلك أن التسمع هو طلب السماع )) (٥٣٥) فإن الشياطين لم يقوموا بعمل مزدوج لتطلب الاستماع (( الإدراك )) ، أو تسليط مصادر قوة إدراكية مكثفة فالمقصد (( لا يتمكنون من السماع مع الإصغاء أو لا يتمكنون من التسمع مبالغة في نفي السماع كأنهم مع مبالغتهم في الطلب لا يمكنهم ذلك )) (٥٣٦) لأنهم عزلوا عزلا تاما عن الملائكة وأن حصل لديهم السماع ((فليس المنفي هنا السماع المطلق حتى يلزم ما ظنوه لأنه لما تعدى بإلى وتضمن معنى الإصغاء صار المعنى حفظناها من شياطين لا تنصت لما فيها إنصاتا تاما تضبط به ما تقوله الملائكة )) (٥٣٧) لأن السَّمْعَ اعتبار حسي

(531) الصافات من الآية : ٨ .

(532) ظ : البحث ، الفصل الأول : ٢٣ و ٢٨ .

(533) ظ : مجاز القرآن : ٧٠/٢ .

(534) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسن النيسابوري ،

ضبطه وحققه الشيخ : زكريا عمير ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ١ (١٩٩٦) : ٥٥٥/٥-٥٥٦ .

(535) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي : للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر

الخفاجي على تفسير البيضاوي للإمام أبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد ، ضبطه وخرج آياته

وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق مهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ (١٩٩٧) : ٥٩/٨ .

(536) حاشية الشهاب : ٥٩/٨ .

(537) م.ن : ٢٤٥/٨ .

خال من الإدراك في حين إن الإصغاء مرحلة أعلى من السَّمْع لذا فرّق العلماء بين السمع والاستماع<sup>(٥٣٨)</sup> ، وعند المقاربة بين الصيغة الفعلية (( يسمعون )) وقطبها الدلالي نجد كتب الصرف قد أشارت لمعاني الزيادة ضمن الصيغ الفعلية التي يعبر بها عن (( المبالغة )) و (( القوة )) فر (( فَعَلَ )) لا تساوي (( فَعِلَ )) في العمق الدلالي وإن اتحدت مساراتهما ، لأن الأول إلحاح في طلب الفعل في حين إن الثاني مجرد منه فالتسمع في الآية طلب السماع (( كتحكّم وتجراً )) إذا طلب ذلك بتكلف<sup>(٥٣٩)</sup> ، ثم إن بناء (( يتفَعَّل )) أطول من (( يفَعِّل )) في النطق إي أن يتسمّع مكوّن من خمسة مقاطع هي (( ي\_ت\_س\_س\_م\_م\_ع\_/\_ )) في حين أن (( يسمّع )) مكوّن من أربعة مقاطع (( ي\_س\_س\_م\_م\_ع\_/\_ )) ويلحظ من خلال التقطيع الصوتي أن (( يسمّع )) فيها تضعيف زائد على (( يتسمّع )) ففي الأولى تضعيفان وفي الثانية تضعيف

واحد<sup>(٥٤٠)</sup> ، وجلي أن بناء (( تفَعَّل )) (( قد يؤتى به في اللغة للدلالة على التدرج إي الحدوث شيئاً فشيئاً وذلك نحو تخطي وتمشي ))<sup>(٥٤١)</sup> ومنها (( تسمّع )) ولما كان النص لا يريد الدلالة التدرجية في عملية السَّمْع عدل إلى (( يسمّع )) (( وما كان على وزن يفَعِّل يأتي به القرآن فيما يحتاج إلى المبالغة في الحديث وذلك أن التضعيف كثيراً ما يؤتى به للمبالغة ... ففي قطع وكسر ما ليس في قطع وكسر ))<sup>(٥٤٢)</sup> ، إذن ففي (( يسمعون )) مبالغة في حدث السَّمْع لا يتأتى في بناء (( يتسمعون )) لذا يجب أن تفرّق بين (( يسمّع ويتسمّع )) فهما وإن اتحدا بمسارهما العام إلا أن بينهما فرقا دقيقا ، كذلك يجب أن نفرّق بين دلالة (( فعّال )) و (( يفَعِّل )) الواردتان في ألفاظ السَّمْع في (( سمّاعون ويسمّعون )) فالأولى مسوقة للمبالغة في تكرار وقوع صفة الحدث على نحو

(538) الفروق في اللغة : ١٣٦ .

(539) الإتقان في علوم القرآن : ٢١٧/٢ ، ظ : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : ٢٤٢ .

(540) ظ : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط : ١ (د.ت)

. ٣٤ :

(541) م.ن : ٣٤ .

(542) م.ن : ٣٤ .

الكم استجابة لدافع الاضطراب في نفس السامع ، في حين أن (( يسمعون )) مبالغة في نوع الحدث السمعي ومستواه ، ففي الأولى مبالغة في الكم والثانية مبالغة في النوع ، بدليل أن الآية عاودت تكرار (( سمّعون )) مرتين وأعدت تكراره في الآية التالية وهذا يدل على وقوع الحدث بكثرة ، فضلا عن أن (( سمّعون )) لن تنطق بدلالة طلب السمع (( الإصغاء )) على حين توقّر ذلك المعنى في (( يسمعون )) فالفارق بينهما في نوع الحدث ومستواه ودرجته وشدته ، زمن تلك الابنية اسم الفاعل بزنة (( مفتعلون )) وهي صيغة اسم الفاعل بصيغة الجمع من الفعل الخماسي المزيد (( افتعل )) وقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى : ( قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ )<sup>(٥٤٣)</sup> فصيغة (( افتعل )) ترد لأغراض ومعان فنية<sup>(٥٤٤)</sup> كالاتجاه والطلب والتصرف والمبالغة<sup>(٥٤٥)</sup> في معنى الفعل وهو المعنى المرتقب من (( مستمعون )) الدال على علو الرعاية والإحاطة لموسى وأخيه هارون (عليهما السلام) ، فضلا عن دلالة اسم الفاعل فهو أشد مبالغة من الصيغة الفعلية من جهة ثبوت دلالاته بفاعلها وحدوث تلك الدلالة ببنية الفعل ، فلما أراد المبالغة في حدوث الاستماع وهي كرمز للرعاية والاهتمام من قبله (( جلّ وعلا )) لهما عدل إلى صيغة اسم الفاعل فلم يقل (( إنا معكم نسمع )) لدلالة الفعل على الزمن في حين إن اسم الفاعل مطلق من قيد الزمن ، إي إن استماعه لهما ورعايته لأحوالهما ثابت لهما ، وبذلك يزداد عنصر الاطمئنان لديهما ، فدلالة المبالغة في (( مستمعون )) قد تحققت بمفصلين هما :

أ- إن اسم الفاعل اشتق من الفعل الخماسي المزيد (( افتعل )) الدال على المبالغة والطلب .

ب- إن النص لم يستعمل صيغة المفرد ، وإنما عدل إلى صيغة الجمع ليكون أحساس الأمن لديهما أعلى (( فإن اختيار صيغة الجمع وإيثارها على المفرد لمعنى

<sup>(543)</sup> من الشعراء : ١٥ .

<sup>(544)</sup> ظ : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ١٦٩ .

<sup>(545)</sup> ظ : الكتاب : ٧٤/٤ ، وشرح شافية ابن الحاجب : ١٠٨/١ ، وشذا العرف في فن الصرف : ٤٤ .

والتكثير)) (٥٤٦) لذا عدل إليها الاستعمال القرآني لمقام التضمين .

## المبحث الثاني

### الصيغ الفعلية

يؤلف الفعل في اللغة العربية نسبة كبيرة من مجموع أبنيتها ، ويعد عنصر الزمن أبرز علائمه فضلا عن عنصر الحدث ، ويقسم البناء الفعلي بحسب حيثيات كثيرة منها : نوع البناء ، وعنصر الزمن ، فقسّم على أساس الأول على ( مجرد ومزيد ) فيمّا قسّم على أساس الثاني على ( ماض ومضارع وأمر ) ، وسيتناول البحث البناء الفعلي لألفاظ السمع بمحورين هما :

المحور الأول : الأبنية المزيّدة .

(546) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ١١٣ .

المحور الثاني : أزمنة أفعال السمع .

المحور الأول : الأبنية المزيدة :

فالزيادة قد تكون بحرف واحد أو حرفين أو ثلاثة لذا قالوا في زيادة الثلاثي أنه (( ما زيد على الحروف الثلاثة الأصول بواحد أو أكثر من حروف الزيادة ))<sup>(٥٤٧)</sup> ، وقد لاحظ البحث أن الزيادة في بنية أفعال السمع قد زيدت بحرف واحد وبحرفين وكما يأتي :

أ- أفعال السَّمع المزيدة بحرف واحد: وقد بلغ مجموع تكرارها تسع عشرة مرة<sup>(٥٤٨)</sup>

وهي :

أولاً : (( أَفْعَلُ )) : وتختص بالثلاثي المزيد بحرف واحد ويكون مصدرها بزنة (( أَفْعَالُ ))<sup>(٥٤٩)</sup> والهمزة للتعدية ، فأصبح البناء بعد الزيادة (( أَفْعَلُ )) فيتعدى الفعل اللازم بها إلى مفعول واحد أو مفعولين أو ثلاثة مفاعيل<sup>(٥٥٠)</sup> ، لذا قالوا بغلبة معنى التعدية عليها ، فللهمزة قدرة على توسيع عمل الفعل ، وتوسيع نطاقه التأثيري على ما جاوره من الألفاظ ، يقول سيبويه (١٨٠هـ) (( هذا باب افتراق فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ في الفعل للمعنى ، تقول : دَخَلَ ، جَلَسَ ، فإذا أخبرت أن غيره صيّرهُ إلى شيء من هذا قلت : أخرجهُ ، وأدخلهُ ، وأجلسهُ ))<sup>(٥٥١)</sup> فنلاحظ العمل الوظيفي الذي قامت به الهمزة من تعدية الأفعال الثلاثة ، ورأى ابن الحاجب (٦٤٦هـ) معاني أخرى (( وأَفْعَلُ للتعدية نحو : أَجْلَسَهُ ، وللتعريض نحو : أبعثه ، ... ولوجوده على صفة نحو : أحمده وأنجلته

<sup>(547)</sup> أوزان الفعل ومعانيها : ٥٦ .

<sup>(548)</sup> ظ : ملحق برقم : (٧ - أ) .

<sup>(549)</sup> ظ : التكملة : أبو علي الفارسي ، تح ودراسة : د. كاظم بحر المرحان ، دار الكتب للطباعة والنشر الموصل ، ط : ١ ، (١٩٨١) ، ١٥٦ ، و ظ : تصريف الأسماء والأفعال : د. فخر الدين قياوة ، جامعة حلب : ١٤٢ .

<sup>(550)</sup> ظ : في علم التصريف : د. أمين علي السيد ، دار المعارف - مصر ، ط : ٣ ، (١٩٧٦) ، ٥٤ .

<sup>(551)</sup> الكتاب : ٥٥/٤ .

((<sup>٥٥٢</sup>) ، أوصلها أبو حيان (٧٤٥هـ) إلى عشرين ونيفا ، وأشهرها التعديّة ، ومنها الدلالة على الصيرورة والسلب والتمكين والتعريض وغيرها كثير (<sup>٥٥٣</sup>) ، وقد انفردت صيغة (( أفعل )) (( بالدلالة على التعريض )) (<sup>٥٥٤</sup>) والمراد به : جعل ما كان مفعولا للثلاثي معرضا لأن يكون مفعولا لأصل الحدث كقولهم : أسقيته بمعنى : وفرت له ما يشرب به ، أو عرضت له الشراب شرب أم لم يشرب (<sup>٥٥٥</sup>) .

ومن أفعال السَّمع التي جاءت على هذه البنية الفعل (( سَمِعَ )) الذي صيغ على معنى المضارع ثماني مرات (<sup>٥٥٦</sup>) كقوله تعالى : ( فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ) (<sup>٥٥٧</sup>) ، فالفعل هنا مصوغ من الثلاثي المزيد بالهمزة (( أَسْمَعُ )) وقد دلّ هنا على أحد معاني (( أفعل )) وهي المبالغة في الوقوع ونوع الحدث (<sup>٥٥٨</sup>) ، والذي أطلق عليه السكاكي (٦٢٦هـ) (( الزيادة في المعنى )) (<sup>٥٥٩</sup>) إي : مع اجتهادك وتطلبك في أسماعهم لا تقدر على ذلك يا محمد لأنهم مجردون من القوى العقلية التي توجههم ، ومن (( أَسْمَعُ )) الذي جاء على صيغة المضارع قوله تعالى : ( يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا ) (<sup>٥٦٠</sup>) الذي ورد ست مرات (<sup>٥٦١</sup>) ، لأن الفعل هنا بمعنى (( أَسْمَعُ )) بيد أنه جاء ببناء المضارع ، وقد زيدت الهمزة في الفعل (( إذن

(<sup>552</sup>) شرح شافية ابن الحاجب : ٨٣/١ .

(<sup>553</sup>) ظ : البحر المحيط : ٢٦/١ .

(<sup>554</sup>) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ١٢٨ .

(<sup>555</sup>) ظ : م، ن : ١٢٨ .

(<sup>556</sup>) ظ : ملحق برقم : (٧- أ)

(<sup>557</sup>) من يونس : ٤٢ .

(<sup>558</sup>) ظ : أوزان الفعل ومعانيها : ٦١ ، وتصريف الأسماء والأفعال : ١٨ ، والصرف الواضح : د. عبد الجبار علوان النابلية ، جامعة الموصل ، (١٩٨٨) : ١٠٠ .

(<sup>559</sup>) مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد بن علي السكاكي ، تح : عثمان يوسف ، دار الرسالة - بغداد ، ط : ١ (١٩٨٤) : ١٦٥ .

(<sup>560</sup>) الأنبياء من الآية : ١٠٩ .

(<sup>561</sup>) ظ : ملحق برقم : (٧- أ) .

(( في قوله تعالى : ( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلْنَا آدَانُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ ) <sup>(٥٦٢)</sup> ، فأصبح بزنة (( أفعل )) وقد وفرت زيادة الهمزة بهذا الموضع لدالتين : أولهما : معنى التعدية فالأصل فيه تعديته لمفعول واحد <sup>(٥٦٣)</sup> وهو الكاف ، فلما زيدت الهمزة فيه عُدِّي إلى مفعول ثان وقد حذف في الآية لمغزى <sup>(٥٦٤)</sup> ، أما الأخرى: فهو أفادتها دلالة التعريض إي : أني أسمعكم قولي وعرضت عليكم الحجة والبينة فهي مهمتي كبشير ونذير أمنتكم واعتبرتم بأذني أم تجاهلتم واستكبرتم علي <sup>(٥٦٥)</sup> ، ويلاحظ أن الهمزة (( أثرت على حكم المفعول به ، لأن الحدث مع الثلاثي واقع على المفعول ، فإذا دخلت الهمزة صار وقوع الفعل محتملا بعد أن كان محققا )) <sup>(٥٦٦)</sup> فالهمزة هنا مزدوجة التأثير أولهما : التعدية ، وثانيهما : التعريض .

ثانيا : (( فعل )) :

ويصاغ من الثلاثي بتضعيف عينه طلبا لدلالة المبالغة والتكثير ، يقول سيبويه (١٨٠ هـ) : (( هذا باب دخول فعلت على فعلت لا يشركه في ذلك أفعلت ، تقول : كسرتها وقطعتها ، فإذا أردت كثرة العمل قلت كسرتها ، وقطعته ، ومزقته ... وقالوا ظل يغرسها السبع ويؤكلها إذ كثر ذلك فيها )) <sup>(٥٦٧)</sup> وأجازوا تخفيفه <sup>(٥٦٨)</sup> ، مع المفارقة بين المستويين الداليتين ، وقد جاء الفعل (( إذن )) وقد ضعفت عينه أربع مرات <sup>(٥٦٩)</sup> كقوله تعالى : ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) <sup>(٥٧٠)</sup> فأفرز التضعيف دلالة المبالغة في الإسماع ، وتكرار

<sup>(562)</sup> الأنبياء من الآية : ١٠٩ .

<sup>(563)</sup> ظ : التحرير والتتوير : ١٧٢/١٧ .

<sup>(564)</sup> ظ : م.ن : ١٧٢/١٧ .

<sup>(565)</sup> ظ : روح المعاني : ٧ ، ٩ / ١٠٠ .

<sup>(566)</sup> الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ١٢٢ .

<sup>(567)</sup> الكتاب : ٦٤/٤ .

<sup>(568)</sup> ظ : م.ن : ٦٤/٤ .

<sup>(569)</sup> ظ : ملق برقم ( ٧ - أ ) .

<sup>(570)</sup> الحج من الآية : ٢٧ .



حدوث الفعل ، فإن (( فعّلت )) تدخل على (( أفعلت )) إذا أريد كثرة حصول الحدث والمبالغة فيه ويقصر المخفف عن الأداء – وإن كان جائزا – وبذلك يقول ابن جني (٣٩٢هـ) عندما حاول ربط الصيغة بمعناها (( ومن ذلك أنهم جعلوا تكرار العين في المثال دليلا على تكرير عين الفعل ، فقالوا : كسّر ، وقطّع ، ومنّح ، وغلّق ، وذلك أنهم جعلوا الألفاظ دليلا المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل ، والعين أقوى من الفاء واللام ، وذلك لأنها واسطة لهما ، ومحفوفة بهما ، فصار كأنها سياج لها ، ومبذولان للعوارض دونهما )) (٥٧١) ، فإن تكرار الفعل في الأسماع من شأنه ان يروض الطباع فيكون المقصد : أكثر يا إبراهيم من الإعلام والمناداة بين الناس بحج بيتي ، فلعل داء الغفلة ينسيهم أهم دعائم دينك ، إذن ، فتضعيف عين الفعل (( الذال )) أسهم في توسيع قاعدة المعنى

ب- أفعال السّمع المزيدة بحرفين :

إن الزيادة في البناء غالبا ما يكون وراءها زيادة في المعنى وقد وردت أفعال السّمع مزيدة بحرفين ثلاثون مرة (٥٧٢) بالصيغ الآتية :

أولا : (( تفعلّ )) ، وبها تزداد التاء في أول الفعل ، وتضعّف عينه ، وبذا يقول سيبويه (١٨٠هـ) (( وإذا أراد الرجل أن يدخل نفسه في أمر حتى يضاف إليه ، ويكون من أهله فإنك تقول : تفعلّ وذلك كتشجّع ، وتبصّر وتحكّم وتجلّد وتقديرها تمرأ إيّ صار ذا مروءة )) (٥٧٣) ، ومنه قول حاتم الطائي :  
تحلم عن الأذنيين (٥٧٤) واستبق ودّهم      ولن تستطيع الحكم حتى تحلمّا (٥٧٥)

وقد جاء الفعل (( إذن )) بزنة (( تفعلّ )) في قوله تعالى : ( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ) (٥٧٦) ، فلا تقوم صيغة (( فَعِلَّ )) مقام (( تفعلّ )) لأن آذان الله لم

(571) الخصائص : ١٥٥/٢ ، و ظ : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ١٢٧ .

(572) ظ : ملحق برقم ( ٧ - ب ) .

(573) الكتاب : ٧١/٤ .

(574) الأذنيين : جمع الأذنى في النسب إيّ الأقرب ، ظ : لسان العرب : دنا .

(575) ظ ديوان حاتم الطائي : شرحه وضبط نصوصه وقدم له : د. عمر فاروق الطّباع ، دار الأرقم بن أبي

الأرقم ، بيروت - لبنان ، (د.ت) : ٨٢ .

يكن إلا إيذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك ، وتنزاح عنه الشبه<sup>(٥٧٧)</sup> ، وقد تفيد (( تفعل )) فضلا عن التعدية معنى الحدث المتوالي<sup>(٥٧٨)</sup> يقول ابن قتيبة (٢٧٦هـ) (( وتأتي تفعلت للشيء تأخذ منه الشيء بعد الشيء ... فهذا كله ليس عمل شيء واحد ))<sup>(٥٧٩)</sup> ، وكان فيها معنى التدرج<sup>(٥٨٠)</sup> ، لا حدوث الفعل بتكرار متقطع ، بل انتظام في حدوثه ، وقد وردت الصيغة ذاتها في المفردة الضمنية من ألفاظ السمع (( حس )) في قوله تعالى : ( يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ )<sup>(٥٨١)</sup> فمدار وقوعه تدرج في حصول التحسس مقترنا بالحدز لئلا يكشف سرهم ، فتحسسوا تطلبوا أخباره بحاسة السمع على نحو التكلف والاجتهاد (( إذ يوتى بهذا الوزن للدلالة على التكلف وبذل الجهد ، نحو : تصبر وتحلم ، إي : كلف نفسه وحملها على الصبر والحلم ، وفي كلا المعنيين دلالة على الطول في الوقت والتمهل في الحديث ))<sup>(٥٨٢)</sup> ، وأرى : ان (( تفعل )) قد لا يراد بها الكم الحدتي بقدر معنى النوع فيه ، إي : فعلوا حواسكم ، واجعلوها بأعلى درجات التحسس والاستقطاب لأخبار يوسف ، إي : اذهبوا إلى هذا الذي طلب منكم أخاكم<sup>(٥٨٣)</sup> وقد يراد منها معنى (( استفعل )) المفيدة للطلب<sup>(٥٨٤)</sup> وقد يرى من ينعم النظر في سياق الآية أن الصيغة قد وظفت بتلك المعاني السابقة مطابقة لمقتضى الحال المسوق لأجله ، فيعقوب (عليه السلام) قد تفرّس بظننته ونور بصيرته أن وراء الحادثة مجهولا

(576) إبراهيم من الآية : ٧ .

(577) ظ : التفسير الكبير : مج ١٠ ، ٨٧/١٩ ، والتحرير والتنوير : ١٩٣/١٣ .

(578) ظ : أوزان الفعل ومعانيها : ١٧ .

(579) أدب الكاتب : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، السعادة - مصر ، ط : ٤ (١٩٦٣) : ٣٦٠ .

(580) ظ : شذا العرف في فن الصرف : ٤٣ . أوزان الفعل ومعانيها : ٩٧ .

(581) يوسف من الآية : ٨٧ .

(582) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٣٤ .

(583) ظ : الجامع لأحكام القرآن : مج ٥ ، ١٦٤/٩ .

(584) ظ : شرح شافية ابن الحاجب : ١/١٠٤ ، وشذا العرف : ٤٥ .

لذا جاءت الصيغة (( تفعل )) هنا لتوحي عن معنى الحيلة والحذر والتمهل في معرفة الخبر وتحسسه (٥٨٥).

ثانيا : (( افعل )) :

وقد زيد فيها حرفان هما : (( الألف والتاء )) ، ويكون مصدره بزنة (( افتعال )) ، وتلحظ بها دلالة الإصرار في الفعل والطلب فيه والشدة باستحصله ، لذا إن اختيار صيغة (افتعل) على (فعل) لتأدية عدة معان منها ما يناسب السياق : كالاجتهد والطلب والتصرف والمبالغة في معنى الفعل (٥٨٦) يقول سيوييه (١٨٠ هـ) (( وأما كسبت فإنه يقول أصاب ، وأما اكتسبت فهو التصرف والطلب والاجتهاد بمنزلة الاضطراب )) (٥٨٧).

وقد ورد هذا البناء في ألفاظ السَّمع سبع عشرة مرة (٥٨٨) ، كقوله تعالى : ( وإذا فرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلَّكم تُرْحَمُونَ ) (٥٨٩) إذ زيد فيهما حرفان هما (( الألف

والتاء )) فأصبح بزنة (( افعل )) فدللت على الاستماع الجاري مجرى الإصغاء وهو من السَّمع بمنزلة النظر من الرؤية : فيقال : استمع إلى حديثه ، وسمع حديثه إي : أصغى إليه وأدركه بحاسة السَّمع (٥٩٠) ، ومنه قول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) (( من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون ... صُبَّ في أذنيه الآنك (٥٩١) )) (٥٩٢) فالمراد : من الآية معنى الإدراك المرتفع عن دلالة الإحساس في (( سَمع )) المجردة ،

(585) ظ : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ١٣٤ .

(586) ظ : الكتاب : ٢٤١/٢ ، وشرح شافية ابن الحاجب : ١٠٨/١ ، وشذا العرف : ٤٤ .

(587) الكتاب : ٧٤/٤ .

(588) ظ : ملحق ب برقم : ( ٧ - ب ) .

(589) الأعراف من الآية : ٢٠٤ .

(590) ظ : الكشاف : ٣٠٤/٣ .

(591) الآنك : قيل أنه الرصاص أسودّه أو أبيضه أو الخالص منه ، ظ : اللسان : أنك .

(592) صحيح البخاري : الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بين بردزبه البخاري

الجعفي أمير المؤمنين في اللغة والحديث ، شرح وتحقيق : الشيخ قاسم الشمّاعي الرفاعي ، دار القلم ، بيروت -

لبنان ، كتاب التعبير ، مج : ٤ ، ٦٦٨/٧ ، باب رقم (١٠٦٤) ، حديث رقم (١٨٧٠) .

إيَّ إنَّ : تَفْعُلُ حاسة السَّمْع بطاقتها كلها ، وتتحرك أقطابها باتجاه محور واحد ، فالمقصد القرآني – إذن – التفهم والإدراك لمقاصد القرآن والإحاطة بها ، لأن في الاستماع زيادة على معنى السَّمْع فهو (( استفادة المسموع بالإصغاء إليه ليفهم ))<sup>(٥٩٣)</sup> فالمستمع إنما يكون محيطًا بالمسموع على أكمل وجه ، أما السَّمْع فهو اسم للمسموع فقط<sup>(٥٩٤)</sup> ، وهذه الإضافة في مستوى المعنى قد أفرزتها ظاهرة الزيادة فيها (( لأن قوة اللفظ لقوة المعنى فلا يستقيم إلا في نقل صيغة إلى صيغة أكثر منها ، كنقل الثلاثي إلى الرباعي ))<sup>(٥٩٥)</sup> ، وفي صيغة (( افتعل )) مصداق لقول ابن الأثير (٦٣٧ هـ) إذ أكسبت الزيادة حسا دلاليا مركزا من التفهم والإدراك فالزيادة استقطبت ما يريد النص ، بمعنى : ان في النص تكليفا حادا ، وجاءت الصيغة نفسها سوى أنها مكسورة العين في قوله تعالى : ( وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى )<sup>(٥٩٦)</sup> وهو خطاب وجه لنبي الله موسى (عليه السلام) لطلب الاستماع والإصغاء للموحى به ، فالمقصد : الإدراك والتدبر والتفكير والتحقق<sup>(٥٩٧)</sup> (( فاختر الاستماع على السَّمْع لأن فيه مبالغة حيث اعتبر فيه الإصغاء ))<sup>(٥٩٨)</sup> (( وفي أمره ... بالاستماع إشارة إلى عظم ذلك وأنه يقتضي التأهب له ، قال أبو الفضل الجوهري : لما قيل لموسى (عليه السلام) استمع لما يوحى وقف على حجر واستند إلى حجر ووضع يمينه على شماله وألقى ذقنه على صدره وأصغى بشاراة ))<sup>(٥٩٩)</sup> ، مما يفيد أن بـ(( استمع )) دلالة ترقى على (( سَمِعَ )) (( فالتأهب والاستناد حركات تصحبها مظاهر التكلف والاجتهاد لأنَّ )) (أدب الاستماع : سكون الجوارح وغيض البصر والإصغاء بالسمع وحضور العقل والعزم على العمل

<sup>(593)</sup> الفروق في اللغة : ٧٠ .

<sup>(594)</sup> ظ : م.ن : ٧٠ .

<sup>(595)</sup> المثل السائر : ٤٤/٢ .

<sup>(596)</sup> طه من الآية : ١٣ .

<sup>(597)</sup> ظ : الكشاف : ١٥٧/٣ .

<sup>(598)</sup> حاشية القونوي : ٣٢٣/١٢ ، و ظ : البحر المحيط : ١٦٠/٥ .

<sup>(599)</sup> روح المعاني : مج ٦ ، ٤٨٥/٨ .

وذلك هو الاستماع لما يحب الله تعالى (( ٦٠٠ ) ، وسيقت صيغة (( افعل )) على معنى المضارع ثلاث مرات (٦٠١) ، وقد أسند فيها السَّمع للمشركين باستماعهم للنبي مرتين ، ومرة واحدة في استماع الجن للقرآن ، كقوله تعالى : ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ) (٦٠٢) ، بيد أننا كيف نفارق دلاليا بين (( افعل )) الدالة على الطلب والاهتمام ودلالة (( افعل )) وهنا يجيب السيد قطب لهذا الإشكال بقوله : (( الاستماع معناه السماع باهتمام – يدل على أنهم كانوا يتظاهرون تظاهرا أنهم يلقون سمعهم وبالهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وقلوبهم لاهية غافلة ، و مطموسة مغفلة ، كما أنه قد يدل من جانب آخر على الغمز الخفي اللئيم ، إذ يريدون أن يقولوا بسؤالهم هذا لأهل العلم : إن ما يقوله محمد لا يفهم ، أو لا يعني شيئا يفهم ، فما هم أو لاء مع استماعهم له لا يجدون له فحوى ولا يملكون منه بشيء )) (٦٠٣) ، فالمنافقون فعّالون لسمعهم بيد أنه تفعيل تحت عنوان النفاق فيه الأعمال تتمظهر بصورة وتخفي تحتها صورا ، (( فهم يسمعون كلامه ولا يعونونه ولا يلقون له إلا تهاونا منهم فإذا خرجوا قالوا لأولي العلم من الصحابة : ماذا قال الساعة ؟ وعلى وجه الاستهزاء )) (٦٠٤) ، ووردت الصيغة نفسها على بنية الأفعال الخمسة (( يفتعلون )) ثم

انني

مرات (٦٠٥) ، وقد خُصت الآية الأولى بانتفاء سَمع الشياطين إلى الملائكة (٦٠٦) ، واثنتان جاءتا بمعرض استماع الناس للرسول (٦٠٧) ، وواحدة كان المسموع مطلقا (٦٠٨) ،

(٦٠٠) م. ن : مج ٦ ، ٨ / ٤٨٥ .

(٦٠١) ظ : ملحق ب برقم : (٧-ب) .

(٦٠٢) محمد من الآية : ١٦ .

(٦٠٣) في ظلال القرآن : مج ٦ ، ٢٦ / ٣٢٩٤ .

(٦٠٤) الكشاف : ٤ / ٣١٤ .

(٦٠٥) ظ : ملحق ب برقم : (٧-ب) .

(٦٠٦) الصافات من الآية : ٨ .

(٦٠٧) يونس من الآية : ٤٢ .

(٦٠٨) الإسراء من الآية : ٤٧ .

وواحدة في استماع القرآن صراحة<sup>(٦٠٩)</sup> ، وواحدة للمسلم الذي يستمعون فيه<sup>(٦١٠)</sup> ، والأخيرة في استماع القول الحسن في قوله تعالى : ( فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ )<sup>(٦١١)</sup> فدلالة الصيغة تفيد على (( وجوب النظر والاستدلال لأنه مدح للإنسان الذي إذا سمع أشياء كثيرة يختار منها ما هو الأحسن الأصوب وتمييز الأحسن الأصوب لا يتأتى بالسماع إنما بالحجة والعقل ))<sup>(٦١٢)</sup> ، وإنما حجة العقل لا تتأتى إلا من خلال فرز متشابه الخطاب وفي عملية الفرز اجتهاد وتمعن إذ دلت على أن التفاعل مع الأقوال يجب أن يرتفع إلى درجة الوعي المتدبر والتدبر الواعي بطريق الاجتهاد والتعمل في فعل سماع الخطاب ، وكأن في النص إشارة إلى ضرورة تعمل الفكر اجتهادا وتمحفا وتفكرا على وجه الدقة في التعامل مع ما يلقي على المسامع .

والخلاصة : ان الزيادة في بنية المفردات اللغوية إنما يلجأ إليها لتحقيق استقطابات دلالية تعجز عن الإيفاء بها البنى المجردة ، لأن الحقل الدلالي لأي اتجاه يندرج ضمن مستويات دلالية ترتفع وتنخفض ولا يمكن للمنشئ لمسها إلا بتوظيف تلك البنى المزينة ، وقد بدا جليا مما تقدم : ارتفاع التقنية الفنية في مجانسة البنية المزينة لمستوى معناها مجانسة ترتفع بالنص إلى مستوياته الدلالية العليا ، فإذا كان الموضوع يتطلب شدة في الفعل واجتهادا في الوقع زيدت أو تناسبت بنيته ، وإن كان الموضوع على معنى الزجر والتأنيب اختيرت له صيغة تدل عليه ، وإنما يساق هذا الأداء في الخطاب القرآني ولاسيما في بنية ألفاظ السَّمع على وفق ترابطات لفظية وتعالق فني يصير من الوحدة النصية القرآنية بناء متكاملا تتحد به المفردات بالمعنى السياقي العام وتندرج فيه الاتساقات الأسلوبية بحسب رؤى النص.

المحور الثاني : أزمنة أفعال السَّمع : وقد قُسم على فقرتين :

<sup>(609)</sup> الأحقاف من الآية: ٢٩ .

<sup>(610)</sup> الطور من الآية : ٣٨ .

<sup>(611)</sup> الزمر من الآية : ١٧-١٨ .

<sup>(612)</sup> اللباب في علوم الكتاب : ٤٩٣/١٦ .

أولاً : أزمنة أفعال السَّمع من خلال الصيغة :

لاحظ البحث أن أزمنة أفعال السمع توزعت بنسب متفاوتة ، فجاء المضارع بالمرتبة الأولى ، إذ بلغ مجموع وروده ثلاثاً وستين مرة (٦١٣) ، أي بنسبة ٥٧% ، وورد الفعل \_\_\_\_\_ ل (( يسمع )) بالمرتبة الأولى ، في حين ورد الفعل الماضي بالمرتبة الثانية إذ ورد واحداً وثلاثين مرة (٦١٤) ، أي بمقدار ٢٩% ، فيما ورد فعل الأمر بالمرتبة الأخيرة إذ ورد خمس \_\_\_\_\_ س ع \_\_\_\_\_ شرة مرة (٦١٥) ، وبنسبة ١٣% ، وبذا يكون المجموع الإجمالي لورود الأفعال تسعاً ومائة مرة .

إن ذلك التغير في نسب الورد مرده إلى القصد في اختيار الصيغة ، الملائمة لزمن الحدث المعالج ، وأجد أن صيغة (( يفعل )) لما كانت تدل على الاستمرار ، وتجدد الحدث ، وما دام النص القرآني نصاً كاملاً عالج أموراً متنوعة ، وقضايا ( آنية ) كثيرة تفوق تبعاً لذلك الفعل المضارع ، فضلاً عن انفتاح الخطاب القرآني على الأزمان كلها وهو الذي تفيده دلالة (( يفعل ) ، ففي قوله تعالى : ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ) (٦١٦) فيها دعوة مطلقة للتدبر والتفكر في دلائل واحديته ، لذا يقول الدكتور مهدي المخزومي بإطلاق عنصر الزمن فيه فهو (( حدث ابتدئ به واتصلت أحداثه ولم تنته بعد )) (٦١٧) فتكون المناسبة بين الموضوع والنسبة منسجمة متألّفة ، كما تحصل للباحث نتيجة دلالية بتفعيل عنصر المقارنة بين صيغة (( إفعال )) الأمرية ومقام نزول آياتها إذ رأى البحث أن معظم تلك الآيات مدنية النزول ، ولتلك الظاهرة مغزى أخلاقي ، وظاهرة أدبية راعاهما النص القرآني لأن نوع الخطاب ومستواه من أسباب نجاح الرسالة وعدمها ، فلا يعقل أن

(٦١٣) ظ : ملحق برقم ( ٨ ) .

(٦١٤) ظ : ملحق برقم ( ٨ ) .

(٦١٥) ظ : ملحق برقم ( ٨ ) .

(٦١٦) السجدة من الآية: ٢٦ .

(٦١٧) في النحو العربي ( نقد وتوجيه ) : ١٤٥ .

ينهج النص بمبتدأ نزوله نهجا إلزاميا في الحاضرة المكية والإسلام لما يشند عوده بعد، لأن الإلزام إجبار مرتفع تنفر منه روح العربي و لدلالة الأمر نصيب من معنى الإلزام ، لذا رأينا رفعة النص القرآني بالمناسبة بين الضرورتين باستعمال تراكيب تنأى عن القسر والجبر ، فلما نما الإسلام رأينا مغايرة أسلوبية لنمط الخطاب ، ومنهجا في الخطاب مختلفا لأن اتجاه المرحلة اتجاها تشريعيًا وإن صيغة (( إِفْعَل )) تلزم الامتثال ، لذا غلبت نسبة (( إِفْعَل )) في بنية النص المدني .

ثانيا : أزمنة أفعال أَلْفَاظِ السَّمْعِ سياقيا :

ويراد به الزمن الذي يرشحه التركيب للنص ، بما يشتمل عليه من قرائن الحال والمقام الدالة على مقصد المتكلم ، لأن الصيغة خارج النص تحمل زمنا مغايرا لزمناها داخل السياق ، فبتضامنها مع مفردات أخرى تخضع لظاهرة التأثير فتنزاح عن دلالة زمنها الأصلي سياقيا ، فالصيغة – إذن – عاجزة عن تحديد دقيق لزمان الفعل (( فالفعل العربي لا يفصح عن الزمان بصيغته ، وإنما يتحصل الزمان من بناء الجملة ، فقد تشتمل على زيادات تعين الفعل على تقرير الزمان في حدود واضحة ))<sup>(٦١٨)</sup> وقد لاحظ البحث خروج الصيغ الفعلية لألفاظ السَّمْعِ إلى أنماط زمنية أخرى نتيجة القرائن اللفظية الداخلة عليها ، وسيقف البحث عندها مبتدئا بالماضي ثم المضارع فالأمر .

أ- صيغة (( فَعِلَ )) :

وقد خرجت لأنماط زمانية دقيقة وإن كانت بعمومها بزمن الماضي ، ولكن هناك دلالات زمانية تختلف بمضيها البعيد والقريب ، لذا سيقف البحث عند أزمنة (( فَعِلَ )) الماضية الدقيقة والأزمنة المغايرة :

أولا : الماضي القريب :

ويتحقق ذلك الزمن إذا اقترنت صيغة (( فَعِلَ )) بـ (( قَدْ )) فيقترب الماضي من الحال فإن زمن (( قام زيد )) محتمل القريب والبعيد فإن قلت (( قد قام زيد )) اختص

(٦١٨) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٩ .



بالقريب<sup>(٦١٩)</sup> ، ومنه قوله تعالى : ( قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ )<sup>(٦٢٠)</sup> ، فدخل حرف التحقيق (( قد )) على (( سَمِعَ )) حدّد القيمة الزمنية لـ (( سمع )) بالقرب ، فلم يكن مطلقاً بمضيه ، لأن الفاصل الزمني بين فعلي (( الجدال )) و (( السَّمْع )) لم يكن فاصلاً زمنياً بعيداً ، ولعل الفعل (( يسمع )) المسوق بذيل الآية (( والله يسمع تحاوركما )) دال على حالية الأفعال أكثر من مضيتها ، وهو أكثر اتساقاً مع حدث الآية فلا يمكن أن نتصور سماعه (( جلّ وعلا )) قد وقع بعد انقضاء الحدث نفسه لأن سماعه ملازم لأصناف المسموعات ، ونقل سيويوه (١٨٠ هـ) عن الخليل (١٧٥ هـ) : إن (( فَعَلَ )) إن سبقت بـ ( قد ) دلت على معنى التوقع ، فيقال : (( قد فَعَلَ )) لقوم ينتظرون الخبر<sup>(٦٢١)</sup> ، (( لأنه صلى الله عليه وسلم ) والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواهما ، وينزل في ذلك ما يفرج عنهما ))<sup>(٦٢٢)</sup> ، وقد نفى المتأخرون ذلك لأن التوقع انتظار الوقوع والماضي قد وقع<sup>(٦٢٣)</sup> ، وأرى : أنها للتوقع لأن النبي كان متوقفاً حصول حدث الاستجابة .

ثانياً : المستقبل :

وتصرف دلالة (( فَعَلَ )) لدلالة ذلك الزمن بموضعين :

الأول : إذا اقترن (( فَعَلَ )) بالظرف (( إذا )) فهو لما يستقبل من الزمان منصوب بجوابه خافض لشرطه ومضمنة معنى الشرط<sup>(٦٢٤)</sup> ، ويبدو هذا مما عطف على (( فَعَلَ ))  
بـ (( يفعل ))<sup>(٦٢٥)</sup> كقوله تعالى : ( أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا

<sup>(619)</sup> ظ : م،ن : ١٣٧/١ .

<sup>(620)</sup> المجادلة من الآية : ١ .

<sup>(621)</sup> ظ : الكتاب : ١١٥/٣ ، شرح المفصل : ١٤٧/٢ .

<sup>(622)</sup> الكشاف : ٤٧٣/٣ ، و ظ : روح المعاني : مج ٩ ، ١٩٨/١٤ .

<sup>(623)</sup> ظ : مغني اللبيب عن كتب الأعراب : أبو محمد عبد الله جمال بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام

الأنصاري ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، (د.ت) : ١٨٦/١ .

<sup>(624)</sup> ظ : الفعل زمانه وأبنيته : ٢٩ ، والفعل والزمن : ٦٢ .

<sup>(625)</sup> ظ : الفعل زمانه وأبنيته : ٢٩ .



الاعتبارات المستقبلية أخبر عنها بالماضي دلالة القطع بصدق تحققه ، والماضي يدل على انتهاء واقع الحدث فكأن الحدث قد تم فيخبر عنه (٦٣٢) ، وأرى : أن هذا النمط الاستعمالي مظهر من مظاهر المبالغة في وقع الحدث فلما كانت المبالغة (( وصف الشيء بما يزيد على الواقع )) (٦٣٣) ، كان الوصف - في الآية - مبالغة في الأمر ، بيد أنها مبالغة بوساطة التركيب الفعلي - الزمني المعتمد على انسيابية الصيغ ومرورتها في مطاوعة الحدث وقد انسجم أسلوب المبالغة مع مستويات يوم القيامة المهولة ليكون انزياح دلالة الصيغة متناغما مع عظم ذلك اليوم .

ب- صيغة (( يَفْعَلُ )) :

وهي الدالة أصلا على الزمن الحالي (( المضارع )) بيد أن هذه الصيغة قد يراد

بها

(( حالات خاصة بصرف النظر عن الدلالة الزمانية التي يشير إليها البناء ، وذلك لأن

هذه الدلالة قد تتحصل مما يبرز من قرائن قد تكون في بناء الجملة )) (٦٣٤) وهو ما

أسماه البحت

ب(( الزمن السياقي )) المترشح من إضافات بنائية تلازم (( يَفْعَلُ )) ، وسيقف البحث

عن تلك الاستعمالات الدلالية التي وردت في أفعال السَّمع :

أولا : (( الحدث المستمر في زمن ماض )) :

يتحقق من خلال التركيب الآتي : (( كان + يَفْعَلُ )) فعندها تصرف دلالة ((

يفعل )) إلى الحدث المستمر بزمن ماض لا انقطاع فيه (٦٣٥) ، وتدخل بهذه العلاقة

متشابهات (( كان )) ، ومنه قوله تعالى : ( وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي

(632) ظ : شرح كافية ابن الحاجب : ٢٢٥/٢ .

(633) دقائق العربية : أمين آل ناصر الدين ، بيروت (١٩٥٣) : ٢٠٣ .

(634) الفعل زمانه وأبنيته : ٣٢ .

(635) ظ : شرح المفصل : ٢٣١/٢ ، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية : جلال الدين عبد

الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تصحيح السيد محمد بدر الدين النساني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت

، لبنان (د.ت) (د.ط) : ١٩/١ .

أصحاب السَّعِير ( ٦٣٦) فالخطاب القرآني من خلال هذا التركيب دلَّ على استمرارية صممهم وإنه غير منته بإطار زمني محدد ، إذ عدم السَّمع لازمهم ثابت بشخصيتهم ويَدل على تلك الاستمرارية المفرطة أنهم عندما أفاقوا من سكرتهم بعدما حشروا بهول يوم القيامة صح سمعهم فتمنوا لو كانوا يستطيعون سمعا (٦٣٧) .

ثانيا : الماضي :

وتتم تلك الدلالة بمفصلين :

أ- إذا سبق المضارع بـ(( لم )) فإن دلالة (( لم يكتب )) (( ما كتب )) (٦٣٨) ، أو سبق بـ(( لما )) وهما جازمان للمضارع (٦٣٩) ، ويرى السيوطي ( ٩١١ هـ) أن فعليهما كانا ماضيين فغيرت صيغتهما ، وقد نسب هذا لسيبويه ( ١٨٠ هـ) والحجة بذلك : أن المحافظة على المعنى أولى من المحافظة على اللفظ (٦٤٠) ، ولم تأت (( لما )) في أفعال ألفاظ السَّمع ، فـفي حـــــــــين وردت (( لم )) جازمة فعلها المضاف إلى (( الهاء )) في قوله تعالى : ( وَإِذَا تُنْذِرَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنْ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ) (٦٤١) ، وكان المعنى المسوق هنا بعد ان دخلت لم اصبح (( ما سمعها )) (٦٤٢) فالجزم باستحالة سمعه لها قد وقع فصرفه إلى زمن الماضي ، فعبر بصيغة المضارع عن الماضي وهو مسوق دلاليا لمعنى المستقبل ، لما تناهى الحدث وتمت أطرافه ، فكأن النص يلوح بوساطة هذا التركيب إلى سبق النتيجة المتحققة والمطمئن لوقوعها وإنما يقع فعل الإسماع كضرورة من ضرورات إلقاء الحجة ، فالتناوب الدلالي بين بنى الألفاظ يسبق المعنى بصورة أبلغ مما وضع له أصلا

(٦٣٦) من الملك : ١٠ .

(٦٣٧) ظ : معاني القرآن : الفراء : ١٠٤/٥ .

(٦٣٨) ظ : مغني اللبيب : ٣٠٧/١-٣٠٩ ، وأوضح المسالك : ٢٠١/٤ .

(٦٣٩) ظ : همع الهوامع : ٢٢/١ .

(٦٤٠) ظ : الفعل والزمن : ٨٦ .

(٦٤١) لقمان من الآية : ٧ .

(٦٤٢) ظ : اللباب في علوم الكتاب : ٤١٩/٨ .

بمعنى أن النص حشد ثلاث أدوات تعبيرية لذلك المعنى : أولهما : الفعل (( ولى )) وقد جيء به مضعف العين ، و (( التولية )) السير بنحو الإدبار والاضطراب (٦٤٣) ، وثانيهما : الحال (( مستكبرا )) وهو الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبيرا (٦٤٤) والنفور من الرأي المقابل ، وثالثهما : مغايرة دلالة (( يفعل )) على المعنى ، فهناك – إذن – لوحة متعاضدة تتحد على تصوير ذلك السلوك المتهور فضلا عن أن من تتلى عليه هذه الآيات لم يكن صمّا فقد كان ممن يصيخ السّمع بيد أنه يصم أذنيه إذا ارتفع من القول إلى ميزة السلوك فكأنه لم يدرك شيئا قد سمعه .

ب- احتواء النص قرينة (( حالية أو لفظية )) أو كلاهما ، ترشح بها دلالة (( يفعل )) إلى الماضي ، وهو أكثر تأثيرا في النفس ، كقوله تعالى : ( أ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ) (٦٤٥) ، فالسياق العام يخبر عن وقع السّمع بزمن ماض بدلالة (( كان )) ، والقرينة الدالة هنا لفظية تتمثل بالفعل (( كان )) فهو نقل لحدث ماض .

ج- المستقبل :

تتحقق تلك الدلالة بأنماط سياقية وضعها النحاة هي :

أولا : زيادة تسبق المضارع (( كالسين وسوف ولا )) ، ولم يسبق الفعل السمعي بأي من الحرفين (( السين أو سوف )) ، في حين سبق الفعل (( سَمِعَ )) بـ (( لا )) (( فــــــي قولـــــــه تـــــــعـــــــالى : (إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا) (٦٤٦) ، جاء في (( المفصل )) : أن (( لا )) لنفي المستقبل في قولك (( لا يفعل )) إيّ : لا يفعل مستقبلا (٦٤٧) . بمعنى : أن التركيب

(٦٤٣) ظ : اللسان : ولي .

(٦٤٤) ظ : مـن : كَبُرَ .

(٦٤٥) البقرة من الآية: ٧٥ .

(٦٤٦) الأعراف من الآية: ١٩٨ .

(٦٤٧) ظ : شرح المفصل : ٢٠٧/١ .

القرآني يقرر سلفاً أنهم لا يسمعون لأنهم أصنام لا تعي من دعوكم شيئاً ولا تفقه مما تسمعونها كلاماً<sup>(٦٤٨)</sup> وإنما عبر عنه بذلك التركيب لأنهم فعلاً لا يسمعون .

ثانياً : إذا كان السياق في الآية أخباراً عن أحداث مستقبلية تفهم من طبيعة الأحداث التي يخبر بها النص فيصرف المضارع عندها إلى دلالة المستقبل كقوله تعالى : ( يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ )<sup>(٦٤٩)</sup> فإن وقع القيامة وقع مستقبلية ، لم تجر أحداثه بعد ، والقرينة الصارفة للزمن النحوي لـ (( يفعل )) مفردة (( اليوم )) فالمراد به يوم القيامة<sup>(٦٥٠)</sup> ، فيكون المعنى : سيمسمعون الصيحة ذلك يوم الخروج<sup>(٦٥١)</sup> ، فضلاً عن أداة النفي (( لا )) فإنها صارفة لزمانية (( يفعل )) للمستقبل – كما تقدم – فهناك إذن موجهان لدلالة المستقبل هما : السياق ، و (( لا )) النافية ، وقد تكرر هذا النمط ست مرات<sup>(٦٥٢)</sup> .

ثالثاً : إذا اتصل (( يَفْعَلُ )) بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة<sup>(٦٥٣)</sup> ، كقوله تعالى : ( وَلَنَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا )<sup>(٦٥٤)</sup> ، وهو خطاب للنبي بأمر مستقبلية ، بيد أن النص تعامل معه بحكم الواقع لارتفاع درجة الاطمئنان في وقوعه ، فاتصال الفعل بنون التوكيد الثقيلة ولام القسم دلا على مستقبلية الزمن<sup>(٦٥٥)</sup> ، وأن الآية مسوقة لتجلية الموقف أمام أبصار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولإعطائه دفعة إيضاحية عما سيلاقيه مستقبلاً ، ولترسم له مخططاً بيانياً للعمق النفسي والاتجاه الأخلاقي لهم كي تكون المهمات العلاجية على وفق ذلك التصور ،

<sup>(648)</sup> ظ : الجامع لأحكام القرآن : مج ٤ ، ٢١٨/٧ .

<sup>(649)</sup> ق من الآية : ٤٢ .

<sup>(650)</sup> ظ : تفسير البيضاوي : ٤٢٥/٢ .

<sup>(651)</sup> ظ : البرهان في علوم القرآن : ٤٠/٣ .

<sup>(652)</sup> الآيات : (( النبأ : ٣٥ ، الواقعة : ٢٥ ، ق : ٤٢ ، فصلت : ٤ ، الأنبياء : ١٢ ، مريم : ٢٦ )) .

<sup>(653)</sup> ظ : شرح الاسترلابادي : ٢٣١/٢ .

<sup>(654)</sup> عمران من الآية : ١٨٦ .

<sup>(655)</sup> ظ : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ١٤٢ .

ويعد هذا الصنف الإخباري دالا من دوال إعجازه إذ اعتمد الأخبار عن الأحداث المستقبلية بوصفها محققة الوقوع .

رابعا : إذا اقتضى الفعل المضارع طلبا كالأمر والنهي والدعاء والتحضيض والتمني والترجي والإشفاق صرفت دلالاته إلى المستقبل<sup>(٦٥٦)</sup> ، ومن مواضع الطلب في الألفاظ السمعية قوله تعالى : ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ )<sup>(٦٥٧)</sup> لأن الفعل لم يقع وإنما هو نهي عنه حين وقوعه ، وكأن المشركين حرصوا إيما حرص على تعبئة المجتمع بمبدأ رفض القرآن .

خامسا : إذا اقتضى (( يفعل )) وعدا أو جزاء<sup>(٦٥٨)</sup> ، ومنه قوله تعالى : ( لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا )<sup>(٦٥٩)</sup> ويندرج هذا الخطاب القرآني ضمن الدلالات التربوية في النص القرآني وهو مسوق لإفادة الجزاء والوعد ، فكل مطلب تحدثت عنه الآية مطلب مستقبلي ، وكل أمل أمل به النص القرآني يقع خارج حدود المنظومة الماضية أو الحالية إذ خلص للمستقبل ، وقد بلغ مجموع تكرار هذا الإطار الزمني خمس مرات<sup>(٦٦٠)</sup> .

ثالثا : صيغة (( إِفْعَلْ )) :

حُدَّ فعل الأمر بأنه (( على طريقة المضارع للفاعل المخاطب لا يخالف بصيغته إلا أن تنزع الزائدة )) فنقول في تضع ضَعُ ، أوله متحرك فإن سُكُنَ زدت لئلا تبتدئ بالساكن همزة الوصل ))<sup>(٦٦١)</sup> ، - وحده ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)- في مصنفاته بعلمتين مائزتين شريطة اجتماعهما فيه هما : (( دلالاته على الطلب ،

<sup>(656)</sup> ظ : شرح شافية ابن الحاجب : ٢٣١/٢ ، همع الهوامع : ٢١/١ .

<sup>(657)</sup> فصلت من الآية : ٢٦ .

<sup>(658)</sup> ظ : شرح شافية ابن الحاجب : ٢٣١/٢ ، و همع الهوامع : ٢١/١ .

<sup>(659)</sup> مريم من الآية : ٦٢ .

<sup>(660)</sup> الآيات : (( مريم : ٦٢ ، الأنبياء : ١٠٠ ، ق : ٤٢ ، والواقعة : ٢٥ ، النبأ : ٣٥ )) .

<sup>(661)</sup> شرح المفصل : ٥٨/٧ .

وقبوله ياء المخاطبة (( فإن انتفى أحد الشرطين انتفت فيه دلالة الأمر <sup>(٦٦٢)</sup> ، ولم تكن صيغة (( افعل )) وحدها دالة على الأمر فقد يدل على الأمر بلفظ الخبر نحو قوله تعالى : ( وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ) <sup>(٦٦٣)</sup> وكقوله تعالى : ( وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ) <sup>(٦٦٤)</sup> إي : أرضعن وتربصن وقد اختلف النحاة (( بصريون وكوفيون )) في فعل الأمر ، فعده البصريون قسيما للماضي والمضارع في حين رأى الكوفيون انه مضارع وأدخلوا (( اسم الفاعل )) مكانه لعدم اتضاح عنصر الزمن في الأول ووافقهم بالرأي المحدثون <sup>(٦٦٥)</sup> ، وكما اختلفوا في دلالة الفعل على الزمن اختلفوا في تحديد آفاق ذلك الزمن ، ويمكن تلخيصها بثلاثة اتجاهات :

أ- دلالاته على الحال ، تبعا لجمهور النحاة <sup>(٦٦٦)</sup> .

ب- اتفق غير واحد من أهل العربية دلالاته على الاستقبال .

ج- اشتراكه بين الحال والاستقبال ، تعليلا بكونه مأخوذ من المضارع الذي هو مشترك بين الحال والاستقبال <sup>(٦٦٧)</sup> .

ويرى بعض المحدثين (( أن صيغة الأمر تدل على الزمان الحاضر أو

المستقبل

حسب وضعها في تركيب الجملة إي نحويا ، أكثر مما تدل عليه كصيغة مستقلة بذاتها إي

<sup>(662)</sup> ظ : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام ، تح : محمد

محي الدين عبد الحميد ، ط : ١ (١٩٦٧) ، ٣٣ ، و ظ : شرح قطر الندى وبل الصدى ، السعادة ، مصر ، ط

: ١٢ (١٩٦٦) ، و ظ : الفعل والزمن : ٩٢ .

<sup>(663)</sup> البقرة من الآية: ٢٣٣ .

<sup>(664)</sup> البقرة من الآية: ٢٢٨ .

<sup>(665)</sup> ظ : الفعل زمانه وأبنيته : ٣٢ .

<sup>(666)</sup> وهو رأي الأصوليين ، ظ : م.ن : ٣٢ .

<sup>(667)</sup> ظ : البحث النحوي عند الأصوليين ، د. مصطفى جمال الدين ، دار الرشيد ، بغداد ، ط : ١ (د.ت) :



حرفيا )) (٦٦٨) فالسياق التركيبي – بنظره – هو الذي يحدّد الإطار الزمني لفعل الأمر حاضرا كان أو مستقبلا وليس بين هذا الرأي والآراء الثلاثة السالفة الذكر تعارض ذلك أن الأول يتعلق بزمن الصيغة والثاني مقترن بزمن السياق وما بين الاثنين فارق كبير تفرضه قرائن سياقية .

ويرجح البحث اشتراكه بين الحال والاستقبال ذلك : أن دلالاته على الطلب والالزام لتنفيذ أمر ما ينفي زمن الماضي به فلم يبق إلا الحال والمستقبل حيزان زمنيان يجريان فيه سواء أتم الحدث أم انتفى فالزمن فيه مستقبلا أو حالا ، والى ذلك أشار جلال الدين السيوطي ( ٩١١ هـ) بقوله (( لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل )) (٦٦٩) فالأول المستقبل والثاني الحال .

وعند التطبيق على أفعال الأمر في ألفاظ السَّمع في القرآن تبين للبحث أن فعل الأمر دلّ (( صيغة وتركيبا )) على الزمن المستقبل ، وقد بلغ مجموع تكراره خمس عشرة مرة (٦٧٠) توزعت على : اثنتي عشرة مرة للفعل (( سمع )) ومرتين من الفعل (( نصت )) ومرة واحدة من الفعل (( أذن )) أما فعل الأمر من (( سَمِعَ )) فكقوله تعالى : ( وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ) (٦٧١) فيلاحظ أن فعل الوحي لم يقع بزمن ماض ، ولم يحدث أنيا (( مضارعا )) لذا سيتبلور وقوعه مستقبلا وهو طلب فيه إلزام يقتضي الامتثال ، ومقدمة طلبية تفضي إلى نتائج ، ولعل أجمل الدلالات وأدقها ، ان فعل الأمر فضلا عن طلبيته دلّ على الاستحضار والتهيؤ لأمر فعل مستقبلي بمعنى تفعيل كل الطاقات الذهنية للتعامل مع ما يوحى وجلي جدا أن خطاب الوحي يفارق أصناف الخطابات ولا أدنى جدال بذلك فيستلزم نمطا من التلقي عاليا ، ولاسيما أن الموحى به نظام رسالي شامل لكل تنظيمات المجتمع من أعقدها تنظيما إلى أبسطها تشكيلا لذا ألزم نوعا من التلقي المقترن بالتدبر العميق والتفكر العالي انسجاما مع

(668) الفعل والزمن : ٩٤ ، و ظ : أوزان الفعل ومبانيها : ١١٣ .

(669) همع الهوامع : ٧/١ .

(670) ظ : ملحق برقم : ( ٧ ) .

(671) الأعراف من الآية : ٢٠٤ .

مستوى الفكر الموحى

به ، ولهذا نجد أن الفعل الأمرى في الآية جاء مزيدا بحرفين (( الهمزة والتاء )) فكان على صيغة (( افتعل )) الطلبية المزيدة ، وفرق بين (( اسْمِعْ لما يوحى واستمع لما يوحى )) بدلالة زيادة السَّمْع وعلوها وهو ما يطلق عليه المفسرون (( الإصغاء ))<sup>(٦٧٢)</sup> في حين يدلّ على الإحساس المجرد في (( إسمع )) وما هذا الارتفاع الدلالي في (( استمع )) إلا استجابة تفرضها دقة الخطاب الموحى به وتناغما مع علوه وارتفاعه ، إذن فقد خرج فعْل الأمر إلى (( المستقبل )) صيغة وسياقا ، اما صيغة فلأن دلالته على الأمر واضحة - كما مر - وأما سياقيا فالقرينة سياقية ومقامية على حد سواء لأن الحدث لم يقع قبل هذا الخطاب ولا لحظة وقوعه إنما هو استحضار وارتفاع درجة التوقع للتعامل مع الموحى مستقبلا ، وجاء فعل الأمر (( نصت )) في قوله تعالى : ( فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ )<sup>(٦٧٣)</sup> ويلحظ أن دلالة السياق تمنعه من الانصراف إلى زمنية المستقبل وتعيّنه إلى الحالية إذ إن سياق التركيب للآية يقوم على معالجة لأجزاء عملية الإصغاء للقرآن عندما بدأت مفاصل المشهد بالتحرك الفعلي ولا أدل على حالته هنا من خلال أنعام النظر تدقيقا ، وإعمال الفكر تدبرا في الظرف (( لما )) الذي حدد أطر موضوع الإنصات بزمن الحال إي : (( قال بعضهم لبعض : اسكتوا لنستمع إلى قراءته ، فلا يحول بيننا وبين القرآن شيء ))<sup>(٦٧٤)</sup> وثمة أمر هو أيضا سياقي يعضد مبدأ الاطمئنان بالقول بحالية فعل الأمر في المقول القرآني هنا أنهم بمجرد حضورهم قيل لهم : انصتوا فاستمر فعل الإنصات حالا ولم تكن هناك وتيرة زمنية فاصلة بين الطلب والامتثال حتى يتوقع زمن الاستقبال فيه فهناك تتابع زمني وحدثي بين فعل الماضي (( قالوا )) وزمن فعل الأمر (( انصتوا )) إذن ، فالقرينتان (( الحالية والتركيبية )) صرفتا دلالة زمن فعل الأمر إلى الحال .

<sup>(672)</sup> ظ : اللباب في تفسير الكتاب : ١١٣/٧ ، و ظ : الجامع لأحكام القرآن : مج ١ ، ٢٢٠/٣ .

<sup>(673)</sup> الأحقاف من الآية : ٢٦ .

<sup>(674)</sup> مجمع البيان : ٢٩/٢٦ .

يتضح مما تقدم: ان الاستعمال القراني يلجأ لهذه المتغيرات الاستعمالية ليمنح النص طاقة دلالية موصلة لاطراف المعنى بكامله، لان تجلية المعنى ترتبط ارتباطا عاليا بالطريقة التي يقدم بها، مما يجعل المتلقي اكثر اقترابا من المراد القراني.

### المحور الثالث : التعجب في افعلا السمع.

يعرّف التعجب بانه (( استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها وخرج بها المتعجب منها من نظائره وقل تظيره ))<sup>(٦٧٥)</sup> ، ومنشؤه (( انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر خفي سببه ))<sup>(٦٧٦)</sup> – وأجد – أن التعجب ليس على إطلاقه استعظاما بل يخرج لمعنى السخرية والاستهزاء ، وله صيغتان قياسيتان هما : (( أفعل به، وما أفعله )) ، ولم يأت في بنية أفعال السمع إلا ببناء (( أفعل به )) .

وهي تركيب فعلي على طريقة الإسناد ، إذ ذهب جمهور النحاة على أن (( أفعل )) ماض جاء على صيغة الأمر مبني على الفتح المقدر ومنع من ظهوره السكون العارض ، والباء حرف جر زائد<sup>(٦٧٧)</sup> (( فهو فعل باتفاق ، لفظه لفظ الأمر ، ومعناه التعجب وهو خال من الضمير ))<sup>(٦٧٨)</sup> وفاعله المجرور بالباء ، وفي بنائه مباحث طويلة تتعلق بأصل بنائه والمراحل التي اقتضاها حتى استحال لهذا البناء للمستزيد يحيل عليها البحث<sup>(٦٧٩)</sup> ، ويشترط في صياغته شروط هي (( الفاعلية ، والثلاثية ، والتصرف ، والتمام ، والإثبات ، والبناء للمعلوم ، وقبول التفاضل ، وما ليس الوصف فيه على أفعل ))<sup>(٦٨٠)</sup> .

<sup>(675)</sup> المقرَّب : ٧٦ .

<sup>(676)</sup> شرح شافية ابن الحاجب : ١٠٧/٢ ، و ظ : شرح الحدود النحوية : ٩٣ .

<sup>(677)</sup> ظ : شرح ابن عقيل : ١٤٨/٣ ، المرجع في اللغة العربية ونحوها و صرفها : ٧٢/٣ .

<sup>(678)</sup> شرح قطر الندى : ٣٢٣ .

<sup>(679)</sup> ظ : شرح المفصل : ٩٥/٢ ، شرح ابن عقيل : ٤٨/٣ ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : تح :

محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة - مصر ، ط : ١ (١٩٥٥) : ٢٦٦/٢ .

<sup>(680)</sup> ظ : شرح الأشموني : ٢٦٦/٢ .

وقد وردت هذه الصيغة مرتين في ألفاظ السَّمْع (٦٨١) ، وقد اقترن بهما السَّمْع بالبصر كقوله تعالى : ( أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ) (٦٨٢) فالبناء (( أَفْعَلْ بِهِ )) مسوق للتعجب ، وقد اختلف المفسرون في المتعجب منه ، إلا أن ما رآه الزمخشري (٥٣٨هـ) أقرب للقبول إذ يقول : (( لا يوصف الله تعالى بالتعجب ، وإنما المراد أن اسماعهم وأبصارهم يومئذ جدير بأن تتعجب منهما بعد ما كانوا صُمًّا ، وعميا في الدنيا ، وقيل معناه : التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ، ويصدع قلوبهم ، أوقع الظاهر أعني (( الظالمين )) (٦٨٣) موقع الضمير إشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حين غفلوا عن الاستماع والنظر ، والمراد بالضلال المبين : إغفال النظر والاستماع )) (٦٨٤) وأميل إلى ما رآه الزمخشري (٥٣٨هـ) لأن من امتلك مصدر الخلق لا يعقل أن يتعجب من شيء خلقه ، فالمراد تصوير مستويات ضلال هؤلاء تصويرا دقيقا ، لأنهم لم يتمكنوا من تفعيل منافذهم في الدنيا وبذلك المشهد فعّلوها تحت تأثير المشهد القيامي فأولى أن يعجب منها وأجدر أن تثار مظاهر التعجب والدهشة بعدا أن كانوا صُمًّا (( فإله سبحانه لم يتعجب بهم ، ولكن دلّ المكلفين على أن هؤلاء قد نزلوا منزلة من يتعجب منهم )) (٦٨٥) ، ويحتمل أن يكون المخاطب هو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو المدعو إلى فعل التعجب فبعد أن لازمهم وكانوا صما فلا بد من أن يثيره العجب من إبصارهم وسمعهم بعد أن رأهما مفعّلين ، يقول ابن عصفور (٦٦٩هـ) : (( التعجب لا يتصور إلا ممن يجوز في حقه الاستعظام ولذلك لا يجوز أن يرد التعجب من الله تعالى فإن ورد ما ظاهره ذلك صرف إلى المخاطب )) (٦٨٦) ، فنخلص إلى نتيجة : استحالة التعجب من الذات الإلهية وترجيح المراد خطاب النبي

(681) الآيتان: (( الكهف : ٢٦ ، مريم : ٣٨ )) .

(682) مريم من الآية: ٣٨ .

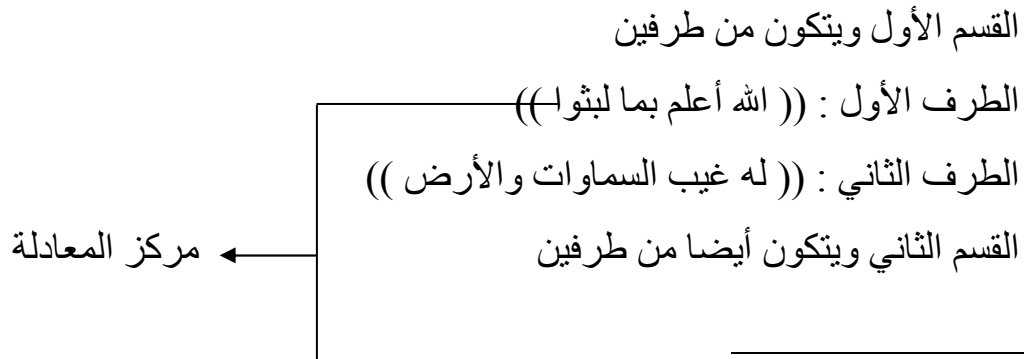
(683) إشارة إلى تمام الآية ﴿ لَكِنَّ الظَّالِمُونَ اليَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ من مريم : ٣٨ .

(684) الكشاف : ٥٠٩/٢ .

(685) البرهان في علوم القرآن : ٣١٨/٢ .

(686) شرح الجمل للزجاجي : ٥٧٦/١ ، و ظ : البرهان في علوم القرآن : ٣١٨/٢ .

لان يتعجب منهم بعد أن فقدوا الإدراك ، أما الموضع الثاني فقد جاء في قوله تعالى : ( لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ) (٦٨٧) إذ تضارع أسلوبا التعجب في الآيتين سوى مغايرة مقام الخطابين ، فمسرحة الأولى الآخرة ، في حين كانت الدنيا مسرح الآية الثانية ، ومن المقارنة بين أسلوب الآيتين وتغايرهما الفني : أن الأولى قدمت التعجب من السَّمْعِ وأخّر في الثانية فكان البصر محل التعجب ، وفي الأولى استوفى الفعل فاعله وكان بصيغة الجمع وأسقط الفاعل في الثانية لدال دلّ عليه وكان فاعله مفردا ، وقد مثل أسلوب التعجب في الآية الثانية (( دالا مركزيا )) إذ كان بمثابة حلقة الفصل بين المقولتين ، لذا مهدت الآية بردهم الأفواه بأنه أعلم بهم ، ثم حثهم على إعمال الفكر بتفعيل البصر والسمع فكل مُبْصِرٌ دال عليه وكل مسموع مرشد إليه ، (( فقد جاء بما دلّ على التعجب من إدراكه للمسموعات والمبصرات لأنه مدرك ألطف الأشياء وأصغرها ، كما يدرك أكبرها حجما ، وأكثفها جرما ، ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر )) (٦٨٨) ، ونلاحظ أن أسلوب التعجب في قوله تعالى : ( قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ) (٦٨٩) قد تعادل مركزيا بين مفتح الآية ومختتمها كما يتضح من خلال المخطط الآتي :



(687) الكهف من الآية: ٢٦ .

(688) البحر المحيط : ١١٧/٦ .

(689) الكهف من الآية: ٢٦ .

الطرف الأول : (( مالهم من دونه من ولي )) (( أبصر به وأسمع

((

الطرف الثاني : (( لا يشرك في حكمه أحدا ))

ونلاحظ أن لهذه المركزية مؤشرين ، أما الأول : فقد اعتمد على ظاهرة التواردات التي توحىها مفردات (( العلم ، الغيب )) من معان تُعدُّ مصداقا لكمال الذات الإلهية إذ أن علم الغيب وما يدوره في فلكه من معان إحدى مظاهر الكمال ، وبنفس هذا المسار تورادت مفردات القسم الثاني فإن تفردته بالولاية واستقلاله بالوحدانية دلالات الرفع الإلهية ، فكانت تورادت هذين القسمين ممهدات لواجب الامتثال في أمرية أسلوب التعجب (( أبصر به وأسمع )) ، أما المؤشر الثاني : أنه أسلوب مفتوح الآية ومختتمها حت بأسلوب الخبر فهو غير ملزم للامتثال في حين جاء أسلوب التعجب ليمثل عدولا أسلوبيا في تقديم المعنى ، إذ جاء على نحو الأسلوب الإنشائي ، كذلك هناك عدول منوع الدليل بين القسم الأول ومركز المعادلة إذ لم تقترن دعوة القسم الأول بدليل في حين اقترنت الدعوة المركزية بالدليل الحسي (( البصر والسمع )) فيكون مستوى القبول بأصل الدعوة أكثر قبولا .

### الفصل الثالث

بناء دلالة السَّمع في تركيب الجملة القرآنية

(( دراسة في الأساليب ))

المبحث الأول : بناء دلالة السَّمع في الأسلوب الخبري .

المبحث الثاني : بناء دلالة السَّمع في الأسلوب الإنشائي .

المبحث الثالث : بناء دلالة السَّمع في الأسلوب الشرطي .

المبحث الرابع : دلالة التعدي للفعل (( سَمِعَ )) .

مدخل :

لا تحظى المفردة اللغوية بداخل معجمها إلا بمساحة دلالية محددة ، فلا تكون مؤثرة أو متأثرة إلا بالسياق أو التوظيف بما اصطلح عليه بـ(( التركيب )) الذي تتضمن به المفردات بعضها مع بعض بنحو مخصوص وهو الذي أطلق عليه ابن جني (٣٩٢هـ) اسم (( الدلالة المعنوية ))<sup>(٦٩٠)</sup> لأن المعنى يستمد من خلال محاولة فهم العلاقة الرابطة بين أجزاء (( المفردات )) التركيب بتوظيف الخبرات السابقة .

ان السياق يجعل لظلال المعاني دورا تغاير المفردة فيه دلالتها المعجمية ولاسيما في مستوى العبارة القرآنية لأنها جنس من التأليف يجعلها مظهرا من مظاهر إعجازه لذا (( باتت تراكيبه وأساليبه هي الأصل الذي يستأهل أن تقوم عليه دراسة التراكيب العربية ))<sup>(٦٩١)</sup> ، وسيكون مدار الاهتمام بهذا الفصل على تتبع التراكيب التي بنتها ألفاظ السَّمع تتبعا إحصائيا ومراقبة تحولات الدلالة بناء على تنوع بناء التركيب، وسيكون موزعا على الأساليب بغية متابعة الدلالة لأن الكلام يبني بهذه الأساليب التي حصرها القدامى وهي (( أساليب الخبر وأساليب الإنشاء وأساليب الشرط )) ولم يخرج الدارسون المحدثون عما قدمه القدامى ، فضلا عن دلالة التعدي للفعل (( سَمِعَ )) ومراقبة صور التعدي وأسبابه المفضية إليه .

المبحث الأول : بناء دلالة السَّمع في الأسلوب الخبري :

<sup>(690)</sup> ظ : الخصائص : ٩٩/٣ .

<sup>(691)</sup> نحو القرآن : د. أحمد عبد الستار الجوارى ، المجمع العلمي العراقي - بغداد ، ط : ١ (د.ت) : ٦ .



لا يجدر بالبحث الوقوف عند مفهوم الخبر فقد أفاضت به كتب البلاغة ويحيل عليها للمستزيد (٦٩٢) ، وسيقف البحث عند أنماط تركيب الجملة التي نسجت منها مفردات السمع القرآنية ، وسيراقب تتبع دلالاتها وعلى النحو الآتي :

أولاً : (( مبتدأ + خبر )) :

سيقت أنماط متنوعة لهذا التركيب انسجاماً مع الاتجاه الدلالي الذي يبدو فيه التعبير القرآني وعلى النحو الآتي :

أ- مبتدأ + خبر (( اسم مقترن بالألف واللام )) :

بلغ مجموع وروده ثلاث عشرة مرة (٦٩٣) ، وكان الخبر في اثنتي عشرة مرة على صيغة (( فعيل )) من المفردة (سمع) ، في حين جاءت المفردة السمعية (( أذن )) مرة واحدة (٦٩٤) ، وقد جاء مبتدأ (( سميع )) بثمانية مواضع بلفظ الجلالة (( الله )) وكانت الستة الباقية باستعمال الضمير (( هو )) كقوله تعالى : ( فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) (٦٩٥) ، وإنما عدل من الظاهر إلى الضمير لذكر الظاهر قبله ، ولو أعيد لأصبح التركيب (( فسيكفيهم الله والله السميع العليم )) ، ثم أن الضمير الواقع مبتدأ به ملمح التأكيد ، ومعنى إثبات القدرة لان سياق الآية جاء على جوهر الإسلام (( الإيمان )) لذا أُغْد بالضمير ، ويلحظ مجيء الخبر اسماً (( سميع )) على معنى الصفة المشبهة (٦٩٦) فلا يقوم مقامها بناء آخر للمعنى الذي يختص به الاسم (( فمتى اعتبرت الحال من الصفات الشبهة وجدت الفرق ظاهراً بيننا ،

---

(692) ظ : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز في وجوه البلاغة والبيان وإعجاز القرآن الشريف : الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، تح : د. إبراهيم السامرائي و محمد بركات حمدي ، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ، (١٣١٧) : ١٤٩ . والمعاني في ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان ، د.ط (١٩٨٥) : ١١٩ .

(693) الآيات : (( البقرة : ١٢٧ ، ١٣٧ ، آل عمران : ٣٥ ، المائدة : ٧٦ ، الأنعام : ١٣ ، الأنفال : ٦١ ، يونس : ٦٥ ، الأنبياء : ٤ ، العنكبوت : ٥ ، ٦٠ ، الشورى : ١١ ، التوبة : ٦١ )) .

(694) وذلك في سورة التوبة : ٦١ وقد جرد الخبر من الألف واللام .

(695) البقرة من الآية : ١٣٧ .

(696) قد تدل صيغ المبالغة على معنى الصفة المشبهة على وفق مقام الحدث .

ولم يعترضك الشك في أن أحدهما لا يصح في موضع صاحبه ((<sup>٦٩٧</sup>) ، لدلالة الاسم على الثبوت ومقصد الفعل على التجدد ، ثم أن تعريفه بالألف واللام جاء (( لقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة ... وذلك لأنك لا تعتد بما كان من غيره لقصوره عن أن يبلغ الكمال )) (<sup>٦٩٨</sup>) ، فاقتران الخبر (( الألف واللام )) تخصيص لصفة السميع لله وقصرها عليه ، اما الفعل (( أدن )) فقد جاء المبتدأ ضميراً أيضاً في قوله تعالى : ( وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَى ) (<sup>٦٩٩</sup>) إذ قصدوا بها الذم فلا يتصرف بشيء - بحسب زعمهم - وإبلاغاً لتأكيد هذا المعنى عزفوا عن الظاهر لضميره ، ومن مواضع مجيء المبتدأ ظاهراً قوله : ( وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) (<sup>٧٠٠</sup>) ، وعند تدبر الآية يبدو أن هناك من يکید للمؤمنين فدلالة الخوف هي التي تدور في الآية ، فإذا كان المؤمن خائفاً مترقباً فدون أدنى شك أن في ذكر اسم الجلالة صراحة اطمئناناً وأماناً له وفي الآية من شدة الوعيد ما لا يخفى (<sup>٧٠١</sup>) ، بل لاحظ البحث : أن معظم الآيات التي ذكر بها الاسم صراحة جاءت لبث الأمن والطمأنينة (<sup>٧٠٢</sup>) .

ب- مبتدأ (( محذوف )) + خبر

لم يرد هذا النمط سوى مرتين (<sup>٧٠٣</sup>) ، منه قوله تعالى : ( صُمُّ بَكْمٌ عُمِّيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) (<sup>٧٠٤</sup>) ، فـ (( صم )) خبر لمبتدأ محذوف قُدِّرَ بـ (( هم )) إي : (( هم صم )) صيانة للسان عن ذكرهم (<sup>٧٠٥</sup>) وفي علة حذفه خلاف مشهور بين المفسرين ، أما

(697) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني : صحح أصله : محمد عبد والأستاذ اللغوي الشيخ : محمد محمود

التركزي، وقف على تصحيح طبعه : محمد رشيد رضا ، المنار - مصر ، ط : ٤ (١٣٦٧هـ) : ١٧٥ .

(698) م.ن : ١٨٠ .

(699) التوبة من الآية : ٦١ .

(700) التوبة من الآية : ٩٨ .

(701) ظ : روح المعاني : مج : ٤ ، ٧/٦ .

(702) ظ : على سبيل المثال : (( البقرة : ١٢٣ ، آل عمران : ٣٥ ، الأنعام : ١٧ ، يونس : ٦٥ )) .

(703) الآيتان : (( البقرة : ١٨ ، البقرة : ١٧١ )) .

(704) البقرة من الآية : ١٨ .

(705) البرهان في علوم القرآن : ١٠٧/٣ .

الجمهور : فرغه بوصفه خبراً لمبتدأ محذوف إي : هم صمُّ بكم عمي على مذهب تعدد الأخبار للمبتدأ الواحد لذا تحمل الآية بلا تأويل ، ومن منع ذلك رأى أن هذه الأخبار وأن تعددت بلفظها فبينها اتحاد معنوي فالمعنى : هم غير قائلين للحق بسبب عما هم وصممهم وعدم قبولهم الحق<sup>(٧٠٦)</sup> ، ومنهم من قدر لكل خبر مبتدأ إيِّ هم صم ، هم بكم ، هم عمي ، إيِّ إنهم: جامعون لهذه الأوصاف الثلاثة<sup>(٧٠٧)</sup> ، ولولا ذلك لجاز أن تكون هذه الآية من باب ما تعدد فيه الخبر لتعدد المبتدأ ، كقولك : (( الزيدون فقهاء شعراء كاتبون )) إذ يحتمل فيهم إحدى الصفات وامتناع الكل ، ويرى البحث : أن التعدد وإن كان مسموحاً به من ناحية العرف اللغوي بيد أنه لا ينسجم مع مراد الآية إذ ليس المراد تصنيفهم بحسب نوع المرض إنما المراد الاشتراك بالصفة ولاسيما أن المقام مقام إخبار عن نمط سلوكهم ، وإظهار التعنت والجهالة بسلوكهم فهذه الأوصاف شاملة لهم ومحيطة بهم ، فالصم صادق عليهم بموازاة البكم والعمى ، لذا يعد حملها على أنها أخبار لمبتدأ محذوف واحد يضعف هذا العنصر الدلالي (( فإذا كانت الأذان والألسنة والعيون لتلقي الأصداء والأضواء والانتفاع بالهدى والنور ، فهم عطلوا آذانهم فهم )) (( صمُّ )) وعطلوا ألسنتهم فهم (( بكم )) وعطلوا عيونهم فهم (( عمي )) لا رجعة لهم إلى الحق ولا أوبة لهم إلى الهدى ))<sup>(٧٠٨)</sup> فقد جمع هؤلاء هذه العاهات معاً فهم موصوفون بها كلهم أجمعون ، فليس بعضهم صماً أو بكمياً أو عمياً لتعارض سياق النص الذي حشد أوصافاً متنوعة لجعل المتلقي يلامس ما أراد التركيب بيانه ، فإن مد الصلة بينها وبين الآيات قبلها وما تلاها يستظهر سوق القرآن جلياً أربع عشرة آية<sup>(٧٠٩)</sup> باستثناء الآية محل البحث وجميعها سيقت بتصوير حركي يدل على انحراف سلوكهم حتى بلغت الذروة بوصفهم بهذه الثلاثة المختومة بعبارة (( لا يرجعون )) لقطع سبيل الشك أما من يرى بعودتهم أملاً (( إي فهم لا يعودون من الضلالة إلى

(706) ظ : البحر المحيط : ٧٥/١ .

(707) ظ : اللباب في علوم الكتاب : ٣٨٢/١ .

(708) في ظلال القرآن : مج ١ : ٤٦/١ .

(709) البقرة (( ٦-٢٠ )) .

الهدى الذي تركوه وأضاعوه إذ من فقد حواسه لا يسمع صوتا يهتدي به ، ولا يصيحُ لينقذ نفسه ، ولا يرى بارقا من النور يتيح له إليه ))<sup>(٧١٠)</sup> ، إذن : إشتراك الوصف مراد السياق .

ج- خبر مقدم (( محذوف )) + شبه جملة متعلقة بمحذوف خبر مقدم + مبتدأ

مؤخر:

وقد بلغ مجموع تكرار هذا النمط مرتين فقط ، أما الأول ففي قوله تعالى : ( لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا )<sup>(٧١١)</sup> ، أما الموضع الثاني فجاء في قوله تعالى : ( أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا )<sup>(٧١٢)</sup> إذ وردت مفردة السَّمْعَ بهذين الموضعين مفردة ضمنية وهي (( آذان )) جمع (( أذن )) وهي أداة السَّمْعَ التي يتم بها الإحساس المفضي للإدراك والخبر محذوف تقديره (( موجودة أو كائنة ))<sup>(٧١٣)</sup> إي : موجودة لهم مسامع بيد أنها معطلة ، وإذا كان الحذف (( إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل ))<sup>(٧١٤)</sup> فدليل الحذف هنا هو السياق (( كبرى القرائن )) الذي يحدد المحذوف<sup>(٧١٥)</sup> ، فلا يمكن إبعاد دلالة السياق وسياق الموقف عن العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير ، وإذا كانوا قد اشترطوا وجوب ابتعاد الضرر المعنوي عند الحذف فهو قد حقق فائدة معنوية وهي : لما كانت مسامعهم لا تقوم بأدنى عمل وظيفي كأنها محذوفة حذف الخبر (( موجودة أو كائنة )) إمعانا في تأدية المعنى فلا ضرورة لذكرها ما دامت أصل وظيفتها معطلة حيث (( لا يسمعون بها شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية على طرز ما سلف ، والمراد ... بالسماع ما اختص بالعقلاء من الإدراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد

<sup>(710)</sup> تفسير المراغي : صاحب الفضيلة الاتساذ الكبير المرحوم : أحمد مصطفى المراغي ، مصطفى البابي وأولاده - مصر ، ط: ٢ (١٩٥٣) : ٥٩/١ .

<sup>(711)</sup> الأعراف من الآية: ١٧٩ .

<sup>(712)</sup> الأعراف من الآية : ١٩٥ .

<sup>(713)</sup> ظ : اللباب في علوم الكتاب : ٥١٧/٤ ، والبحر المحيط : ٢٠٧/٦ .

<sup>(714)</sup> البرهان في علوم القرآن: ١٠٢/٣ .

<sup>(715)</sup> ظ : اللغة العربية معناها ومبناها : د. تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٧٣) : ١٢٤ .

الإحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الإنعام))<sup>(٧١٦)</sup> ، ثم ان الآية ساقت ثلاثة أوصاف بصيغة العطف بالواو الدالة على مطلق الجمع<sup>(٧١٧)</sup> هي : (( تعطيلهم القلوب والأبصار والأسماع )) وفي ذلك ما لا يخفى من تقرير سوء حالهم<sup>(٧١٨)</sup> ، فضلا عن أن النص لم يسلبهم تلك الوظائف ابتداءً فلم يقل : (( ليس لهم أذان يسمعون بها )) دلالة على رسوخهم في الجهل فالتعبير المسوق أدل على مقصد الخطاب فضلا عن إعادة شبه الجملة (( لهم )) التي خصصت وجوديتها عندهم واستحقاقها لهم .

ثانيا : فعل (( غير طلبي )) + فاعل :

وقد توزعت صورته على وفق التراكيب الآتية :

أ- فعل (( غير طلبي )) + فاعل (( ضمير )) :

ورد هذا النمط ست مرات<sup>(٧١٩)</sup> من المفردة السمعية (( سَمِعَ )) ، وقد سبقت

بالفعل

(( قال )) المسند إلى الفاعل وهو واو الجماعة ، كقوله تعالى : ( وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ )<sup>(٧٢٠)</sup> ، ولعل من أهم اللمسات الدلالية في هذا النمط ان سماعهم لم يكن سماع تقص للحقائق أو طاعة للأمر<sup>(٧٢١)</sup> ، وما مقولهم هذا إلا بعد أن رفع فوقهم الطور المشهد الذي استدعى إعادة تفهم الخطاب الملقى عليهم يقول فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) : (( إن إظلال الجبل لا شك انه من أعظم المخلوقات ومع ذلك أصروا على كفرهم وحرصوا بقولهم : (( سمعنا وعصينا ))<sup>(٧٢٢)</sup> ، وإن كان بعض المفسرين لا

<sup>(716)</sup> روح المعاني : مج ٤ ، ١١١/٥ .

<sup>(717)</sup> ظ : الإتيان في علوم القرآن : ٣٠٤/٢ ، وشرح المفصل : ٢١١/٣ .

<sup>(718)</sup> روح المعاني : مج ٤ ، ١١٢/٥ .

<sup>(719)</sup> الآيات : (( البقرة : ٩٣ ، ٢٨٥ ، النساء : ٤٦ ، ٤٦ ، المائدة : ٧ ، الأنفال : ٢١ )) .

<sup>(720)</sup> البقرة من الآية : ٩٣ .

<sup>(721)</sup> ظ : الكشاف : ٤٠٦/١ .

<sup>(722)</sup> التفسير الكبير : مج ٢ ، ٢٠٢/٣ .

يرى لمقولهم حقيقة فجائز أن يكون المعنى سمعوه فتلقوه بالعصيان معبراً عن ذلك بالقول (٧٢٣) .

ب- اسم موصول (( الذين )) + فعل القول (( ماض )) + فاعل (( ضمير )) + فعل السَّمْع (( ماض )) + فاعل (( ضمير )) .

وقد جاء مرة واحدة في قوله تعالى : ( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ) (٧٢٤) ، إن الاسم الموصول ملازم لصلته لان تمام معناه بها (٧٢٥) ويسمى سيبويه (١٨٠هـ) (( حشوا )) (٧٢٦) ولها ضوابط لا يجوز الإخلال بها (٧٢٧) ، وقد وقع فعل (( القول )) وفاعله (( الضمير )) وفعل (( السَّمْع )) وفاعله (( الضمير )) صلة للاسم الموصول فول فصلة (( الذين )) في الآية صلة خبرية قد عاد الضمير في كلا الفعلين على (( الذين )) ، وقد ذكر النحاة أن الاسم الموصول (( الذين )) خاص بجماعة الذكور (٧٢٨) ، ولكن هل أريد (( بالذين )) دلالاته الخاصة على الذكور إي : إن الذين لم يسمعوا مقتصرًا على الذكور فقط أم للإناث نصيب من ذلك ؟ وإن كان المراد كلا الجنسين في الآية فكيف يوجه اسمه اسعمال (( الذين )) ؟ وأرى :  
- والله أعلم - أن المراد هنا (( التغليب )) لأن (( المذكر يغلب المؤنث وليس للمؤنث ما للمذكر من تمكن )) (٧٢٩) و(( لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد ... فالتذكير أول وهو أشد تمكنا )) (٧٣٠) ، وقد سيقت هذه الآية تقرير لما قبلها (٧٣١) إي :

(723) ظ : غرائب القرآن : ٣٠٨/١ .

(724) الأنفال من الآية : ٢١ .

(725) ظ : المفصل : ٣٥/٢ ، وشرح شافية ابن الحاجب : ٢٨٧ .

(726) ظ : الكتاب : ١٠٥/٢-١٠٦ .

(727) ظ : ارتشاف الضرب من لسان العرب : ٥٢/١ ، وأوضح المسالك : ١٦٤-١٦٥ .

(728) ظ : أوضح المسالك : ١٣٩/١ .

(729) الكتاب : ٥٦١/٣ .

(730) م-ن : ٢٢/١ و٢٤١/٣ ، وشرح المفصل : ٨٨/٥ .

(731) إي الآية المسوقة قبلها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾

الأنفال من الآية : ٢٠ .

لا تكونوا بمخالفات الأُمَم والنهـي  
(( كالذين قالوا سمعنا )) الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون سماعاً ينتفعون به  
والمنفي هنا سماع خاص بيد أنه جاء على معنى المطلق مبالغة في المعنى الذي يوافق  
الحدث لأن المراد سماعهم في آذانهم للإحساس فقط ، فهم لا يستجيبون فكأنهم لم  
يسمعوا وقد عدل النص القرآني من الظاهر (( المشترك )) إلى الاسم الموصول ((  
الذين )) لأن النص القرآني يعدل إلى الاسم الموصول إذا كان فيه مستوى عال من  
زيادة التقرير لأمر يريده (٧٣٢) (( وعندما تكون صلته هي التي عليها مدار الحكم ))  
(٧٣٣) ثم أن مجيء صلة الموصول بصيغة الفعل أوحى بدلالة الاستمرار المقترن  
بالتجدد في فعل السماع فدل على تجدد سماعهم واستمراره ، ولم يكن تقديم الاسم  
الموصول على الجملة الفعلية إلا لداع دلالي إذ بتقديمه (( إيثار الإسمية للدلالة على  
دوام مضمونها وفي ذلك من تسلية المؤمنين ما لا يخفى )) (٧٣٤) لأن الخطاب القرآني  
يأتي بالاسم الموصول عندما تكون صلته مدار الحكم – كما تقدم (٧٣٥) - ، فضلاً عن  
أنه يثير في النفس شوقاً إلى معرفة طابع صلته التي هي مدار الحكم ويعطي إشارة  
منبهة لمتلقي النص أن يعمل الفكر في توقع احتمالات الخبر، ولا شك في أن هذا النمط  
قادر على ربط عقل المتلقي بدائرة الحدث الذي يدور حوله النص لأن النفس توافقة إلى  
استجلاء المبهم ، لذا قدم الاسم الموصول للمس تلك الدلالة ، فضلاً عن ذلك فإن  
عنصر الزمن في مثل هذا التركيب ملغى بناء على حكم عام ، ويرى صاحب ((  
الميزان )) أن إلغاء عنصر الزمن لا يستوجب إلغاء لوازم الأزمنة الأخرى كالتحقيق  
في الماضي والاستمرار في المضارع (٧٣٦) ، ولا أجد مسوغاً لهذا الاستدراك فإن  
المقصود تلاشي حدود أزمنة الاسم الموصول أما دلالات صيغ الفعل فلا يعنونها تغير  
أو تبدل لأنها أصل بموضعها ولا تتغير إلا بتأثير السياق ، يتضح مما تقدم : أن الاسم

(732) ظ : من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي طبانة ، لجنة البيان العربي - القاهرة ، (١٩٥٠) : ١٣٧

(733) من بلاغة القرآن : ١٣٦ .

(734) روح المعاني : مج ١٤٣/١٠١ .

(735) من بلاغة القرآن : ١٣٦ .

(736) ظ : الميزان : ٣٨١/١١ .

الموصول ألغى دلالة الاقتصار لينفتح على أكبر قدر من استيعاب المستمعين فضلا عن إطلاق عنصر الزمن للحدث ، لذا لم يكن مستمعاواحد القرآن بل جماعة من المستمعين ، ويلحظ أن جملة (( قالوا سمعنا )) كانت قيّدا كاشفا وموضحا لإجمال الاسم الموصول لأنها وقعت صلة والصلة مفسرة لإبهام الموصول ومفصلة لإجماله (٧٣٧) ، وإن اختصاص الصلة بالماضي وما قبلها بالمضارع (( رغبة في التفنن في الفصاحة لأن المبتدأ معنى اسم الشرط والماضي في اسم الشرط فلذلك أشبهه )) (٧٣٨) ، وإنما جيء بصيغة الماضي قصداً لدلالة التحقق في فعل السماع لهؤلاء مبالغة في المعنى (٧٣٩) .

ثالثا : فعل (( غير طلبي )) + فاعل + مفعول به وكالاتي :

أ- فعل (( غير طلبي )) + فاعل (( مذکور )) + مفعول به :

أولا : ظرف (( لما )) + فعل (( ماض )) + فاعل (( ضمير )) + مفعول به :

ورد هذا النمط مرة واحدة في قوله تعالى : ( وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ

بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ) (٧٤٠) وقد تفارقت توجيهات المفسرين لوظيفة (( لما )) إذ

جعلها بعضهم ظرفاً منصوباً بـ (( ليزلقونك )) (٧٤١) فيكون المقصد : حين يسمعون

القرآن ينبعث عند سماعه بغضهم وحسداهم (٧٤٢) ، في حين عدّها آخرون ظرفاً بمعنى

الشرط وأسقط جوابها للدلالة عليه ، أي : لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك ، وجوز

(737) المرجع في اللغة العربية ونحوها وصرفها : ١٥٦/٣ .

(738) روح المعاني : مج ٤ ، ١٧٦/٥ .

(739) ظ : الميزان : ٣٨١/١١ .

(740) القلم من الآية : ٥١ .

(741) ظ : اللباب في علوم الكتاب : ٣١١/١٩ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : تأليف الإمام شهاب

الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسّمين الحلبي ، تح : الشيخ علي محمد معوض

والشيخ عادل أحمد عبد الموجود و د. جاد مخلوق جاد و زكريا عبد المجيد النوتي ، قدّم له وقرضه د. أحمد

محمد حيره ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : (١٩٩٤) ١ : ٦٣٠/٦ .

(742) التفسير الكبير : مج ١٥ ، ١٠١/٣٠ .



بعضهم تقديمه فقال : هو هنا مقدم<sup>(٧٤٣)</sup> ، وأجد : أنها ظرف بمعنى (( حين )) وهو اتجاه أغلب المفسرين لانتظام البنية الدلالية بها ، ولاسيما أن النص القرآني قصد التركيز على دلالة الزمن إبان سماعهم له إذ كانوا يكرهون سماعه أشد الكراهية فيمدون النظر إليه بغضا ، ويلحظ القصدية في اختيار المفعول عادلا به من الصريح إلى إحدى صفاته وهو (( الذكر )) فالذكر : الشيء الذي يجري على اللسان والذكر : جرى الشيء على لسانك<sup>(٧٤٤)</sup> ، قال الفراء (٢٠٧هـ) : الذكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته لذا عدّ جري القرآن على لسان الرسول ذكرا وما نقله المفسرون يقوي هذا الاتجاه من أن : الرسول كان يقرأ القرآن ويجري على لسانه لذا عدل إلى الذكر لجريانه عليه .

ثانيا : ظرف (( إذ )) + فعل (( مضارع )) + فاعل (( ضمير )) + مفعول به (( جار ومجرور )) :

وقد ورد مرتين الأول في قوله تعالى : ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ )<sup>(٧٤٥)</sup> ففي الآية دلالة الاطمئنان وبعث الأمن في قلب النبي لذا قدم المسند إليه (( نحن

أعلم )) للحصر<sup>(٧٤٦)</sup> المشعر بالأمن والطمأنينة بعد أن صدر منهم فعل الاستهزاء ، وقد تباينت توجيهات المفسرين والنحاة للوظيفة النحوية لـ (( إذ يسمعون )) ويمكن حصرها باتجاهين :

الاتجاه الأول : أنها معمول لـ (( أعلم )) وهو توجيه الزمخشري (٥٣٨هـ) إذ قال (( إذ يسمعون نصب بـ (( أعلم )) إي : أعلم وقت استماعهم بما يسمعون وبما

<sup>(743)</sup> ظ : حاشية محيي الدين الشيخ زاده : ٣٠٧/٨ .

<sup>(744)</sup> ظ : لسان العرب : ذكر .

<sup>(745)</sup> الإسراء من الآية : ٤٧ ، أما الثاني : ﴿ وَإِذْ تَأْتِيَنَّكَ رُبُّكَ لِيُبَعِّنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يُسْأَلُهُمْ

سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ الأعراف من الآية : ١٦٧ .

<sup>(746)</sup> ظ : حاشية القونوي : ٥٢١/٣ .

يتناجون إذ هم ذوو نجوى)) (٧٤٧) ، ووافقه بذلك الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) إي : وقت استماعهم بما به يستمعون ، فتكون (( إذ )) عندئذ مفعولا به لـ (( أعلم )) .

الاتجاه الآخر : أن (( إذ يستمعون إليك )) منصوب بـ (( يستمعون )) الأولى في قوله تعالى (( نحن أعلم بما يستمعون إليك )) فيكون المعنى : نحن أعلم بالذي يستمعون إليك والى قراءتك وكلامك ، إنما يستمعون لسقطك ، وتتبع عيبك لذا ذكر تعديته بالباء في الأولى وبإلى في الثانية (٧٤٨) لأن سماعهم لم يكن سماع تدبر وقصد لذا عدي بالواسطة برغم تعديته بنفسه (٧٤٩) ، وأيا كان العامل فيها فهي لا تخرج عن معنى الظرفية (( فلا تتصرف بأن تقع فاعلة ، أو مبتدأ أو تخرج عن الظرفية إلا إذا أضيف إليها اسم الزمان )) (٧٥٠) ، وقد لاحظ الدارسون أن إضافة (( إذ )) إلى الجملة ذات النسق الفعلي يفوق إضافتها للجملة ذات النسق الاسمي (٧٥١) وقد جاءت هنا على النسبة الأكثر إذ أضيفت للفعل المضارع فصرفت الدلالة الزمنية إلى الماضي لأن الفعل (( المضارع بعد )) (( إذ )) بمعنى الماضي (( ٧٥٢ )) أي : علمنا بوقع ذلك الحدث حينما استمعوا إليك بقصد التقليل والاستهزاء بك .

ب- فعل (( غير طلبي )) + فاعل (( مضمر )) + مفعول به :

وقد تكرر هذا النمط سبع مرات (٧٥٣) ، جاء الفعل (( سَمِعَ )) ثلاث مرات ، في حين وقع الفعل (( أذن )) أربع مرات ، فمن شواهد الأول قوله تعالى : ( فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ) (٧٥٤) ، فر (( لما )) هنا بمعنى الشرط وهو ظاهر كلام سيبويه

(747) الكشاف : ٣٠٦/٣ ، وظ : اللباب في علوم الكتاب : ٢١٧/٨ .

(748) ظ : اللباب في علوم الكتاب : ٣٠٢/١٢ ، والكشاف : ٦٤٤/٢ .

(749) ظ : البحث ، الفصل الثالث : ١٦٥-١٦٨ .

(750) دراسات لأسلوب القرآن الكريم (قسم الحروف والأدوات) : عبد الخالق عزيمة ، السعادة - مصر ، (د.ت) : ٥/١ .

(751) م.ن : ١/١ .

(752) دراسات لأسلوب القرآن الكريم (قسم الحروف والأدوات) : ٢/١ .

(753) الايات (( يوسف : ٣١ ، الأنعام : ٢٥ ، محمد : ١٦ ، يونس : ٤٢ ، الانشقاق : ٢ ، فصلت : ٤٧ ، الأنبياء : ١٠٩ )) .

(754) يوسف من الآية : ٣١ .

(١٨٠هـ) إذ قال (( لما )) لوقوع أمر غيره<sup>(٧٥٥)</sup> فهي تضارع (( لو )) بالوظيفة بيد أن الأخيرة لانتفاء الثاني وليست (( لما )) كذلك ، فبالآية ارتباط مرحلي لوقوع الفعلين أي حدث الإرسال وقع بعد حدث السَّمْع ، ولكن لِمَ وصف القرآن مسموعها بأنه مكر برغم واقعية الحدث؟ وقد حاول المفسرون المقاربة في فك هذا القصد الاستعمالي يوجزها البحث بالآتي :

أولا : أن النسوة إنما قلن ذلك مكرًا بها لتريهن يوسف ، لأنهن إذ قلن ذلك عرضته عليهن .

ثانيا : أنها أسرت حبها ليوسف واستكتمتهن فأفشين ذلك .

ثالثا : أنهن وقعن في الغيبة ، والغيبة إنما تذكر على سبيل الحقيقة فأشبهن المكر<sup>(٧٥٦)</sup> ، فالمكر على هذين القولين حقيقة<sup>(٧٥٧)</sup> ، وأجد : إن مدار القصة ابتداء فيها نظر لذا وصف هذه الأفعال بالمكر يتناغم مع أصل الحدث فالمكر : الخديعة والاحتيال<sup>(٧٥٨)</sup> ، وممن شهدوا هذا الفعل \_\_\_\_\_ ، (( أذن )) قوله تعالى : ( وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ )<sup>(٧٥٩)</sup> ، فأذنت بمعنى : سمعت<sup>(٧٦٠)</sup> وقد أسند فيها للسماء مجازا مبالغة في إظهار رهبة يوم القيامة فكأن للسماء أذانا تسمع بها لأمر الله ، فمعنى : أذن له وجه أذنه السامعة وعندئذ يلزمه الاستماع والإجابة وإذا استعمل فيما ليس له حاسة السَّمْع يكون استعارة<sup>(٧٦١)</sup> ، فالمراد هنا من استماع السماء -أذن-تقيدها لقدرة الله وأرى : أن النص عدل من (( سمعت )) إلى (( أذنت )) للمبالغة في حجم إجابة السماء لأمر الله فكأن السماء تحولت كلها إلى سمع فيقال : أذنت

<sup>(755)</sup> ظ : شرح الرضي على الكافية : ٢٣١/٣

<sup>(756)</sup> ظ : تخريجات هذه التوجيهات : اللباب في علوم الكتاب : ٨٠/١١ ، والبحر المحيط : ٣١٧/٧ .

<sup>(757)</sup> ظ : روح المعاني : مج ٤ ، ٤١٨/٦ .

<sup>(758)</sup> ظ : لسان العرب : مكر .

<sup>(759)</sup> الانشقاق من الآية : ٢ .

<sup>(760)</sup> ظ : معاني القرآن ، الفراء : ١٣٤/٥ ، وحاشية القونوي : ١٦١ / ٢٠ .

<sup>(761)</sup> ظ : حاشية القونوي : ١٦١/٢٠ .

له آذانا إذا استمعت له <sup>(٧٦٢)</sup> ، وقد نقل الفراء (٢٠٧هـ) رأيا لأحد المفسرين بأن قوله تعالى : ( وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ) جملة جواب لقوله ابتداءً (( وإذا السماء انشقت )) بيد أنه لم يتفق مع ما نقل إذ قال : (( ونرى أنه رأي ارتآه المفسر وشبهه بقوله تعالى ( حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ) <sup>(٧٦٣)</sup> لأننا لم نسمع جوابا بالواو في (( إذا )) مبتدأة ولا قبلها كلام ولا في (( إذا )) إذ ابتدأت وإنما تجيب العرب بالواو (( حتى إذا كان )) و (( فلما إذا كان )) لم يجاوزوا ذلك )) <sup>(٧٦٤)</sup> وأجد : أنها ليست جوابا للشرط والواو عاطفة لا رابطة وإنما جواب الشرط محذوف (( ليذهب المقدر كل مذهب )) <sup>(٧٦٥)</sup> وتقدير مصرّح به في سورتي التكوير والانفطار وهو قوله (( علمت نفس )) <sup>(٧٦٦)</sup> (( <sup>(٧٦٧)</sup> وتقديره : إذا السماء انشقت شيئا عظيما <sup>(٧٦٨)</sup> ، وإنما حذف تعظيما لوقع ذلك اليوم لأن بذكره لا يتجاوز المتلقي غير ما وصف به فلا تكون هنالك رخصة لإطلاق عنان التصور للمس المراد فبالحذف (( يذهب منه الذهن كل مذهب ، ولو صرّح بالجواب لوقف الذهن عند المصرّح به فلا يكون له ذلك الوقع )) <sup>(٧٦٩)</sup> المثير للاهتمام لأن الوصف – فيما لو ذكر – قد يكون عاجزا عن تصويره أو تمثيله أي إن في حذف الجزاء (( تفخيم للأمر ... أي : تكون أمور لا يقدر على وصفها )) <sup>(٧٧٠)</sup>

ج- حرف جر (( الباء )) + اسم موصول (( ما )) + فعل (( غير طلبي ))  
مضارع + فاعل (( ضمير )) + مفعول به (( شبه جملة )) :

<sup>(762)</sup> ظ : الصحاح : أذن .

<sup>(763)</sup> الزمر من الآية : ٧٣ .

<sup>(764)</sup> معاني القرآن : الفراء : ٢٤٩/٣ .

<sup>(765)</sup> الكشاف : ٧١٢/٤ .

<sup>(766)</sup> التكوير من الآية : ١٤ .

<sup>(767)</sup> البرهان في علوم القرآن : ١٨٩/٣ .

<sup>(768)</sup> الإتيقان في علوم القرآن : ١٢٧/٢ .

<sup>(769)</sup> ظ : البرهان في علوم القرآن : ١٨٣/٣ ، و ظ : الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، د. فاضل صالح

السامرائي ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ط : ١ (١٩٩٨) : ١١٨ .

<sup>(770)</sup> شرح الرضي على الكافية : ١١٢/٢ .

جاء هذا البناء مرة واحدة في ألفاظ السَّمع في قوله تعالى : ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ) (٧٧١) وقد سبقت هذه الآية تسلية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عما وقع له من المشركين وتهديدهم له ، إذ كانوا يجلسون عنده مظهرين الاستماع وقاصدين الهزء به (٧٧٢) ، ومن أبرز ما يلاحظ في هذا النمط زيادة (( الباء )) وهو عدول عن الأصل فلم يقل : (( يستمعونه ولا يسمعونك لما كان الغرض ليس الإخبار عن الاستماع فقط ، وكان متضمنا أن الاستماع كان على طريق الهزء بأن يقولوا : مجنون أو مسحور جاء الاستماع بالباء والى ليعلم أن الاستماع ليس المراد به تفهم المسموع دون هذا المقصد )) (٧٧٣) ، فكانت (( الباء )) دالة على ارتفاع درجة الاستهزاء بقصد ففرق بين (( سمعت بزيد وسمعت زيدا )) لقصد السَّمع في الأولى والمبالغة في حصول الحدث وتجرد الثاني منها لذا عُدي الفعل بالباء برغم تعديته بنفسه لما قصد معنى آخر للسمع ، ولم يكد المفسرون يتفقون على وظيفة (( الباء )) فتفرقت آراؤهم على ثلاث اتجاهات :

أولا : أنها حال متعلق بمحذوف وهو اتجاه الزمخشري (٥٣٨هـ) إذ قال : (( وبه في موضع الحال ، كما تقول يستمعون بالهزء أي : هازئين )) (٧٧٤) .

ثانيا : أنها بمعنى اللام ، أي : بما يستمعون له (٧٧٥) .

ثالثا : أنها على بابها ، أي : يستمعون بقلوبهم أو بظواهر أسماعهم (٧٧٦) .

ويميل البحث باتجاه التخريج الأول لأن النص مسوق لبيان هيئة سمعهم لا لوصف حقيقته أي الإخبار بالحالية والكيفية وهذا ما يتفق ومقام النص أي : (( نحن

---

(771) الإسراء من الآية : ٤٧ .

(772) ظ : حاشية الصاوي على تفسير الجالين : شرح العلامة الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي ، تح : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط : ٤ : (٢٠٠٦) : ٣٢٢/٢ .

(773) اللباب في علوم الكتاب : ٣٠٢/١٢ .

(774) الكشف : ٦٠٨/٣ .

(775) ظ : اللباب في علوم الكتاب : ٣٠٢/٢ .

(776) ظ : معاني القرآن ، الفراء : ٤٩/٣ .

أعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو الهزء والتكذيب ((<sup>٧٧٧</sup>) ، وقد جاءت جملة (( يستمعون به )) صلة لـ (( ما )) الموصولة فتكون مفسرة وموضحة لإبهام وإجمال الاسم الموصول .

د- اسم موصول (( الذين )) + فعل (( غير طلبي )) + فاعل (( ضمير )) +

مفعول

به + جملة معطوفة :

جاء هذا البناء في قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ اجْتَنَّبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ) (<sup>٧٧٨</sup>) الآية ذات اتجاه تربوي بإقامة وزن لكل مقول وبذا يستقيم سلوك الإنسان ، وفي الآية – أيضا – مدح للمؤمنين بأنهم (( نقادون في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب )) (<sup>٧٧٩</sup>) ويرى المفسرون : إن جملة (( لهم البشري )) جرت مجرى العام وافتقدت لقصد الإيضاح لذا احتيجت لمخصص يخصص عمومهما فأردفها (( بكلام يجري مجرى التفسير والشرح فقال تعالى : ( فَبَشِّرْ عِبَادِ ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ) وأراد بعبارة الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه : الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وهذا يدل على رأسالسعادات )) (<sup>٧٨٠</sup>) وأجد : أن (( الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه )) لم يكن تركيبا كاشفا لمضمون البشري فحسب إنما كان كاشفا عن تحقق النتيجة وهي اجتنابهم عبادة الطاغوت والإنابة أي إن: اتباعهم حسن القول سبب لاجتنابهم عبادة الطاغوت وطريق للإنابة ، فيكون تركيب (( الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه )) مسهم بوظيفتين بيانيتين مزدوجتين أولهما : أنه تركيب مفسر لإبهام الجملة التي قبله وموضح لها (<sup>٧٨١</sup>) والآخر : أنه سبب لوقوع النتيجة الأولى (( فالمقصود من هذا اللفظ التنبيه

(<sup>777</sup>) التفسير الكبير :مج: ١٠ ، ٢٠ / ٢٢٤ .

(<sup>778</sup>) من الزمر : ١٧ و ١٨ .

(<sup>779</sup>) روح المعاني :مج: ٨ ، ١٢ / ٢٤٢ .

(<sup>780</sup>) التفسير الكبير :مج: ١٣ ، ٢٦ / ٢١٦ .

(<sup>781</sup>) ظ : اللباب في علوم الكتاب : ١٦ / ٤٩٣ ، والدر المصون : ٦ / ١١ .

على أن الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا هم الموصوفون بأنهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ((<sup>(٧٨٢)</sup> وقد غاير التعبير القرآني الأصل بوضع الظاهر (( عباد )) موضع الضمير (( هم )) لمقاصد عليا ، أما إرادة معنى التخصيص بتقييد جزاء البشارة بالذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا، لا غير (<sup>(٧٨٣)</sup> وعندئذ لا يدخل استماعهم ضمن علل استحقاقهم البشارة ، أو أنها حققت جمالا دلاليا وذلك بالاحتراز عن تفكيك النظم فكما يستمعون البشارة لأنابتهم واجتنابهم يستمعونها أيضا لكونهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه فلو قيل (( فبشرهم )) لفهم استحقاقهم للبشارة لأجل اجتنابهم وإنابتهم فلما غاير بالوضع فهم أن الاستحقاق لأجل الأوصاف الثلاثة بمجموعها (<sup>(٧٨٤)</sup> ، وهناك من رأى : أن بغير العدول قصر للسعادة على الصفتين الأوليتين (( الاجتناب والإنابة )) وبذلك تقصر البشرية على فئة قليلة وهو لا يتلائم مع مطلق الرحمة الإلهية فالعدول جعل الحكم مطلقا ليستوعب أكبر احتمال (<sup>(٧٨٥)</sup> .

هـ- حرف عطف (( ثم )) + فعل ماضٍ + فاعل (( ضمير )) + جملة معطوفة

:

ضُمَّنْ هَذَا الْبِنَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ( وَحَسْبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ) (<sup>(٧٨٦)</sup> ويبدو جليا حسن توظيف أحرف العطف ودقة استعمالها على وفق متطلبات المعنى الذي فرض استعمال حرف عطف دون آخر إذ قال ابتداء : (( فعموا وصموا )) ثم أوردتها بالتركيب نفسه سوى مغايرة حرف العطف بـ (( ثم )) إذ قال : (( ثم عموا وصموا )) فهما وإن اشتركا بوحدة الوظيفة الإعرابية بيد أنهما مفترقان في دلالتهما الجزئية (( فالفاء )) تقيد الترتيب والتعقيب والسببية غالبا في حين تدل (( ثم )) على التشريك في الحكم والترتيب والمهلة (<sup>(٧٨٧)</sup> ،

(782) التفسير الكبير : مج ١٣ ، ٢٦١/٢٦ .

(783) ظ : حاشية محيي الدين شيخ زاده : ٢٣٩/٧ .

(784) ظ : حاشية محي الدين شيخ زاده : ٢٣٩/٣ .

(785) ظ : من بلاغة القرآن : ٣٤ .

(786) القصص من الآية : ٥١ .

(787) ظ : الإتقان في علوم القرآن : ١٧٢/٢ .

وقد دلت الفاء هنا على معنى التعقيب لأن عماهم وصممهم نتيجتان أعقبنا عدم حسابانهم أنها فتنة ، في حين أفادت (( ثم )) معنى المهلة والتراخي – كما يدل السياق- ف جاء كل حرف بما ينسجم وطبيعة المعنى نفسه فالعطف بـ(( الفاء )) دلّ على (( أنهم عقيب الحسين حصل لهم العمى والصمم من غير تراخ ))<sup>(٧٨٨)</sup> وليس المعنى كذلك حينما عطف بـ(( ثم )) ، وتبرز ظاهرة أخرى في قصدية إسناد الأفعال إذ أسند الفعلين لهم في هذا الموضع بخلاف قوله تعالى : ( فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ )<sup>(٧٨٩)</sup> وعلّة المغايرة تكمن في أن الاستعمال الأول اختص فيمن (( لم يسبق له هداية واسند الفعل الحسن لنفسه في قوله (( ثم تاب الله عليهم )) وعطف قوله : (( ثم عموا )) بحرف التراخي دلالة أنهم تمادوا في الضلال إلى وقت التوبة ))<sup>(٧٩٠)</sup> لأن سياق الآية في سورة ( محمد ) هو الذي فرض نمطية اختيار جهة الإسناد لأنهم أظهروا الشك في قدرة الله فردت بطلان دعوتهم بأنه متمكن من عميهم وصممهم لذا أسند الفعلين له كمظهر من مظاهر قدرته ، في حين أن السياق في (( التوبة )) مختلف لأنهم آثروا العمى وأحبوا الصّم كمظهر من مظاهر كفرهم لذا أسند الفعلين لهما ، واختلف المفسرون في (( الواو )) التي اقترنت بالفعلين عموا وصمو فرأى بعضهم أنها علامة للجمع كتاء التأنيث في (( امت هند )) وهي جارية في المثني والجمع التي تلحق الفعل المسند إلى الظاهر ولا يرى الجمهور ذلك<sup>(٧٩١)</sup> ، ورأى آخرون : بأنها ضمير عائد على المذكورين العائدة عليهم واو (( حسبوا )) و (( كثير )) بدل من هذا الضمير<sup>(٧٩٢)</sup> ، في حين رأى فريق ثالث ما رآه الثاني بيد أن الفارق بينهما أن الضمير في الوجه الثاني مفسر بما قبله وهم بنو إسرائيل ، أما هنا فمفسر بما بعده وهو أحد المواضع التي يفسر فيها الضمير بما بعده وهو أن يبذل منه ما يفسر<sup>(٧٩٣)</sup> ، ورأى بعضهم أن (( كثير منهم

<sup>(788)</sup> اللباب في علوم الكتاب : ٤٥٧/٧ .

<sup>(789)</sup> محمد من الآية: ٢٣ .

<sup>(790)</sup> اللباب في علوم الكتاب : ٤٥٧/٧ .

<sup>(791)</sup> ظ : شرح ابن عقيل : ٨١/٢ .

<sup>(792)</sup> ظ : معاني القرآن : الفراء : ١١٧/١ .

<sup>(793)</sup> ظ : مشكل إعراب القرآن : ١٧٠ .



منهم)) مبتدأ وخبره (( عموا و صموا )) أي : كثير منهم عموا و صموا على ظاهرة تقديم الخبر وتأخير المبتدأ<sup>(٧٩٤)</sup> .

رابعا : التوكيد :

التوكيد : (( لفظ يراد به تثبيت المعنى في النفس وإزالة اللبس عن الحديث والمحدث ))<sup>(٧٩٥)</sup> رغبة من المنشئ في دفع الشك وتعميق المعنى فيعلق ذلك الخبر في النفس فضلا عن دقة مأخذه وكثرة فوائده<sup>(٧٩٦)</sup> ، وتختلف مستويات التوكيد بحسب نوع المخاطب فإن كان مترددا أكد بمؤكد وإن كان منكرا وجب توكيده بأكثر من مؤكد<sup>(٧٩٧)</sup> ، لأن (( الغرض الأساس من استعمال التوكيد هو تأكيد المؤكد وأبعاد الشك واللهو والنسيان والغلط ))<sup>(٧٩٨)</sup> ، وقد راعى النص القرآني تلك المستويات (( فهو في غاية الدقة في اختيار الألفاظ المؤكدة في وضعها الموضع المناسب بحسب طريقة متينة مقننة ))<sup>(٧٩٩)</sup> على وفق ضوابط (( مقامية ومقالية )) فهو (( يؤكد في موطن ما مراعى موطننا قرب أو بعد فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيها به لانعدام موجهه ))<sup>(٨٠٠)</sup> فضلا عن مراعاته نوع التوكيد وأدواته ، وبدا هذا في توكيد ألفاظ السَّمع على الترتيب الآتي :

أ- إن + اسمها + خبرها (جملة إسمية) :

---

(794) ظ : إعراب القرآن : المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق ودراسة : إبراهيم الأبياري ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة ، (د.ت) : ١٨٣/١ .

(795) شرح جمل الزجاجي : ٢٦٢/١ ، واللمع في العربية : ١٤٨ .

(796) ظ : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن علي بن إبراهيم العلوي البمني ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، (١٩٨٢) : ١٧٦/٢ .

(797) ظ : أساليب التوكيد في القرآن الكريم : عبد الرحمن المطردي ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان - ليبيا ، (١٩٨٦) : ١٢-١٣ .

(798) ظ : أساليب التوكيد في القرآن الكريم : ١٤ .

(799) التعبير القرآني : ٦١ .

(800) التعبير القرآني : ٦١ .

ورد هذا النمط ثماني مرات <sup>(٨٠١)</sup> منها قوله تعالى : ( وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) <sup>(٨٠٢)</sup> فلما كان سياق الآية في القتال ونصرة المؤمنين اقتضى المقام أن يؤكد مضمون الجملة بـ(( أن )) لاختصاصها بتوكيد معنى الجملة وتحققه <sup>(٨٠٣)</sup> فضلا عن نفي الشك بها أو حصول الإنكار بها مع توكيد نسبتها <sup>(٨٠٤)</sup> ، وقد جاء التوكيد ليوطد مبدأ الإيمان بالنصر ، فيكون التوكيد شاحدا لهممهم وصاقلا لقلوبهم مما علق بها من أدرا ن الشك فإذا كان الله سميعا بهم عليما بأحوالهم فلا قدرة قاردة على خذلانهم لأنه (( يسمع استغاثتكم ويعلم حالكم ، ويجعلكم ستارا لقدرتة ، حتى علم منكم الخلوص )) <sup>(٨٠٥)</sup> ففرق بين شعور المؤمن المقاتل بتوكيد المدد والامداد له بسمع الله وعلمه وعدمها لأنه تفاوت على مستوى الإنجاز فمقصد قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) (( أنه سميع دعاء من يدعوه ويعلم ماله من المصلحة فيجيبه )) <sup>(٨٠٦)</sup> ، وفي موضع آخر حشد التعبير المقدس مؤكدين تناغما مع طبيعة الحدث كقوله تعالى : ( إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافُنْمُ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ) <sup>(٨٠٧)</sup> فالحدث هنا هو الذي طلب مؤكدين فحراجة موقف المسلمين في هذه الآية إذ هم في العدو الدنيا والركب من أسفلهم محيط بهم وعلى نقيض من هذا موقف المشركين فعندئذ تكون هواجس الفشل وملاحم الهزيمة تراودهم لذا أتى بـ(( إن واللام )) لترتفع عندهم درجة الإيمان فالقصد في اختيار هذا التركيب

<sup>(801)</sup> الايات : (( البقرة : ١٨١ ، ٢٢٤ ، الأنفال : ١٧ ، ٥٣ ، الحج : ٦١ ، سبأ : ٥٠ ، الحجرات : ١ ،

المجادلة : ١ )) .

<sup>(802)</sup> الأنفال من الآية : ١٧ .

<sup>(803)</sup> ظ : المفصل في صنعة الإعراب : ٣٧٧ .

<sup>(804)</sup> ظ : أوضح المسالك : ٢٣٧/١ .

<sup>(805)</sup> في ظلال القرآن : مج ١ / ٣ / ١٤٩٠ .

<sup>(806)</sup> التبيان في تفسير القرآن : ١١١/٥ - ١١٢ .

<sup>(807)</sup> الأنفال من الآية : ٤٢ .

التوكيدي ينسجم مع أفق الحدث وطبيعته في حين لم يكن المسلمون في الآية الأولى بهذا الحال فاقتضى كل موضع نوعاً من التوكيد .

ب- إنَّ + اسمها + خبرها (( جملة فعلية )) :

ورد هذا التركيب ثلاث مرات <sup>(٨٠٨)</sup> ، كقوله تعالى : ( وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ) <sup>(٨٠٩)</sup> ، فبعد نفي المساواة بين الصنفين أرففه بقوله (( إن الله يسمع من يشاء )) مبتدئاً جملة بأداة التوكيد (( إنَّ )) لتعميق الإيمان بما يليها من مضمون وهو إسماعه من يشاء والسمع هنا بمعنى الإيمان <sup>(٨١٠)</sup> ، وربما أفادت (( إنَّ )) توكيد النفي قبلها فالحي يستلزم أن يكون سامعاً وبخلافه الميت لأن (( إنَّ )) ترتبط بما قبلها ، وتأتلف معه حتى يفرغ الكلام إفراغاً واحداً ويسبك بعضه في بعض <sup>(٨١١)</sup> ، وإنما اختار البناء الفعلي ليدل على استمرار سماعه وتجده وإنه مطلق وليدل - ربما - أن سَمَعَ الأصوات ممكن إذا توفرت مناسبات الاستجابة ، بل مؤكداً أنه قادر على إسماع من يشاء سواء أكان مختوماً على قلبه أم لا وقد أفاد البناء الفعلي الخبري جزءاً من ذلك ، من هنا ندرك السر في استعمال الخبر جملة فعلية مؤكدة لتثبت (( أن إسماع القبول مما استأثره الله تعالى فلذا صدر بأنَّ وذكر الاسم الأكرم وللتنبيه من أول الأمر على أن الحصر المستفاد من قوله (( وما أنت بمسمع من في القبور )) بالنسبة إليه تعالى لا بالنسبة إلى جميع ما عداه )) <sup>(٨١٢)</sup>

ج- إنَّ + اسمها (( معرفاً )) + ضمير الفصل + خبرها (( معرفاً )) :

<sup>(808)</sup> الآيات : (( النحل : ٨٠ ، فاطر : ٢٢ ، الجن : ٢٩ )) .

<sup>(809)</sup> فاطر من الآية : ٢٢ .

<sup>(810)</sup> ظ : بصائر ذوي التمييز : ١٠٥/٤ .

<sup>(811)</sup> ظ : التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم : د. رابع بو حوش ، مكتبة الآداب - القاهرة ، ط : ١

(٢٠٠٦) : ٥٥ .

<sup>(812)</sup> حاشية القونوي : ٥١-٥٠/١٦ .

ورد هذا البناء سبع مرات (٨١٣) ، وقد بثّ ضمير الفصل مفصلاً دلالياً اتسق ومقام الآية وتضاعيف سياقها كقوله تعالى : ( وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) (٨١٤) وبمقاربة الآية : ( وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ) (٨١٥) يتضح أن المقام مسلط على جحد علمية الله (( فلما أثبتوا لله سبحانه قليل العلم ونفوا عنه كثيره فاقتضى ذلك أن يبين لهم أنه هو المختص بالعلم الكامل والسمع الكامل فجاء بالصيغتين معرفتين للدلالة على الكمال بالوصف وجاء بضمير الفصل للدلالة على قصر هاتين الصفتين عليه سبحانه وبيان أن ما عداه لا يعلم ولا يسمع إذا ما قيس بعلمه وسمعه )) (٨١٦) ، ولو أوردتهما نكرتين لضعف ذلك الأفق الدلالي ، لأن كل من ملك سمعا وعلما يصح أن يوصف بأنه سميع عليم ، ولكن يمتنع أن نطلق عليه (( السميع العليم )) لاختصاصهما بالمنزلة الإلهية ، جاء في (( ملاك التأويل )) أنه (( لما تقدّم قوله تعالى : ( أَرْنَا الدَّيْنَ أَضْلَانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ) (٨١٧) دلّ على أن مضلهم كان من عالم الجن والإنس ، وكلا الجنسين موصوف بالسمع والبصر مما ينسب إليه علم فلما تقدمت في سورة السجدة (٨١٨) ما يظهر الغناء ويمكن أن يسمع ويبصر ويعلم ناسبه التعريف في الصفة ليعطي بالمفهوم نفي ذلك من غير الموصوف بهما تعالى ثم أكد ذلك بضمير الفصل المقتضي للتخصيص ليقوي المفهوم )) (٨١٩) وقد قام (( ضمير الفصل )) بدور المميز بين وظائف الجملة الإسنادية إذ قضى أن (( السميع )) خبر لا

(813) الآيات : (( الدخان : ٦ ، فصلت : ٣٦ ، آل عمران : ٣٥ ، الأنفال : ٦١ ، الإسراء : ١ ، الشعراء :

٢٢ ، فاطر : ٢٢ )) .

(814) فاطر من الآية : ٢٢ .

(815) فصلت من الآية : ٢٢ .

(816) التعبير القرآني : ١٧٥ .

(817) فصلت من الآية : ٢٩ .

(818) يعني فصلت .

(819) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه متشابه اللفظ في أي التنزيل : لأبي جعفر أحمد

الزبير الغرناطي ، تح : د. محمد كامل أحمد ، دار النهضة العربية - بيروت ، ط : ١ (١٩٨٥) : ١/٤٥٢ -

نعت فضلا عن إفادته معنى التوكيد<sup>(٨٢٠)</sup> ، ولولا الفصل لتوهم أن (( السميع )) نعتٌ وليس بخبر يقول الخليل (١٧٠هـ) (( والله أنه العظيم جعلهم )) (( هو )) فصلا في المعرفة وتصيرهم إياها بمنزلة (( ما )) إذا كانت (( ما )) لغوا<sup>(٨٢١)</sup> فضلا عن إفادته (( قصر جنس المعنى على المخبر عنه ، اما للمبالغة وأما على دعوى أنه لا يوجد إلا فيه ))<sup>(٨٢٢)</sup> – إذن – فقد حشدت ثلاث أدوات توكيدية التي ألحت عليها ظروف النص ، فابتدأ بـ (( أن )) المؤكدة لمضمونها ، ثم ضمير الفصل لإفادة قصر الصفة على الموصوف ، ثم اللام التي اقترنت بالمبتدأ والخبر إمعانا في معنى التثبيت ، ومنه قوله تعالى : ( فَتَوَلَّ مِئِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ )<sup>(٨٢٣)</sup> وإنما أكد بضمير الفصل والألف واللام لإفادة معنى الجنسية<sup>(٨٢٤)</sup> أي : استغراقه وشموله لكل ما يسمع وقصر الخبر على المبتدأ وتخصيصه له أي : لا سامع إلا الله كما أنه لا عليم إلا هو ، ثم أن ضمير الفصل وأداة التعريف أطلقت الزمن لتصبح الحدود الزمنية للجملة صفرا<sup>(٨٢٥)</sup> ، فإن قولها (( إنك أنت السميع العليم )) سمعا ممتدا لا حد له وذلك ربط الخبر بالمبتدأ .

ثانيا : التوكيد بالقصر :

القصر (( تخصيص أمر بطريق مخصوص ، ويقال أيضا إثبات الحكم للمذكور ونفية عما عداه ))<sup>(٨٢٦)</sup> وقد تضمنت ألفاظ السمع صورا من التوكيد بالقصر هي :

<sup>(820)</sup> ظ : التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم : ٥٥-٥٧ ، ومن قضايا اللغة : من قضايا اللغة:تأليف

الاستاذ الدكتور مصطفى النحاس، مطبوعات جامعة الكويت، ط: ١ (١٩٩٥): ١٤ .

<sup>(821)</sup> الكتاب : ٣٩٧/٢ ، و ظ : همع الهوامع : ٢٤١/١ ، ومن قضايا اللغة : ١٤ .

<sup>(822)</sup> من قضايا اللغة : ١٩ .

<sup>(823)</sup> آل عمران من الآية : ٣٨ .

<sup>(824)</sup> ظ : من قضايا اللغة : ٢٢ ، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٧١ .

<sup>(825)</sup> ظ : من قضايا اللغة : ٢٧ .

<sup>(826)</sup> الإتيقان في علوم القرآن : ١٩٤/٢ .

أ- القصر ب(( إنما )) :

ورد هذا النوع مرة واحدة في قوله تعالى : ( إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ )

(٨٢٧)

ف(( إنما )) كتلة لغوية واحدة تفيد التوكيد تدخل على الجملة الإسمية كما تدخل على الجملة الفعلية (٨٢٨) ، وهي مكونة من (( إن )) وهي حرف توكيد الذي تؤكد به الجملة الإسمية و (( ما )) وهي الاسم النكرة التامة المبهمة (٨٢٩) ، وقد دخلت هنا على الجملة الفعلية لقصر فعل الاستجابة على الذين يستمعون ونفي ما عداهم البتة ، وقد جرت الآية مجرى الجواب لقوله تعالى : ( وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ) (٨٣٠) ، وهي بالوقت نفسه تمييز بين فئتين : فئة تسمع فتستجيب وفئة تسمع فلا تستجيب أما الفئة الأولى فهم الأحياء والفئة الثانية الأموات وإنما ميّزا ب(( إنما )) المفيدة للاختزال فهي (( وسيلة مؤدبة مؤثرة معا ، فضلا عن إيجازها ، أما أنها مؤدبة فأنها تصل إلى الغرض من غير أن تذكر الطرف المقابل ، ومؤثرة من ناحية أنها توحى بأن ترك التصريح بما يخالف ما أثبتته هو من الواضح بمكانة ، كما أن الاكتفاء بالمثبت يوحي بأنه لا يليق أن يوازن بين ما ثبت وما نفي )) (٨٣١) وبذلك تتحقق مزية الاختزال اللفظي ، فإنه لعدم ذكرهم تجاهل لهم والاقتصار على الذين يسمعون إعلاء لشأنهم ، فضلا عن وظيفتها في زيادة توكيد المعنى قوة ووضوحا (٨٣٢) ، فإن (( معنى )) (( إنما )) إثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه )) (٨٣٣) وأرى : أنها فضلا عن إفادتها تلك الدلالات في النص ، فإنها أفادت معنى المدح لهم

(827) الأنعام من الآية : ٣٦ .

(828) ظ : التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم : ١٣٣ .

(829) ظ : نحو المعاني : د. أحمد عبد الستار الجواري ، المجمع العلمي العراقي - بغداد ، (١٩٨٧) : ١٣٣ .

(830) الأنعام من الآية : ٣٥ .

(831) من بلاغة القرآن : ١٦٠ .

(832) ظ : م.ن : ٢٠٧ .

(833) ظ : لسان العرب : أنن .

والثناء عليهم وأن ما بعدها قيد موضح وعنصر لفظي كاشف لما أبهم قبلها لأن القصر  
بـ (( إنما وما شابهها إبهام وعموم يتلوه توضيح وتخصيص )) (٨٣٤).

ب- مبتدأ + ضمير الفصل + خبر :

لم يرد هذا البناء إلا مرة واحدة في قوله تعالى : ( قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا  
لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) (٨٣٥) ، إذ خصصت صفة (( السميع  
)) بلفظ الجلالة واقتصرت عليه فضلا عن صفة العلم مع إفادة معنى التوكيد لأن إحدى  
وظائف ضمير الفصل (( إن يدعم به الكلام ، أي يقوي به ويؤكد والتوكيد من فوائد  
مجيبه )) (٨٣٦) فضلا عن تخصيص أن ما بعدها خبرا لا نعتا (٨٣٧) ، بمعنى أدق : أنه  
ذو وظيفة مزدوجة فضلا عن تمييزه بين الخبر والنعت فإنه يؤكد النسبة ويفيد  
اختصاص المسند بالمسند إليه (٨٣٨) ، وقد ارتفعت دلالة التأكيد هنا عندما عُرِّف طرفا  
الإسناد (( الله والسميع العليم )) فدل على معنى الاختصاص والقصر ، لأن طرفي  
الإسناد إذا عُرِّفا وفصل بينهما بضمير الفصل تحققت دلالة التأكيد ، وقد شبه الرضي  
الاسترابادي (٦٨٨ هـ) (( أل التعريف )) الداخلة على الخبر بـ (( إلا )) فقله (( والله  
هو السميع العليم )) بعني لا سميع ولا عليم إلا الله ، وإنما اختار النص هذا البناء كرد  
قوي فيكون التوكيد بهذا البناء أفاد دلالة التقرير بالهيته وحده فتكون الجملة تذييلية  
مقررة لمضمون ما قبلها من إنكار العبادة من دون الله إنكارا توبيخيا وتهديدا عظيما  
(٨٣٩).

ثالثا : التوكيد بـ (( قد )) :

(834) نحو المعاني : ١٣٥ .

(835) من المائدة من الآية: ٧٦ .

(836) من قضايا اللغة : ٢٢ .

(837) م.ن : ١٩ .

(838) ظ : أساليب التوكيد في القرآن الكريم : ٣٤٩ .

(839) ظ : حاشية القونوي : ٥٣٠/٧ .

ورد هذا التوكيد مرتين في بيبة ألفاظ السَّمع ، اما الأول ففي قوله تعالى : ( لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ) (٨٤٠) فـ (( قد واللام )) أداتان مفيدتان للتوكيد مزيلتان للشك (٨٤١) ، أما (( اللام )) فإنها تدخل على المضارع والمبتدأ من دون الماضي لبعده عن مضارعه الاسم ، فإذا دخله ( قد ) كثر دخول (( اللام )) عليه ، لأن ( قد ) تصير الماضي كالمضارع بتقريبه من الحال مع تناسب معنى (( اللام وقد )) فكلاهما مفيد للتوكيد (٨٤٢) ، وقد تعاضد توكيدان على تثبيت مضمون الجملة وعندئذ يقوى مستوى التوكيد فضلا عن إفادة معنى التحقيق في وقوع الفعل إذ دخلت على بناء ماض (٨٤٣) ، وطبيعة المعنى هي التي دعت لهذا الجنس من البناء التوكيدي لأن الآية بمقام إسقاط ما ادعوه وتوبيخهم على فساد الاعتقاد فيكون أسلوب التوكيد زاجرا لهم بعد أن ظنوا أمرين أولهما : اعتقادهم بقصر سمعه عنهما وعدم علمه بما يتناجون به ، والأخرى : اعتقادهم بفقره وغناهم عنه ، الأمران تطلبا حشد طاقة توكيدية لبطلان ما ادعوه لذا استعمال السَّمع هنا (( كناية تلويحية عن الوعيد لأن السماع لازم العلم بالمسموع وهو لازم الوعيد في هذا المقام فهو سماع ظهور وتهديد لا سماع قبول ورضا ... وإنما عبر عن ذلك بالسماع للإيذان بأنه الشناعة والسماجة بحيث لا يرى قائله بأن يسمعه سامع ولهذا أنكروه ولكون إنكارهم القول بمنزلة إنكار السَّمع أمده تعالى بالتوكيد القسمي )) (٨٤٤) أما الموضع الثاني فقد جُرِّدَتْ فيه (( قد )) من (( اللام )) وذلك في قوله تعالى : ( قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ ) (٨٤٥) فـ (( قد )) هنا فضلا عن إفادتها معنى التأكيد فإنها تأتي (( تصديقا أو تأكيدا لخبر أو فعل منتظر الوقوع )) (٨٤٦) لأن تلك الزيجة توقعت الإجابة ،

(840) آل عمران من الآية : ١٨١ .

(841) ظ : شرح المفصل : ٢٥/٩ .

(842) ظ : شرح كافية ابن الحاجب : ٣٣٨/٢ .

(843) ظ : الإتيان في علوم القرآن : ١٧٥/٢ .

(844) روح المعاني : مج ٢ ، ٣٥٤/٢ .

(845) المجادلة من الآية : ١ .

(846) أساليب التأكيد في اللغة العربية : ١٣٢ .



فتركيب (( قد فعل )) يفيد إثبات ما كان متوقعا أن يكون منفيًا يقول سيبويه (١٨٠هـ) (( أما قد فجواب لقوله (( لما يفعل )) فتقول : (( قد فعل )) لأنه إيجاب لما نفاه ، وذلك ان المخبر إذا أراد أن ينفي والمحدث ينتظر الجواب قال : (( لما يفعل )) وجوابه : (( قد فعل )) لأنه إيجاب لمانفاه ))<sup>(٨٤٧)</sup> فإن (( قد )) هنا دلت على إثبات المتوقع إذ أدخلت على الماضي ، فأفرزت دلالة التوقع المؤكد ، ويلحظ أن التركيب المح إلى معنى البشارة وفي ذلك مبعث للاطمئنان .

سادسا : النفي :

وهو (( باب من أبواب المعنى يهدف به المتكلم إلى إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضده وتحويل معنى ذهني فيه الإيجاب إلى حكم يخالفه إلى نقيضه ))<sup>(٨٤٨)</sup> ، ويتحقق بأدوات النفي وكذلك بالفعل ، وقد لاحظ البحث ارتفاع قصدية الاختيار لأدوات النفي مما يدل على إعجاز قرآني جديد ، ويمكن تصنيف أنماط النفي بالآتي :

أ- أداة النفي ( لا ) + فاعل ( ضمير ) + مفعول به :

ورد هذا البناء إحدى عشرة مرة<sup>(٨٤٩)</sup> ، من ذلك قوله تعالى : ( يَعْقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً )<sup>(٨٥٠)</sup> وقد وظف حرف النفي ( لا ) لميزته في تعميق دلالة النفي ، إذ يمتد معنى النفي فيها بامتداد النفس لمشاكله الألفاظ للمعاني ، وقد جانس الاختيار مقام الآية فهو لاء لم يستطيعوا أن يفعلوا مسامعهم فهم بذلك كالأنعام لا تعي من الأصوات دلالتها وإنما تسمع ظاهرها ، ويجوز أن يكون المراد بهذا الوصف الأصم الأصلح الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته إلا نداء التصويت من غير فهم الحروف ، وقيل معناه : مثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدكم كمثلهم البهائم لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم وقيل معناه : مثلهم

(847) الكتاب : ١١٣/٢ ، و ظ : شرح المفصل : ١٤٧/٢ ، ومغني اللبيب : ١٧١/١-١٧٥ .

(848) أسلوبا النفي والاستفهام في العربية في منهج وصفي في التحليل اللغوي : د. خليل أحمد عميرة : ٥٦ .

(849) الآيات : (( الزخرف : ٨٠ ، البقرة : ١٧١ ، الأنبياء : ٤٥ ، الأعراف : ١٧٩ ، مريم : ٦٢ ، الأنبياء :

١٠٢ ، الواقعة : ٢٥ ، النبأ : ٣٥ ، النحل : ٨٠ ، الروم : ٥٢ ، الصافات : ٨ )) .

(850) البقرة من الآية : ١٧١ .

في دعائهم الأصنام كمثل الناقع بما لا يسمع<sup>(٨٥١)</sup> ، وإيا كان المقصد فإن الآية وظفت ( لا ) لتناسب تلك الدرجة من الضلال ، بل أن هذا الوصف كان لسلوك ووقفت عنده الآية التي قبلها : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ )<sup>(٨٥٢)</sup> فكان هذا السلوك مسوغاً لوصفهم بالأنعام التي لا تفقه إلا صوت ناعقها ، فكان ذلك الوصف منتهى الردع ومبلغ الزجر .

ب- أداة النفي ( ما ) + فعل ( غير طلبي ) + فاعل + مفعول به :

توزع هذا البناء في بنية ألفاظ السَّمْع ثلاث مرات<sup>(٨٥٣)</sup> ، ومنه قوله تعالى : ( وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ )<sup>(٨٥٤)</sup> ولم يكن اختياره لـ ( ما ) اختياراً معزولاً عن القصدية إما جاء متوائماً مع الاتجاه الدلالي يقول سيبيويه ( ١٨٠ هـ ) : (( وإذا قال ( لقد فعل ) فإن نفيه ( ما ) قد فعل )) لأنه كأنه قال : (( والله لقد فعل )) فقال : (( والله ما فعل ))<sup>(٨٥٥)</sup> فتخصيص سيبيويه لـ ( ما ) كأداة نفي لما تنماز به من ضخ إحياءات أخرى وقدرتها على اختزال وظائف أدوات النفي لذا هي أكد من ( لم ) في معنى النفي<sup>(٨٥٦)</sup> ، ومقتضى كلام سيبيويه ( ١٨٠ هـ ) أن فيها معنى التأكيد على النفي لأنه جعلها جواباً لـ ( قد ) في الإثبات فكما أن ( قد ) فيها معنى التأكيد فكذلك ( ما ) إذ جعلت جواباً لـ ( قد )<sup>(٨٥٧)</sup> ، وتأسيساً على هذا نؤمن بقصد اختيار ( ما ) فلما كان مستوى جحودهم لنبوة نوح عال نفوا إيمانهم بذلك نفياً قطعياً لـ ( ما ) فضلاً عن أن (( ما سمعنا بهذا يدل على أنهم وآباؤهم كانوا في فترة متطاوله ، وتلدنوا في ذلك لانهماكهم بالغي ، وتشعرهم أن يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما عن لهم ، ومن غير تمييز

<sup>(851)</sup> ظ : الكشاف : ٢١٢/١ و ظ : التفسير الكبير : ٣ ، ٨/٥-٩ .

<sup>(852)</sup> البقرة من الآية : ١٧٠ .

<sup>(853)</sup> الآيات : (( المؤمنون : ٢٤ ، القصص : ٣٦ ، ص : ٧ )) .

<sup>(854)</sup> المؤمنون من الآية : ٢٤ .

<sup>(855)</sup> الكتاب : ٤٦٠/١ .

<sup>(856)</sup> ظ : معاني النحو : ١٢٧/٣ .

<sup>(857)</sup> ظ : الإتيان في علوم القرآن : ٢٠١/٢ .

منهم بين صدق وكذب))<sup>(٨٥٨)</sup> ، لذا كان نفيهم مختزلا كل الأزمان لأن (( مثل هذا الكلام يقع دائما عندما يطمس التقليد على حركة الفكر وحرية القلب ، فلا يتدبر الناس ما هو بين أيديهم من القضايا ليهدتوا في ضوء الواقع إلى حكم مباشر عليها ))<sup>(٨٥٩)</sup> بدليل أنهم أتوا بالمنفي أسم الإشارة (( بهذا )) لتندرج تحت هذا اللفظ كل احتمالات أقوال نوح (عليه السلام) إذ أرادوا نفيه على نحو الاستغراق بكل فعل وقول ، فيكون النص القرآني قد أحسن الاختيار كما أحس التوظيف بين ( ما ) على تأكيد النفي وبين (( بهذا )) المستغرق لكل جنس المنفي لفرط غلوهم في التكذيب والعناد .

ج- ( إن ) + اسمها ( ضمير ) + خبرها ( جملة فعلية منفية )

ورد هذا البناء مرة واحدة في قوله تعالى : ( فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ )<sup>(٨٦٠)</sup> ، نلاحظ ان النص اعتمد التابع في إيراد الأوصاف الثلاثة وهي (( الصم ، الموتى ، الأدبار )) ليحكي بوساطتها حالة الاستغلاق والتعالي المفرطين ، والإعراض المطلق والتبئيس الممتد ، وإرشاد الميت أصعب لأنه يسمع الكلام وإنما أتى بوصفهم بالموتى نقلا واقعيا لحالهم ومستوى استكبارهم<sup>(٨٦١)</sup> ، فضلا عن أن الأصم لا سبيل لإسماعه فكيف لو كان مول مدبر فعندئذ تكون فرصة إسماعه أصعب بكثير .

ح- أداة النفي ( إن ) + فعل مضارع + فاعل ( ضمير ) + أداة استثناء ( إلا )

+ مفعول به :

ورد هذا المبني بموضع واحد في قوله تعالى : ( إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ )<sup>(٨٦٢)</sup> ، إذ نفي الفعل ( تسمع ) بـ ( إن ) لمضارعتها ( ليس ) فتأخذ أحكامها كلها إن عملت بما بعدها ، ولعل أهم ما تنماز به دلالتها نفي الخبر في الزمن

<sup>(858)</sup> التبيان في تفسير القرآن : ١١٠/٣ ، و ظ : في ظلال القرآن : ٤ ، ٢٤٦٤/٨ .

<sup>(859)</sup> في ظلال القرآن : مج ٤ ، ٢٤٦٤/٨ .

<sup>(860)</sup> الروم من الآية : ٥٢ .

<sup>(861)</sup> ظ : اللباب في علوم الكتاب : ٤٢٨/١٥ .

<sup>(862)</sup> الروم من الآية : ٥٣ .

الحالي عند الإطلاق<sup>(٨٦٣)</sup> ، إلا إذا اقترن سياقها بقرينة تحدد إطارها الزمني الذي ينتمي إليه الخبر فإن وجدت لزم الأخذ بمداهما<sup>(٨٦٤)</sup> ويكون معنى النفي دائرا بأفقهها ، وتدل على معنى النفي عملت أم أهمل عملها ، كما في الآية الشريفة ، ولما كانت البنى القرآنية قائمة على القصد الاستعمالي لمسنا قصد اختيار ( إن ) بهذا الموضع لنفيها المتعدي حدود الزمان ، وبتلك الميزة الاستعمالية تخفيفا على النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بأنك يا محمد لا يمكن أن تغير مسار سلوك ليس للإيمان به محطة فلما كان المدعو بهذا المستوى من الضلال اختار لهم معادلا بنائيا مستوعبا لذلك المستوى ليكون سياق الآية أدل على معناه ، ثم إن (( لا تُسمع )) جاءت كنتيجة لمقدمات ساقها النص (( فلما نفي استماع الميت والأصم وأثبت استماع المؤمن بآياته لزم أن يكون المؤمن حيا سمعيا وهو كذلك لأن المؤمن ينظر في البراهين ويسمع زواجر الوعظ ))<sup>(٨٦٥)</sup>

## المبحث الثاني

### بناء دلالة السَّمع في الأسلوب الإنشائي

لا يريد البحث الوقوف عند مفهوم الإنشاء فقد أفاضت به كتب البلاغة، واكتفي هنا بالإحالة للمستزيد<sup>(٨٦٦)</sup> ، والإنشاء نوعان :

طلبية : وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ، وغير طلبية الذي لا يستدعي مطلوبا ولم ترد ألفاظ السمع فيه ، في حين جاءت ألفاظ السمع على الطلبية كالاتي :

اولا- الأمر : وهو : طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام<sup>(٨٦٧)</sup> ، وعلامته ان يدل بصيغته على طلب شيء مع قبوله ياء المخاطبة فلا بد

<sup>(863)</sup> ظ : النحو الوافي : عباس حسن ، دار المعارف - مصر ، ط : ١٥ (١٩٧٣) : ٦٣٥/١ .

<sup>(864)</sup> ظ : المقتضب : ٣٦/١ .

<sup>(865)</sup> اللباب في علوم الكتاب : ٤٢٧/١٥ .

<sup>(866)</sup> المطول : للعلامة سعد الدين سعود بن عمر التفتراني ، تح : د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط: ١ (٢٠٠١) : ٤٢٠ ، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : ركن الدين محمد بن علي

بن محمد الجرجاني ، تح : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط: ١ (٢٠٠٢) : ٨٦ .

من الأمرين معا ، أي إن علامته مزدوجة <sup>(٨٦٨)</sup> ، ويكون من الأعلى إلى الأدنى حقيقة ، ويخرج الأمر لدلالة مجازية أخرى تلاحظ بتوظيف القرائن الدالة عليه ، وقد توزع هذا الأسلوب في بنية ألفاظ السَّمع وعلى النحو الآتي: ١- فعل ( طلبى ) + فاعل ( ضمير ) + مفعول به :

ورد خمس مرات <sup>(٨٦٩)</sup> ومنه قوله تعالى : ( وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) <sup>(٨٧٠)</sup> والاستماع هنا بمعنى الإدراك والإصغاء فيكون الاستماع واجبا <sup>(٨٧١)</sup> لأنه بتكلف واجتهاد وإلا لا فائدة منه إن كان بمعنى الإحساس ، وبذا فهو أمر حقيقي لرفعة الأمر فيلزم الامتثال له ولعله يجوز أن يكون بحسب المخاطبين <sup>(٨٧٢)</sup> ، بيد أن السيوطي ( ٩١١ هـ ) جعله أمرا مجازيا بمعنى الندب <sup>(٨٧٣)</sup> ، ولأهمية الاستماع فقد أمر به عند تلاوته لما فيه من سحر التأثير الموسيقي المروض وحش النفس القابع في خباياها مما يسهل انقيادها إلى الإيمان (( فالاستماع والإنصات – إذن – هما أول ما يؤمر بهما عند قراءة القرآن الكريم لما له من نتائج كبيرة ومهمة على روح مستمعيه وفكرهم ، فهما كفيلا بتحقيق أفضل التغييرات إلى اليقين ، ومن الإزعاج والارتباك إلى الراحة والطمأنينة )) <sup>(٨٧٤)</sup> ولعل هذا ما يفسر بعضا من الدوافع التي كانت تجعل المشركين يمنعون الآخرين من استماع ما يُتلى عليهم من الكتاب لذا قال تعالى : ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ) <sup>(٨٧٥)</sup> فللقرآن تأثيره القوي فيهم ، ويلحظ أن المفعول به (( له )) مثل قيدا مانعا من تعدد احتمالات المسموع

<sup>(867)</sup> ظ علوم البلاغة(البيان والمعاني والبيدع) : ٧١ .

<sup>(868)</sup> ظ : النحو الوافي : ٦٠/١ .

<sup>(869)</sup> الآيات : (( الأعراف : ٢٠٤ ، الحج : ٧٣ ، الكهف : ٢٦ ، طه : ١٣ ، الحج : ٢٧ )) .

<sup>(870)</sup> الأعراف من الآية : ٢٠٤ .

<sup>(871)</sup> ظ : التفسير الكبير : مج ٨ ، ١٠٦/١٥ ، والجامع لأحكام القرآن : مج ٤ ، ٢٢٤/٧-٢٢٥ .

<sup>(872)</sup> ظ : اللباب في علم الكتاب : ١٣٩/٩ .

<sup>(873)</sup> ظ : الإتيان في علوم القرآن : ٢٠٨/٣ .

<sup>(874)</sup> اللون في القرآن الكريم : ١٩٣ .

<sup>(875)</sup> من فصلت : ٢٦ .

بإصاخة السَّمع لصوت القرآن لتمثل ذلك المسموع وإدراكه ويجوز أن يكون ( له )  
بمعنى الله ، أي لأجله ، ويجوز ان تكون زائدة أي : فاستمعوه ، وربما هي بمعنى (( أل ))  
(<sup>٨٧٦</sup>) في حين حذف المفعول في الفعل ( نصت ) لدلالة الأول عليه .

ب- لام الأمر + فعل مضارع + فاعل :

ورد هذا البناء في قوله تعالى : ( وَلِتَصْغِي إِلَيْهِ أَفِيدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ) (<sup>٨٧٧</sup>) وقد خرجت دلالة الأمر هنا لمعنى التوبيخ  
أي : (( ولتميل إلى هذا الوحي بزخرف القول أو إلى هذا القول المزخرف )) (<sup>٨٧٨</sup>)  
توبيخا لهم على امالة قلوبهم مقول الشياطين من الجن والإنس وكان الأولى  
امالتهال للقرآن ، وقد تعاضدت ثلاثة أفعال لترسيخ دلالة التوبيخ هي : (( لتصغي ،  
ليرضوه ، ليقترفوا )) وكان الخطاب القرآني كثف دلالة التوبيخ بهذا التكرار الموحد  
لجنس البناء ولاسيما أن الفعل (( ليقترفوا )) أوحى بارتفاع مستوى الانحراف لديهم ،  
وأجد : أن هذا البناء أكد من (( إفعَل )) وكان في اللام طاقة إيحائية لارتفاع مستوى  
الأمر الدال على التوبيخ .

ثانيا- الاستفهام : طلب ما في الخارج أو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما لسائل  
من قبل بأداة من أدوات الاستفهام (<sup>٨٧٩</sup>) ، أو طلب حصول صورة الشيء في الذهن  
(<sup>٨٨٠</sup>) ، وللاستفهام طاقة دلالية مؤثرة لأنه يجعل المتلقي متشوقا ومتلها لمعرفة  
المستفهم عنه ومن ثم لمعرفة الجواب إن كان استفهاما حقيقيا ، وقد وظف الاستعمال  
القرآني هذا الأسلوب برفعة تركيبية عالية بوضع كل أداة استفهام موضعها ولاسيما  
بأفعال السمع كما يتضح من خلال ما يأتي:

(<sup>876</sup>) ظ: أملاً ما مَنْ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن : أبو البقاء عبد الله بن الحسين  
عبد الله العكبري ، تح : إبراهيم عطوه عوض ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر ، ط : ٢ (١٩٦٩) :

(<sup>877</sup>) الأنعام من الآية: ١١٣ .

(<sup>878</sup>) مجمع البيان : ١٤١/٤ .

(<sup>879</sup>) ظ : البرهان في علوم القرآن : ٣٣٩/٢ ، والإتقان في علوم القرآن : ١٠٣/٢ .

(<sup>880</sup>) ظ : المطول : ٤٠٠ .

أ- هل + جملة فعلية :

ورد هذا النمط في قوله تعالى : ( قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ )<sup>(٨٨١)</sup> وقد تجاوز الاستفهام هنا الحقيقة لقصد التقرير<sup>(٨٨٢)</sup> : الذي هو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده<sup>(٨٨٣)</sup> ، فلما كان مدار الاستفهام العلم بمجهول ما لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل ، وإذا لم يصدق بأحكام الإعلام انتفت فائدة الاستفهام<sup>(٨٨٤)</sup> ، لذا لا يعقل قطعاً مجهولية الجواب عند إبراهيم (عليه السلام) من صممهم وهو المستنكر عليهم فعلهم فيكون الاستفهام حاملاً لمعنى السخرية والتهكم فضلاً عن دلالة التقرير كما أنه - أي الاستفهام - متضمن معنى الإخبار لأنه لا يقتضي جواباً وهو أبلغ دلالة في إفادة معنى التقرير ويكمن جمال هذا التناوب : بأن تسييق الخبر بوساطة الإنشاء أبلغ من الخبر نفسه لأن المتلقي عندما يتجاوز أداة الاستفهام للبحث عن المستفهم عنه يفاجأ بإسقاط الجواب ترسيخاً لدلالة التقرير فيكون هذا البناء إنشاءً بمبناه خبراً بمعناه ولا يخفى أن ذلك التعاور أكد في النهي ، وأجد أن علاقة فعل السماع بالدعاء علاقة اقتراب بين العبد ومعبوده أياً كان لأن الدعاء أكثر الصلات تحركاً بين الطرفين لذا اختار خصيصتي السَّمع والدعاء .

ب- همزة استفهام + مبتدأ ( ضمير ) + خبر ( جملة فعلية ) :

وقد تكرر هذا البناء مرتين في أَلْفَاظِ السَّمْعِ ، أما الأول فجاء في قوله تعالى : ( فَأَنْتَ تُسْمَعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ )<sup>(٨٨٥)</sup> ، والثاني في قوله تعالى : ( أ فَأَنْتَ

<sup>(881)</sup> الشعراء من الآية: ٧٢ .

<sup>(882)</sup> ظ : معترك الأقران في إعجاز القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تح : محمد علي البجاوي ، دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية ، (١٩٦٩) : ٣٢٩/١ ، وظ : البرهان في علم القرآن : ٣٣٢/٢ .

<sup>(883)</sup> ظ : معترك الأقران : ٣٢٩/١ .

<sup>(884)</sup> ظ : البرهان في علوم القرآن : ٣٢٧/٢ .

<sup>(885)</sup> يونس من الآية : ٤٢ .

تُسْمَعُ الصَّمُّ أَوْ تَهْدِي الْعُمِّيَّ) <sup>(٨٨٦)</sup> ، لعل ما تنماز به الهمزة هو الاستفهام بها عن (( النسبة والمفرد )) ، فضلا عن مركزيتها بين أدوات الاستفهام فهي أم الباب ، وفي الآية الأولى الاستفهام مجازي يراد به النفي والإنكار <sup>(٨٨٧)</sup> ، إذ لا يستلزم الاستفهام هنا جوابا لأنه عارف بعدم إصغائهم له حين يقرأ ولا يذعنون بقلوبهم فلا تطمع بإيمانهم لوجود الختم عليها (( وفي هذا تسلية للرسول فكأن الله يقول له لا تحزن على عدم إيمانهم فإنك لا تقدر أن تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون )) <sup>(٨٨٨)</sup> وقد قرن النص القرآني هنا ذهاب السَّمْع مع ذهاب العقل فإذا اجتمع الأمران عظم الأمر فكانت ظاهرة تكرار الاستفهام (( أفأنت ... أفأنت دلالة ألا يقدر على إسماعهم وهدايتهم إلا الله عزّ وجلّ )) <sup>(٨٨٩)</sup> لذا قدّم الاسم (( أنت )) دون الفعل (( تسمع )) لما أراد نفي استطاعة الرسول على إسماعهم يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) : (( إنك إذا قلت : (( أفعلت ؟ )) فبدأت بالفعل ، كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك ان تعلم وجوده ، وإذا قلت : (( أننت فعلت ؟ )) فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل مَنْ هو ؟ ... فهذا الفرق لا يدفعه دافع ، ولا يشك في شاك ، ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر )) <sup>(٨٩٠)</sup> ، فقوله تعالى : ( أ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّمَ أَوْ تَهْدِي الْعُمِّيَّ ) (( ليس إسماع الصم مما يقدر عليه أحد فيكون ذلك للإنكار ... وإن ينزل الذي يظن بهم أنهم يسمعون ، أو أنه يستطيع إسماعهم منزلة مَنْ يرى أنه يسمع الصم أو يهدي العمي ، ثم المعنى في تقديم الاسم وإنه لم يقل (( أتسمع الصم )) هو أن يقال للنبي : أنت خصوصا أوتيت أن تسمع الصم ؟ وأن من يجعل في ظنه يستطيع إسماعهم بمثابة من يظن أنه قد أوتي قدرة على إسماع الصم )) <sup>(٨٩١)</sup> (( فإن إسماع الصم لا يدعيه أحد ، بل المعنى إن

<sup>(886)</sup> الزخرف من الآية: ٤٠ .

<sup>(887)</sup> ظ : حاشية الصاوي : ١٩٠/٢ ، ومجمع البيان : ١٧/٣ .

<sup>(888)</sup> ظ : حاشية الصاوي : ١٩٠/٢ .

<sup>(889)</sup> الكشاف : ٣٣/٢ .

<sup>(890)</sup> دلائل الإعجاز : ١١٨ .

<sup>(891)</sup> م.ن : ١٢٠-١٢١ .



إسماعهم لا يمكن لأنهم بمنزلة من الصم أو العمي ((<sup>(٨٩٢)</sup>) ، ويلحظ قصد النص في تقديم الاسم (( فهذا أبلغ من إنكار الفعل ، وفيه دخول الاستفهام على المضارع ، فإذا قلت : أتفعل ؟ أو أنت تفعل ؟ احتمل الوجهين أحدهما : إنكار وجود الفعل وهو ليس مراد الخطاب القرآني لأن بقدرته الله يستطيع إسماعهم ، والثاني : توجه الإنكار بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل )) (<sup>(٨٩٣)</sup>) .

ج- ( أم ) المنقطعة + فعل ( مضارع ) + إن + اسمها + خبرها :

ورد هذا التركيب مرة واحدة في بنية ألفاظ السَّمْع وذلك في قوله تعالى : ( أمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ) (<sup>(٨٩٤)</sup>) ، وهذا الخطاب سيق تخفيفا عن النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بحصر وظيفته بالإبلاغ دون مجاوزة ذلك الاستفهام هنا للإنكار (<sup>(٨٩٥)</sup>) ، وجاء هنا محققا لطفافي الخطاب مع النبي بوساطة العدول من النهي الصريح لبناء يدل عليه ضمنا ، ويرى المفسرون أن : ( أم ) منقطعة لا يفارقها الإضراب ثم تكون له مجردا تارة و تتضمن مع ذلك استفهاما إنكاريا أو طلبيا تارة أخرى (<sup>(٨٩٦)</sup>) ، فيكون المقصد : بل أتحسب هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب منها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أدنا ولا إلى تديره عقلا (<sup>(٨٩٧)</sup>) ، وإنما قال (( أكثرهم )) على معنى التبويض (( لأن منهم قد علم أنه يؤمن )) (<sup>(٨٩٨)</sup>) ، والمراد

(<sup>892</sup>) البرهان في علوم القرآن : ٣٢٩/٢ .

(<sup>893</sup>) م.ن : ٣٢٩/٢ .

(<sup>894</sup>) الفرقان من الآية: ٤٣ .

(<sup>895</sup>) ظ : حاشية الصاوي : ٧٠/٣ ، المحرر الوجيز في الكتاب العزيز : للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط : ١ (٢٠٠١) : ١٣٩/٧ .

(<sup>896</sup>) ظ : مغني اللبيب : ٤٤/١ ، والمفصل : ١٠٣ .

(<sup>897</sup>) ظ : الكشاف : ٢٧٤/٣ .

(<sup>898</sup>) الجامع لأحكام القرآن : ٧ ، ٢٦/١٣ .

بالسمع هنا : سماع قبول وتفكر فيما يقول النبي ، فأنتهم أن لم ينتفعوا بما يسمعون  
فكأنهم لم يسمعوا (٨٩٩)

د- أم + خبر مقدم + مبتدأ ( مؤخر ) + جملة فعلية + شبه جملة :  
ورد هذا التركيب مرة واحدة في قوله تعالى : ( أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ) (٩٠٠)  
ولم يتفق المفسرون على دلالة ( أم ) يوجزها البحث بالآتي :  
اولا- أنها (( منقطعة )) فقدرها أبو حيان الأندلسي (٧٥٤هـ) بـ(( بل والهمزة  
(( فيكون المعنى : بل أكان كذا (٩٠١) وقد جعلها ابن هشام (٧٦١هـ) منقطعة لسبقها  
بالخبر المحض وقدره بـ(( بل الهم سلم يستمعون فيه )) على نحو الإنكار لأن تقديرها  
بالإضراب المحض محال (٩٠٢) .

ثانيا- أنها متصلة وهو ما تبناه الرازي (٦٠٦هـ) أي : أن ما بعدها لا يستغنى  
أحـ دهما  
عن الآخر (٩٠٣) ، فيكون التقدير : أعلموا بذلك أم لهم سلم يستمعون فيه (٩٠٤) ، لأن  
الأشياء اما أن تثبت بسمع أو بعقل فقال : هل ورد أمر سمعي أم سعدتم إلى السماء  
بسلم تسمعون ؟ .

ثالثا- أنها استفهامية ، فيكون معنى ( أم ) بالموضع المسوق بمعنى (( ألف  
الاستفهام لأنه لم يتقدمها استفهام )) (٩٠٥) وجاء في (( نظم الدرر )) أن (( ما في سورة

(899) ظ : م.ن :مج ٧ ، ٢٦/١٣ ، والميزان : ٢٢٣/١٥ .

(900) الطور من الآية : ٣٨ .

(901) ظ : البحر المحيط : ١٥٠/٨ ، و مغني اللبيب : ٤٥/١ .

(902) ظ : مغني اللبيب : ٤٥/١ .

(903) ظ : مغني اللبيب : ٤٥/١ .

(904) ظ : التفسير الكبير :مج ٤ ، ٢٦٢/٢٨ .

(905) كتاب الأزهية في علم الحروف : علي بن محمد النحوي الهروي ، تح : عبد المعين الملوح ، مطبوعات

اللغة العربية بدمشق ، ط: ١ (١٩٧١) : ١٣١ .



دعاء<sup>(٩١٢)</sup> ولم يرد أسلوب النهي إلا في قوله تعالى : ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ )<sup>(٩١٣)</sup> والمراد بالسمع هنا الإنصات أي : لا تنتصتوا له<sup>(٩١٤)</sup> ، وقد تعاضد أسلوبان لإظهار مقتضى القصد القرآني فالنهي عن الإنصات قابله أمر باللغو وهو : ما لا أصل له ولا معنى<sup>(٩١٥)</sup> فضلا عن قيد المفعول به (( لهذا القرآن )) فكأن عدم الإنصات خُصص بالقرآن لا غيره ، وهم إنما اختاروا هذا الصنف من المواجهة لعلمهم أن (( القرآن كامل في المعنى وفي اللفظ وأن كل من سمعه وقف على جزالة ألفاظه وأحاط عقله بمعانيه ... فدبروا تدبيراً في منع الناس عن استماعه ))<sup>(٩١٦)</sup>

رابعاً- التحضيض : وهو : طلب الشيء ، حتى يصل إلى مستوى الإزعاج<sup>(٩١٧)</sup> ويختلف عن العرض بمستوى الطلب فإن العرض أقل منه إلحاحاً ، فهما وإن بديا متقاربين بيد أن العرض أرفق وأقل حدة من التحضيض فالتحضيض أكثر توكيداً من الأول<sup>(٩١٨)</sup> ، وقد ورد هذا مرتين في ألفاظ السَّمع بالتركيب الآتي : (( ألا + فعل ) مضارع ) + فاعل ( ضمير ) (( كقوله تعالى : ( أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ )<sup>(٩١٩)</sup> ، ويلحظ ارتفاع مستوى التحضيض في أعمال الفكر من خلال نافذة السَّمع تدبراً في آيات الله ، وسياق الآية أقرب لمفهوم التحضيض من معنى العرض فيكاد التركيب يقترب من دلالة الأمر

<sup>(912)</sup> ظ : م.ن : ٢٧٨/٣ .

<sup>(913)</sup> فصلت من الآية : ٢٦ .

<sup>(914)</sup> ظ : معاني القرآن الكريم : الإمام أبي جعفر النحاس ، تح : الشيخ محمد علي الصابوني ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، ط: ١ (١٩٩٨) : ٢٧/٥ .

<sup>(915)</sup> ظ : روح المعاني : مج ٨ ، ١٢ / ٣٧١ .

<sup>(916)</sup> التفسير الكبير : مج ١٤ / ١٧ / ١٢٠ .

<sup>(917)</sup> ظ : همع الهوامع : ٦٧/٢ ، وشرح كافية ابن الحاجب : ٣٨٧/٢ ، والبرهان في علوم القرآن : ٣٤٢/٢ .

<sup>(918)</sup> ظ : الصاحبي : ١١٧ .

<sup>(919)</sup> السجدة من الآية : ٢٦ ، أما الموضع الثاني في قوله تعالى : ﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ القصص : ٧١ .

إلا أنه سبق ببناء التحضيض لقدرة الأخير على اكتناز طاقة دلالية قادرة على شحذ ذهن المتلقي للنص في تفعيل حاسته السامعة لجعل آياته السمعية منطلقا للإيمان بالله ، وإنما خصَّ السَّمْع بالأعمال (( لأنهم ما كان لهم قوة الإدراك بأنفسهم والاستنباط بعقولهم فقال : أفلا يعني لكم درجة المتعلم الذي يسمع الشيء ويفهمه ))<sup>(٩٢٠)</sup> ثم نلاحظ انسجام الفاصلة القرآنية مع مضمون الآية (( فلما كانت الموعدة في صدر الآية )) (سمعية (( )) أو لم يهد و ولم يقل (( أولم يروا )) وقال بعد ذكر الموعدة (( أفلا يسمعون )) لأنه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع أو إخبار القرون وهو مما يسمع ))<sup>(٩٢١)</sup> لذا ناسب ذكر الأول باختيار الفاصلة تناسبا مع وحدة السياق وتماسكه .

#### خامسا- القسم :

لفظ يقسم به الخالق ليؤكد به شيئا يخبر عنه من إيجاب أو جحد<sup>(٩٢٢)</sup> ، والقصد

منه

(( توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات ))<sup>(٩٢٣)</sup> والى ذلك أشار السيوطي ( ٩١١ هـ)

فقال

(( والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده ))<sup>(٩٢٤)</sup> ثم ذكر أن (( القرآن نزل بلغة العرب

، ومن عادتها القسم إذا أرادت توكيد أمر ))<sup>(٩٢٥)</sup> ، وقد وقع هذا الأسلوب في ألفاظ

الـ سَمَّع بـ عـ د هـ صـ زـ حـ طـ يـ كـ لـ مـ نـ هـ

هي :

أ- اللام + قد : ورد هذا البناء مرة واحدة وذلك في قوله تعالى : ( لَقَدْ سَمِعَ اللهُ

قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ )<sup>(٩٢٦)</sup> ، وقد تبأينت آراء المفسرين والنحاة

<sup>(920)</sup> اللباب في علوم الكتاب : ٤٩٢/١٥ .

<sup>(921)</sup> التبيان في تفسير القرآن : ٣٠٩/٨ .

<sup>(922)</sup> ظ : شرح جمل الزجاجي : ٥٢٠/١ ، وارتشاف الضرب من لسان العرب : ٤٧٥/٢ .

<sup>(923)</sup> شرح المفصل : ٩٠/٩ .

<sup>(924)</sup> الإِتقان في علوم القرآن : ٢٨٨/٢ .

<sup>(925)</sup> الإِتقان في علوم القرآن : ٢٨٨/٢ .

<sup>(926)</sup> آل عمران من الآية : ١٨١ .

في وظيفة هذه اللام، أما الجمهور فقالوا أنها لام الابتداء<sup>(٩٢٧)</sup> ودليلهم بذلك (( أن ) قد ( تقرب الماضي من الحال ، فيشبه المضارع المشبه للاسم ))<sup>(٩٢٨)</sup> ، وعدها غيرهم بأنها : لام جواب لقسم مقدر<sup>(٩٢٩)</sup> ، في حين عدها أبو حيان (٧٤٥هـ) لام التوكيد ، إذ قال (( جاءت الجملة مؤكدة باللام مؤذنة بعلمه بمقالتهم ومؤكدة له ))<sup>(٩٣٠)</sup> لأنّ ما أدعوه كان أمرا خطيرا يتعلق بغنى الله عنهم الأمر الذي اقتضى توكيد ذلك وتوعدهم بالعقاب .

ب- اللام + فعل مضارع + نون التوكيد :

ورد هذا النمط في قوله تعالى : ( لَتُبْلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا )<sup>(٩٣١)</sup> ، وهنا قد حصل اتفاق بين النحاة والمفسرين على أن اللام (( لتبلون ولتسمعن )) لام قسم وليست لام ابتداء<sup>(٩٣٢)</sup> ، ذلك أن اللام عندهم إذا وقع بعدها الفعل المستقبل وهو المضارع وقد صحبته النون ثقيلة أو خفيفة فهي لام القسم ، سواء ذكر القسم قبلها أو لم يذكر .

### المبحث الثالث

#### بناء دلالة السّمع في الأسلوب الشرطي

الشرط (( جملة مركبة تشتمل على جملتين متلازمتين مسبوقتين بأداة شرط لا يتم معنى أولهما إلا بالثانية ))<sup>(٩٣٣)</sup> ، ويفارق الشرط أسلوب الخبر والإنشاء فهو ((

<sup>(927)</sup> ظ : مغني اللبيب : ٢٢٨/١ ، والجنى الداني في حروف المعاني : حسن بن قاسم المرادي ، تح : طه محسن ، مؤسسة درا الكتب للطباعة والنشر - الموصل ، (١٩٧٦) : ١٦٣ .

<sup>(928)</sup> مغني اللبيب : ٢٢٨/١ .

<sup>(929)</sup> ظ : مغني اللبيب : ٢٢٨/١ ، والجنى الداني : ١٦٣ .

<sup>(930)</sup> البحر المحيط : ١٣٠/٣ ، وظ : دراسات لأسلوب القرآن الكريم : ٣٢٣/٢ .

<sup>(931)</sup> آل عمران من الآية : ١٨٦ .

<sup>(932)</sup> ظ : كتاب اللامات : ٧٠ ، وإعراب القرآن : أبو جعفر احمد بن محمد النحاس ، تح : زهير غازي زاهد ، النهضة العربية - بغداد ، ط : ٢ (١٩٨٥) : ٤٢٤/١ .

<sup>(933)</sup> في النحو العربي (( نقد وتوجيه )) : ٧٥ .

أسلوب مختلف في حقيقته عن أساليب الخبر والإنشاء ذلك أن فعل الشرط وحده وجواب الشرط وحده يفيد كل منها معنى من معاني الخبر أو الإنشاء ((<sup>٩٣٤</sup>) ، لذا استقل بدراسة تحت مصطلح (Condition almond) ، وقد جاءت جملة الشرط في ألفاظ السمع على النحو الآتي :

اولا- إنْ (( أداة شرطية )) + جملة الشرط + جملة جواب الشرط :

تتعارض دلالة الأداة (( إنْ )) و (( إذا )) في اختصاص كل منهما بعمل

وظيفي

محدد ، إذ توظف (( إنْ )) في مضامين الجمل غير المقطوع بصدق وقوعها ويكون

تحققه

نادرا (<sup>٩٣٥</sup>) ، أي : (( فيما يحتمل تحققه وعدم تحققه ولا ترجيح لأحدهما عن الآخر ))

(<sup>٩٣٦</sup>) ، في حين تختص (( إذا )) في دلالة التركيب اللفظية المقطوع بوقوعها ولا أدنى

شك برجائها (<sup>٩٣٧</sup>) فضلا عن معنى التأكيد في وقوع الجواب إذا وقع الشرط (<sup>٩٣٨</sup>) ،

ويشتركان في صرف الفعل لدلالة المستقبل .

أ: إنْ + جملة شرطية : فعلية (( فعلها مضارع )) + جملة جواب الشرط :

فعلية

(( فعلها مضارع منفي )) :

ورد هذا التركيب الشرطي ثلاث مرات (<sup>٩٣٩</sup>) منه قوله تعالى : ( وَإِنْ تَدْعُوهُمْ

إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ) (<sup>٩٤٠</sup>) ، وقد رصد

(<sup>934</sup>) نحو الفعل : د. أحمد عبد الستار الجواري ، المجمع العلمي العراقي - بغداد ، ط: ٢ (١٩٧٤) : ٥٠ .

(<sup>935</sup>) ظ : المقتضب : ٥٦/٢ .

(<sup>936</sup>) في النحو العربي ( نقد وتجييه ) : ٤١ .

(<sup>937</sup>) ظ : الإشارات والتنبيهات : ٦٣ .

(<sup>938</sup>) ظ : دراسات في الأدوات النحوية : مصطفى النحاس ، شركة الربيعات - الكويت ، ط : ١ (د.ت) : ٦٦ .

(<sup>939</sup>) الايات : (( الأعراف : ١٩٨ ، فاطر : ١٤ ، المنافقون : ٤ )) .

(<sup>940</sup>) الأعراف من الآية : ١٩٨ .

الخطاب القرآني القصدية الوظيفية لـ (( إن )) في دلالتها على رجحان وقوع الحدث لأن حدث الدعاء لم يكن حتمي الصدور بل هو من المتوقعات ، ويلحظ الخاصية التلازمية في أحداث أفعال الآية ، وقد تباينت توجيهات المفسرين في تخصيص مدلول الدعاء في الآية كالاتي :

الأول : أن المخصوصين به هم (( الأصنام )) أي : (( أن تدعوهم إلى الهدى أي إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به مقاصدكم مطلقا أو في خصوص الكيد المعهود )) (لا يسمعوا) أي : دعاءكم فضلا عن المساعدة والإمداد)) (٩٤١) ودلّ الطبري (٣١٠هـ) على أن المراد من الضمير المذكور الأصنام ، وإنما وصفهم بالنظر : كناية عن المحاذاة والمقابلة وما فيها من تخييل النظر (٩٤٢) فيكون مقصد الآية بهذا التوجيه جمودية الأصنام وصغر شأنها (٩٤٣) وقد نقل الطبرسي (٥٤٨هـ) عن الفراء (٢٠٧هـ) والزجاج (٣١١هـ) قولهما (( فإن دعوتهم هؤلاء الذين تعبدونهم من الأصنام إلى صلاح ومنافع لا يسمعوا دعائكم ، وتراهم فاتحة أعينهم نحوكم على ما صورتموهم عليه من الصور وهم مع ذلك يبصرونكم )) (٩٤٤) ويرى البحث – إن صح هذا الاتجاه – أنها أبلغ من نفي الإتياع لأن عدم إدراك الأدنى يستلزم عدم إدراك ما هو أعلى منه وإتياعهم أعلى من أسماعهم .

الثاني : المراد (( المشركون )) (٩٤٥) والخطاب وجه للنبي وأمته ، وضمير الجمع في قوله (( تدعوهم )) للكفار ، ووصفهم بعدم السَّمع والبصر إذ لم يتحصل منهما فائدة ، لأنهم يبغون استجابة من غير الله بل (( أنهم قد بلغوا في الجهل والحماقة إلى إنك لو دعوتهم وأظهرت لهم أعظم أنواع الحجة والبرهان لم يسمعوا ذلك بعقولهم )) (٩٤٦) إذ كيف يسمع الدعاء من أصمه الداعي عن المدعو إليه ؟ (٩٤٧) – وأجد – إن

(٩٤١) ظ : روح المعاني : مج ٤ ، ١٣٦/٥ .

(٩٤٢) ظ : جامع البيان : ٢١٧/٥ .

(٩٤٣) ظ : المحرر الوجيز : ٤٩٠/٢ .

(٩٤٤) مجمع البيان : ٧٥/٥ ، وظ : حاشية محي الدين الشيخ زاده : ٣٤٩/٤ ، وتفسير السلمي : ٢٦/١ .

(٩٤٥) ظ : المحرر الوجيز : ٤٩٠/٢ ، وغرائب القرآن ورغائب العرفان : ١٥/٣ .

(٩٤٦) الباب في علوم الكتاب : ٤١٩/٩ .



الاتجاه الثاني أولى بالقبول لانسجامه مع سياق الآيات السابقة لهذا الموقع إذ فصلت القول في سلوك المشركين وشخصت علائم طباعهم فكان هذا الوصف نتيجة لتلك التي سبقت ، ثم من ينعم النظر يرى تقنية العلائق اللفظية في تخصيص جنس الدعوى فإن شبه الجملة (( إلى الهدى )) كان قيذا مخصصا لجنس المسموع فاتضح إن استحالة سمعهم ممتنع في استقطاب خطاب الهدى ولو أسقطت هذه القرينة لأطلق العنان لتعدد المسموعات وليس هذا مراد النص ، ودل بالوقت نفسه على ارتياحهم للخطابات الأخرى ، أما الموضع الثاني ففي قوله تعالى : ( إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا ) (٩٤٨) وقد سبق الشرط بمعنى الاستئناف البياني (٩٤٩) فالشرط كان كاشفا وموضحا لمجمل وإبهام ما سبق قبله لأنه قال : ( وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ) (٩٥٠) فكان الشرط كاشفا عن (( جلية حال ما يدعونه بأنه جماد وليس من شأنه السماع )) (٩٥١) لأن الموصول من المبهمات التي تفتضي كاشفا فيكون هناك ترابط بياني بين الآيتين ، وإنما قطع واستأنف – كما أجد – رسدا لمعنى التوكيد في إسقاط جذر هذه الدعوى بدليل أنه ذيل سياق الآية بالنتيجة المترتبة على ممارسة مثل هذا الفعل بأنهم : ( يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ) (٩٥٢) بل فارق في سياقات التأكيد فأعاد أسلوب الشرط ثانية (( ولو سمعوا ما استجابوا لكم )) على سبيل الفرض والتقدير لأنهم لم يرزقوا قوة التكلم والسماع أي : لو سمعوا ما استجابوا لكم لعجزهم عن الأفعال (٩٥٣) ، إذن حشد السياق اتجاهين مؤكدين لمضمون

(٩٤٧) ظ : تفسير السلمي : ٦٢/١ .

(٩٤٨) فاطر من الآية : ١٤ .

(٩٤٩) ظ : روح المعاني : مج ٨ ، ٣٥٤/١١ ، والاستئناف البياني : وهو الذي تنقطع بسببه الصلة الإعرابية بين

الجملة المستأنفة والجملة التي قبلها من دون الصلة المعنوية بينهما ... ولا بد لهما من ارتباط معنوي مفسر ، ظ

: النحو الوافي : ٤/٤٩٠ .

(٩٥٠) فاطر من الآية : ١٣ .

(٩٥١) روح المعاني : مج ٨ ، ٣٥٤/١١ .

(٩٥٢) فاطر من الآية : ١٤ .

(٩٥٣) ظ : روح المعاني : مج ٨٠ ، ٣٥٤/١١ .

الآية الأولى بوساطة الاستئناف البياني والثاني بإعادة الشرط وكان الشرط أبلغ معنى في مد مسافة المؤكد .

ب: إن + جملة الشرط : (( فعليه فعلها مضارع مجزوم بـ ( لم ) )) + جملة جواب الشرط : (( فعليه فعلها أمر )) :

ورد هذا التركيب الشرطي مرة واحدة في بنية ألفاظ السَّمع في قوله تعالى : ( فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ )<sup>(٩٥٤)</sup> وهذا الشرط دلّ على جزاء شرط سيق قبله وهو الانتهاء عن الربا<sup>(٩٥٥)</sup> فالفعل المرجو منهم خصص بتركه وقدامتدت دلالة النهي لغير ذواتهم فيكون المقصد (( فاعملوا بها غيركم وهو من الآذن وهو الاستماع ، لأنه من طرق العلم ))<sup>(٩٥٦)</sup> ، ورأى الفراء (٢٠٧هـ) أن الجزاء (( فأذنوا )) وإن دلّ على الاستماع بيد أنه دلّ على التيقن لتأكيد الأثر (( أي فأيقنوا ))<sup>(٩٥٧)</sup> لأنك تقول أذنت بالشيء فأنا إذنين به<sup>(٩٥٨)</sup> ، أي فاعلموا بها غيركم بطريق الاستماع لقطع السبل أمامهم لأن نقل الحكم بوساطة السَّمع نقل له بلا وساطة التي تدور حولها الشبهات ، وقد ربط الجواب بشرطه بفاء الربط قصدا لدلالة السرعة والتعاقب في حدوث وقع الحرب مستقبلا فضلا عن إفادتها لمعنى الاتباع وارتباط ما بعدها بما قبلها<sup>(٩٥٩)</sup> وإفادتها معنى السببية يقول سيبويه (١٨٠هـ) (( الفاء ضم الشيء إلى الشيء كما تفعل الواو ، غير أنها تجعل ذلك متبعا بعض في أثر بعض ))<sup>(٩٦٠)</sup> وبهذا ضمت دلالة المصاحبة إلى الترتيب والعلية فالمراد ورود الحرب بعد السبب (( عدم ترك الربا )) ولا يخفى أن الشعور بتلك

<sup>(٩٥٤)</sup> البقرة من الآية: ٢٧٩ .

<sup>(٩٥٥)</sup> ظ : البقرة من الآية: ٢٧٨ .

<sup>(٩٥٦)</sup> الكشاف : ١٣٨/١ ، وحاشية الشهاب : ٦٠٧/٢ .

<sup>(٩٥٧)</sup> ظ : معاني القرآن : الفراء : ٣٠٩/١ .

<sup>(٩٥٨)</sup> ظ : حاشية الشهاب : ٦٠٧/٢ ، و ظ : العين : إذن .

<sup>(٩٥٩)</sup> ظ : شرح المفصل : ٢/٩ ، والدلالة الزمنية في الجملة العربية : د. علي جابر المنصوري ، الجامعة -

بغداد ، (١٩٨٤) : ١٨٤ .

<sup>(٩٦٠)</sup> الكتاب : ٢٠٤/٢ .

الدلالة من مرتكبي الربا يكون له الأثر البالغ في الردع عنها ومحاولة اجتنابها لأن تحديد زمان العقاب يفرز ظاهرة التماذي في الفعل المعاقب عليه لذا قصد الفاء ، وقد نكر مفردة (( الحرب )) لتدل على الإطلاق والعموم بأنه سيلقون أصنافا من العقوبات التي تتدرج تحت عنوان (( الحرب )) وبها يذهب الذهن كل مذهب ، وإن لذلك التنكير دلالة في بث الرعب والخوف من ماهية الحرب وكيفية بدواخلهم لأنه يريد الماهية لا الكيفية، فضلا عن دلالة التنكير على الشيوخ والإبهام مما يزيد النص نفسا تأكيدا على ملاقاتهم الحرب لذا قدرها الزركشي (٧٩٤هـ) بـ(( حرب أي حرب )) (٩٦١) وربما نكرها لدلالة التعظيم (٩٦٢) .

ثانيا- (( إذا )) + جملة فعل الشرط + جملة جواب الشرط :

توظف (( إذا )) إذا كان فعل الشرط قطعي الوقوع وعلى سبيل الكثرة (٩٦٣) ، واختلفوا في دلالتها الزمنية ، فر (سيبويه) (١٨٠هـ) يرى أنها للمستقبل ففيهما معنى الشرط يقول : (( لما يستقبل من الدهر وفيها مجازاة )) (٩٦٤) ورأى آخر أنها ظرف لما مضى من الزمان (٩٦٥) ، ومن المحدثين من رأى زمنها بحسب القرائن (٩٦٦) ، وقد جاءت بها البنية الشرطية لألفاظ السَّمع بالتركيب الآتية :

أ : إنّ + اسمها ( ضمير شأن محذوف ) + إذا + جملة الشرط (( فعلية فعلها

مض

( خبر إنّ ) (( + جملة جواب الشرط )) (( فعلية فعلها مضارع مجزوم بلا الناهية )) :

(٩٦١) البرهان في علوم القرآن: ٩١/٤ .

(٩٦٢) ظ : حاشية الشهاب : ٦٠٧/٢ .

(٩٦٣) معاني النحو : ٤٥٠/٤ .

(٩٦٤) الكتاب : ٢٣٢/٤ .

(٩٦٥) ظ : الجنى الداني في حروف المعاني : ٣٦٣ .

(٩٦٦) ظ : في التراكيب اللغوية للشعر العرافي المعاصر ، مالك يوسف المطلبي ، دار الرشيد ، بغداد ، ط :

(د.ت) : ٩٠ .

جاء هذا النمط في قوله تعالى : ( وَقد نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ الله يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَأُ بِها فلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ )<sup>(٩٦٧)</sup> فتوظيف (( إذا )) المفيدة لقطعية صدور الفعل يدل على حتمية استماعهم ، فضلا عن وظيفتها في تغيير وجهة الزمن النحوي للفعل المقترنة به ، إذ ذهب النحاة إلى أن القصد من مجيء الفعل ماضيا وإن كان معناه الاستقبال هو إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن وغير الواقع منزلة الواقع<sup>(٩٦٨)</sup> يقول ابن جني (٣٩٢هـ) (( وكذلك قولهم أن فُئِمْتُ فُئِمْتُ ، فتجيء بلفظ الماضي والمعنى المضارع وذلك أنه أراد الإحتياط للمعنى بمعنى المضارع المشكوك فيه وضعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه ، حتى كأن هذا قد وقع واستقر لأنه متوقع فترقب وهذا تفسير أبي علي وما أحسنه ))<sup>(٩٦٩)</sup> ، من هنا لمسنا ضرورة اختيار صيغة الماضي لأن النص أنزلها منزلة الواقع برغم عدم وقوعه فعلا وفي تلك الميزة الاستعمالة دلالة التأكيد في صدقية ما يخبر عنه فكأنه قال : (( إنكم ستستمعون )) لذا أكد مضمون الجملة (( إن )) والمراد : إذا سمعتم آيات الله والاستهزاء بها فلا تقعدوا ففي الآية نهى لملاحظة تقبيح السماع (( فهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم ))<sup>(٩٧٠)</sup> بيد أن نهى الاستماع مقيد بالاستهزاء والكفر والمعنى (( لا تقعدوا معهم وقت كفرهم واستهزائهم بالآيات ))<sup>(٩٧١)</sup> وقد أضاف الآيات للفظ الجلالة ليكسبها قدسية وإبانة خطرها وتهويل أمر الكفار بها<sup>(٩٧٢)</sup> ويلحظ في الآية وقوع فعل السماع على الآيات والمراد سماع الاستهزاء، وأجد أن النص عمد لهذه المغايرة لقصد تخصيص السماع بجنس الآيات المستهزأ بها لا فعل الاستهزاء لأن القصد رفع منزلة الآيات التي يكفر بها.

<sup>(٩٦٧)</sup> النساء من الآية: ١٤٠ .

<sup>(٩٦٨)</sup> ظ : الحيثية الاستعمالية لحروف المعاني في القرآن الكريم : ٧٩ .

<sup>(٩٦٩)</sup> الخصائص : ١٠٥/٣ .

<sup>(٩٧٠)</sup> روح المعاني : مج ٣ ، ١٦٦/٣ .

<sup>(٩٧١)</sup> م.ن : مج ٣ ، ١٦٦/٣ .

<sup>(٩٧٢)</sup> ظ: روح المعاني : مج ٣ ، ١٦٦/٣ .

ب- (( إذا )) + جملة الشرط (( فعلية فعلها ماض )) + جملة جواب الشرط (( فعلية فعلها مضارع )) :

ورد هذا التركيب ثلاث مرات<sup>(٩٧٣)</sup>، فسبق الأول في قوله تعالى : ( إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا )<sup>(٩٧٤)</sup> واستقل الاستعمال الثاني في قوله تعالى : ( إِذَا سَمِعُوا اللَّعْنَ أَعْرَضُوا عَنْهُ )<sup>(٩٧٥)</sup> ، وجاء الثالث في قوله تعالى : ( إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيْقًا وَهَيَّاقًا )<sup>(٩٧٦)</sup> ، وقد سبق الأول لتصوير مشهد من مشاهد يوم القيامة بصورة ناطقة فبدت الألفاظ بمجموعها معبرة عنه بإيحائها الصوتي وتقطع أنفاس لافظها كأختناق الممتلئ غيظا ، وقد أسندت الرؤية للنار مجازا<sup>(٩٧٧)</sup> ، ورأى آخرون حقيقتها ، فإن النار لشدة اضطرابها وغلينها صارت ترى الكفار وتطلبهم وتتغيط عليهم<sup>(٩٧٨)</sup> ، وإذا كان صوت الزفير مسموعا فالغيظ لا يسمع فلم صوره مسموعا ؟ ولعل التقريب لهذا المشكل الاستعمالي : هو أن الغيظ قد يسمع ما يدل عليه من الصوت وهو كقولهم : رأيت غضب الأمير على فلان إذا أبصر ما يدل عليه والمعنى : سمعوا لها صوتا يشبه صوت المتغيط إذا غلا صدره وظهر في كلامه<sup>(٩٧٩)</sup> ، أو علموا لها غيظا وسمعوا لها زفيرا وربما المراد تغيط الخزنة<sup>(٩٨٠)</sup> ، وأجد أن الآية جاءت لرسم ملامح أجواء القيامة ومعادلة الحساب للكافرين وإن مفارقة سماع الغيظ هو تجاوز لغير المؤلف ليبدل الوصف على ارتفاع مستوى غضبها وغلينها إلى حد سماعهم تغيطها فالكلام هنا قد خرج مخرج المبالغة يجعل الغيظ مع أنه ليس من

<sup>(973)</sup> الآيات : (( الفرقان : ١٢ ، القصص : ٥٥ ، الملك : ٧ )) .

<sup>(974)</sup> الفرقان من الآية: ١٢ .

<sup>(975)</sup> القصص من الآية : ٥٥ .

<sup>(976)</sup> الملك من الآية: ٧ .

<sup>(977)</sup> ظ : الباب في علوم الكتاب : ٢٠٠/١١ .

<sup>(978)</sup> ظ : التفسير الكبير : مج ٩ ، ٥٦/٢٤ .

<sup>(979)</sup> ظ : معاني القرآن : للفراء : ٢٦٣/٢ .

<sup>(980)</sup> ظ : التفسير الكبير : مج ٩ ، ٥٩/٢٤ .

المسموعات مسموعا<sup>(٩٨١)</sup> يعضد هذا الاتجاه قرينة (( من مكان بعيد )) فإنهما (( أي الغيظ والزفير )) لا يسمعان إلا من مكان قريب على وفق المعادلات الدنيوية بيد أن النص ساقهما على نحو استماعهما برغم بعد مصدريهما طلبا لتحويل يوم القيامة ، وقد خالف النص جهات الإسناد فأسند فعل الرؤية للنار فيما أسند فعل السمع لهم دلالة على اشتياق النار لهم وشغفها لرؤيتهم ، ورأى آخرون أن كلا من الرؤية والتغيظ والزفير لزبانيتها ونسبته إليها على حذف المضاف أي : إذا رأتهم زبانيتهما سمعوا تغيظهم وزفيرهم<sup>(٩٨٢)</sup> ، ولا يخفى مال هذا التقدير من هبوط في النظر والرأي بقياسهم ما ليوم القيامة على ما للدنيا ، وفي الآية - كما أجد - عقد بياني دالٌّ على هياة النار يومئذ يتمثل صوت غليانها بصوت المغناط وزفيره على صورة التشخيص المجسد لحركة النار ومظاهرها بصورة شخص يتغيظ ويزفر ، أما الموضع الثاني فيبدو إن إذا لم تسق بدلالاتها الحقيقية لأن سياقها لا يحتمل قطع الحدوث لسماعهم اللغو لأنه ليس سجية ملازمة للمرء ، ويلحظ سقوط الرابط الصناعي بين جزأي التركيب ليتحد الشرط بالجواب في زمن وقوعهما وذلك أشد تأكيدا على ارتفاع خلق المؤمنين عن سماع اللغو لأن بسقوط الأداة سقوط لتلك الفترة الزمنية التي تنجزها الأداة الرابطة وكأن سماعهم وإعراضهم تحققا في زمن واحد فأنهم كانوا يسمعون ذلك فلا يخوضون فيه بل يعرضون عنه إعراضا جميلا<sup>(٩٨٣)</sup> لذلك قال : بعد هذا على لسانهم (( وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم )) وقد قدم الجار والمجرور ( لنا أعمالنا )) لتثبيت معنى التأكيد في الإعراض عن اللغو وختم الآية بعبارة (( سلام عليكم )) إشارة لمبدأ السلام لديهم برغم جبروت الطرف المقابل بل أن السلام مطلق عام إذ جاء نكرة ليفيد كل صنف يندرج تحت هذا العنوان ، وجاء فعل الشرط في الموضع الثالث مبينا للمجهول (( ألقوا )) قصدا لمستوى دلالي فاستعماله يدل على أن الفعل أت من الخارج ، فضلا عن إيحاء الانزلاق الحاد في الفعل فكأنهم ألقوا على وجوههم واستنزلوا فيها ، ففرق بين قولنا ((

<sup>(981)</sup> ظ : روح المعاني : مج ٧ ، ٤٣٢/٩ .

<sup>(982)</sup> روح المعاني : مج ٧ ، ٤٣٢/٩ .

<sup>(983)</sup> ظ : م.ن : مج ١٢ ، ٢٦٣/٢٤ ، والميزان : ٥٥/١٦ .

ألقى زيد عمرا (( و (( ألقى عمر )) بالبناء للمجهول ، فكأن في الأولى تخفيفا لشدة الإلقاء وتخفيفا لأثره ، في حين أن الثاني إضمار للفاعل فكأن مدار الحدث سلط باتجاه الإلقاء بغض النظر عن الملقى وفي ذلك المعمار اللفظي دلالة التأكيد ، ثم أن التعبير القرآني عدل عن الاسم الصريح (( النار )) إلى ضميرها فقال (( سمعوا لها )) ليكسبها الضمير نوعا من الغموض والخوف فإن في ذكر الضمير خوفا وارتباكا ، ومن أجل أن يبلغ الوصف ذروته العليا حشدت الآية وصفين (( شهيق ، وتفور )) أما الأول : فهو الصوت وأشدُّ نُكرا من صوت الحمار لشدة غليانها وتوقدها<sup>(٩٨٤)</sup> فضلا عن بنيتها الصوتية الدالة على الشدة والتجبر ، أما الفوران : فهو وصف دال على بلوغ النار أعلى مستوياتها من الغليان (( أي تغلي بهم كغلي المرجل بما فيه من شدة التلهب والتسعر فهم لا يزالون فيها صاعدين هابطين كالحب إذا كان الماء يغلي به لا قرار لهم أصلا ))<sup>(٩٨٥)</sup> ، فيكون لفظ (( تفور )) حال موضحة وكاشفة لهيأة النار ، قال ابن عباس : وهذا من شدة لهب النار وشدة غضبها كما تقول فلان يفور غيظا<sup>(٩٨٦)</sup> ، فنحن إذن أزاء مشهد السعير المتسعر وقد دبّت فيها الحياة فإذا هي تنظر أولئك المكذبين بالساعة تراهم من بعيد فإذا هي تتغيظ وتزفر فيسمعون زفيرها وتغيظها وهم إليها في الطريق مشهد مرعب يزلزل الأقدام والقلوب<sup>(٩٨٧)</sup> .

ثالثا- لو + جملة الشرط + جملة جواب الشرط :

ورود هذا النسيج الشرطي بصور عدة :

أ: لو + جملة الشرط (( جملة فعلية فعلها مضارع )) + جملة جواب الشرط ((

فعلية فعلها مضارع مقترن باللام )) :

<sup>(984)</sup> ظ : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : الإمام برهان الدين أبي الحسين إبراهيم بن عمر البقاعي ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : بعد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ٢ ( ٢٠٠٣ ) : ٧١/٨ .

<sup>(985)</sup> ظ : م.ن : ٧١/٨ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ ، ١٣٨/١٨ .

<sup>(986)</sup> الجامع لأحكام القرآن : مج ٩ ، ١٣٨/١٨ .

<sup>(987)</sup> ظ : في ظلال القرآن : مج ٥ ، ٢٥٥٥/١٩ .

جاء هذا التركيب في سياق آية واحدة في قوله تعالى : ( وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ )<sup>(٩٨٨)</sup> (( والمعنى لو أفهمهم لما أجدى فيهم التفهم ، فكيف وقد سلبوا القوة الفاهمة : فعلموا بذلك أنهم مع انتفاء الفهم أحقّ بفقد القبول والهداية ))<sup>(٩٨٩)</sup> وقد تكون سياق الآية من تركيبين شرطيين كان الثاني بمثابة القيد المفسر لعدم وقوع تفاصيل الشرط الأول لسبق التيقن من النتيجة ، والسمع في الآيتين بمعنى : التفهم والتعقل والإدراك<sup>(٩٩٠)</sup> ، أي: لو علم الله فيهم خيرا لا سمعهم )) (سماح تفهم )) ولو أسمعهم وقد علم ألا خير فيهم (( لتولوا )) ولم ينتفعوا به وارتدوا عن التصديق والقبول<sup>(٩٩١)</sup> ، والملاحظ أن النص يعرض جملة من الاحتمالات في سبيل توجيه مسارهم وجهته الصحيحة وصولا إلى الاحتمال المستحيل وهو (( لو أسمعهم لتولوا )) لأنهم لا يتناغمون مع أيّ اتجاه من تلك الاتجاهات لذا ساق النص شرطين تتويجا لمركزية المعنى الذي حرصت عليه الآية وهو إظهار مستويات ضلالهم بدليل أن الجملتين قد اقترن جوابهما باللام المفيدة لمعنى التوكيد في وقوع جوابيهما ، فضلا عن الآيات التي سبقتها إذ كان مدارها الدلالي يدور على إفراز ظاهرة تعطيل سمعهم عن وظيفته الطبيعية ، وقد حاول النحاس (٣٣٨هـ) أن يوظف السياق في تجلية دلالة الآية بقوله : (( لأنهم استمعوا استماع عداوة ، ويبينه قوله ( إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ )<sup>(٩٩٢)</sup> أي إنهم بمنزلة الصم في أنهم لا يسمعون سماح من يقبل الحق وبمنزلة البكم لأنهم لا يتكلمون بخير ))<sup>(٩٩٣)</sup> وقد أثار فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) مفصلا خلافيا<sup>(٩٩٤)</sup> .

<sup>(٩٨٨)</sup> الأنفال من الآية: ٢٣ .

<sup>(٩٨٩)</sup> ظ : البرهان في علوم القرآن : ١٢٤/٣ .

<sup>(٩٩٠)</sup> ظ : تفسير البيضاوي : ٣٧٨/١ .

<sup>(٩٩١)</sup> ظ : الجامع لأحكام القرآن : مج ٤ ، ٢٤٦/٧ .

<sup>(٩٩٢)</sup> الأنفال من الآية: ٢٢ .

<sup>(٩٩٣)</sup> معاني القرآن الكريم : النحاس : ١٤٢/٣-١٤٣ .

<sup>(٩٩٤)</sup> رادا به ما ادعاه النحاة في وظيفة ( لو ) النحوية ، إذ لم ير أن ( لو ) تفيد انتفاء الشيء لأجل انتفاء غيره بل لا تفيد إلا الاستلزام ، لأنه باعتبار دلالة الآية الأولى أنه تعالى ما علم فيهم خيرا وما أسمعهم ، أما الثانية :



ثانيا : لو + جملة الشرط ( إن + اسمها + خبرها : جملة فعلية )) + جملة جواب الشرط (( فعل ماض ناقص + اسمه ( ضمير الشأن ) + خبره )) :

جاء هذا التركيب في سياق ذكر للمحرفين في قوله تعالى : ( مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا )<sup>(٩٩٥)</sup> وقد تصدرت (( لو )) الجملة الشرطية دالة بدلالاتها الأصلية في امتناع وجود الثاني لعدم وجود الأول<sup>(٩٩٦)</sup> ، لأن امتناع سماعهم وطاعتهم كان سببا في امتناع الخير منهم (( الجزاء )) فضلا عن إفادتها معنى التعليق في الماضي<sup>(٩٩٧)</sup> ، أي إن سماعهم لو لازمهم وقتئذ لما امتنع عنهم مدارار الخير بيد أنهم انزلقوا بأن صموا آذانهم عن الاستماع (( فلما كانت ( لو ) موضوعة لثبوت الحكم على تقدير : ليس بواقع ، لزم من ذلك أن يكون الفعل الذي تطلبه إذا كان مثبتا لفظا سواء أكان الأول أو الثاني منفيًا في الوجود وإن كان منفيًا لفظا أن يكون ثابتا في الوجود ))<sup>(٩٩٨)</sup> وبما أن الفعل الذي أردف ( لو ) هو مثبت لفظا بيد أنه منفي في الوجود أي لم يحصل في الواقع امتنع بسببه حصول الجزاء وهذا ما ينسجم مع إفادة (

---

فيكون مقصد ما أسمعهم وما تولوا لذا أنكر إفادتها تلك بقوله : (( فأول الكلام يقتضي الخبر ، وآخره يقتضي الخبر ، وذلك متناقض ، فثبت أن القول بأن كلمة (( لو )) تفيد انتفاء الشيء لانتهاء غيره يوجب هذا التناقض فوجب إلا يصار إليه ... وإنما تفيد مجرد الاستلزام )) التفسير الكبير : مج ٨ ، ١٤٨/١٥ . وعقب عليه صاحب (( اللباب )) بقوله : (( وهذا دليل حسن إلا أنه خلاف قول الجمهور )) ظ: اللباب في علوم الكتاب : ٤٨٩/٩ . - وأجد - أن اتجاه الرازي مخالف لاستقامة معنى الآية فهو حاول أن يلوي معنى الآية ليوجهها وجهة تقتضي انتفاء ما رآه النحاة في وظيفة (( لو )) وقد أجمع جُلُّ المفسرين بتجرد المذكورين في الآية من الخير في الاستماع وأن توليهم حاصل وإن سمعوا وما سوق الخطاب لهذين الخبرين إلا لاستكمال قطعية الحجة بذلك فإن انتفت النتيجة انتفى لأجلها الشرط وهذا مدار تحقق وظيفة (( لو )) الشرطية .

<sup>(٩٩٥)</sup> النساء من الآية : ٤٦ .

<sup>(٩٩٦)</sup> ظ : شرح المفصل : ١٥٦/٨ .

<sup>(٩٩٧)</sup> ظ : الطراز ٢/٢١١ .

<sup>(٩٩٨)</sup> البرهان الكاشف في إعجاز القرآن : ١٩١ .

لو ( للتعليق إذ يلزم أن يكون شرطها منفي الوقوع<sup>(٩٩٩)</sup> ، فضلا عن إفادتها معنى بعد وقوع فعل السماع ، وكان لوقوع أن واسمها وخبرها بعد (( لو )) نقطة خلاف بين المفسرين فنفروا فريقتين :

الأول : إن (( أن )) واسمها وخبرها في موضع الفاعل ، والفعل مضمرة والتقدير (( لو ثبت قولهم هذا ))<sup>(١٠٠٠)</sup> إشارة إلى كلمة (( إن )) الواقعة بعد (( لو )) مع ما في خبرها في تأويل المفرد لكونها واقعة فاعلا لفعل محذوف لذلك يجب فتح (( أن )) الواقعة بعدها إلى أن اسم (( كان )) في قوله (( لكان خيرا لهم )) يرجع إلى قوله (( أنهم قـالوا )) لكونه فـي تأويل المصدر<sup>(١٠٠١)</sup> ، وقيل أن هذا مذهب المبرد والزجاج والكوفيين<sup>(١٠٠٢)</sup> .

الثاني : رأى أن (( أن )) وما دخلت عليه في موضع رفع بالابتداء ولا يحتاج إلى خبر لاشتغال صلتها على المسند والمسند إليه ، وقيل : الخبر محذوف ، ثم قيل : تصدر مقدا ، أي : (( لو ثبت أنهم سمعوا )) أو (( لو ثبت سمعهم )) ونسب هذا الرأي لسيبويه (١٨٠هـ) ويرى ابن عصفور (٦٥٦هـ) أن (( كلا المذهبين فيه خروج لـ ( لو ) عن موضعها ، وذلك أنه إذا جعلت (( أن )) وما بعدها في موضع الفاعل ، والفاعل مضمرة كان لـ ( لو ) خروج عن بابها أن وليها الفعل مضمرا في فصيح الكلام وهو لا يجوز إلا في الضرورة ، ومن قال : إن (( أن )) وما بعدها في موضع المبتدأ ، ففي ذلك خروج عن بابها ، لأنه قد وليها الاسم لفظا وتقديرا ، وهذا المذهب أحسن لأن المذهبين خروج لـ ( لو ) عن بابها لعدم الإضمار أحسن من تكلفه ))<sup>(١٠٠٣)</sup> ، وسيقت الجملة الشرطية على سبيل التوكيد بـ (( أن )) فضلا عن اللام المزيدة لمعنى التوكيد إذ تدخل الأخيرة في جوابها دالة على التوكيد ، وقد ورد الشرط

<sup>(999)</sup> ظ : المطالع السعيدة في شرح الفريدة : جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي ، تح : د. نيهان ياسين حسين ، دار الرسالة للطباعة - بغداد (١٩٧٧) : ١٢٠/٢ .

<sup>(1000)</sup> تفسير البيضاوي : ٣٣٥/٣ .

<sup>(1001)</sup> ظ : حاشية محي الدين الشيخ زاده : ٣٣٠/٣ .

<sup>(1002)</sup> ظ : المطالع السعيدة : ١٢١/٢ .

<sup>(1003)</sup> شرح الجمل : ١٤١/٢ .

والجواب مؤكدين تعميق معنى واحد في جملة واحدة فارتفع لذلك مستواها الدلالي ليبدل على أنهم لو سمعوا لحصدوا ثمار سمعهم والمعنى (( أنهم لو قالوا بدل قولهم : سمعنا وعصينا قولهم (( سمعنا وأطعنا )) لعلهم بصدقك وإظهار الدلائل والبنيات مرات بعد مرات ، ويبدل قولهم (( واسمع غير مسمع )) وبديل ولهم (( راعنا )) قولهم (( أنظرنا )) أي اسمع من ما نقول وأنظرنا حتى نفهم منك لكان خيرا لهم وأقوم أي أعدل وأصوب ))<sup>(1004)</sup> لأنهم بمغايرتهم مواضع الكلم قد دخلوا باب المعصية .

يتضح مما تقد : أن أسلوب الشرط مثل ركيزة متينة في الدلالة لفعل السَّمْع لأن سماع الإنسان لم يكمن سمعا ملازما إنما يحدث وفق متطلبات الموقف ، وقد تعامل معه بتقنية استعمالية دقيقة في توظيف أدوات الشرط بحسب يقين الفعل ورجحانه ، فضلا عن ملازمة الجواب للشرط في الحدوث وهو ما يسمى بالشرط (( الملازم )) أو التحقيقي .

#### المبحث الرابع

##### دلالة التعدي في أفعال السَّمْع

يعد مبحث التعدي واللزوم في بنية الفعل من المباحث التي أولاها النحاة (( قدامى ومحدثون )) أهمية كبيرة ، لارتباط ذلك المبحث بتوجيهات دلالية يفرزها الفعل من خلال صور تعديته وتعدد أجناسها ، وقد لاحظ البحث أن الفعل (( سَمِعَ )) في الخطاب القرآني قد أسس ارتباطات دلالية داخل بناء الآية المضمَّن فيها ، فقد عدي بنفسه تارة ، وبالواسطة تارة أخرى ، ولمفعول واحد أو مفعولين تارة ثالثة :

الفقرة الأولى : تعديّة ( سَمِعَ ) لعدد المفاعيل :

أولا : تعديّة (( سَمِعَ )) إلى مفعول واحد : ، وهو أكثر الموارد التي جاء عليها في الخطاب القرآني ، إذا ذهب أكثر النحاة إلى أن أفعال الحواس تتعدي إلى مفعول

(1004) التفسير الكبير : مج ٥ ، ١٠ / ١٢٢ .

واحد بذاتها<sup>(١٠٠٥)</sup> ، لأن مقتضى معناها قائم على ذلك ، فالسمع مثلا لا يطلب إلا مسموعا كـ (( سمعت نداء زيد )) وكقوله تعالى : ( وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ )<sup>(١٠٠٦)</sup> ، إذ وقع (( اللغو )) هنا مفعولا لـ (( سمع )) وقد لاحظ البحث صورا متعددة حينما يستوفي الفعل (( سَمِعَ )) مفعولا واحدا كما يتضح من خلال ما يأتي :

أ- توالي الفعل والفاعل والمفعول به من دون أن يفصل بينهم جار ومجرور وقد ورد تكرار هذا النمط ثلاثين مرة<sup>(١٠٠٧)</sup> ، كقوله تعالى : ( يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ )<sup>(١٠٠٨)</sup> ، إذ تلازمت أركان الجملة الفعلية المكونة لها .

ب- الفصل بين الفاعل والمفعول به بالجار والمجرور وقد ورد أربع عشرة مرة<sup>(١٠٠٩)</sup> ، كقوله تعالى : ( لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا )<sup>(١٠١٠)</sup> ، وإنما فصل بينهما هنا - كما أجد - لتوكيد انتفاء سمعهم للغو والتأثيم ، فكأن شبه الجملة هنا منحت الآية المباركة طابعا من صفة القصد والتوكيد على إطلاق النفي لذلك الفعل أساسا ، بمعنى أنها أفادت دلالة القصر وتحديد مكان انتفاء اللغو والتأثيم إذ إنهم قد سمعوا ذينك الفعلين في غير مقام الجنة وما يعضد صلاحية هذا المعنى أن (( الهاء )) المتصلة بحرف الجر (( في )) تعود على الجنة ، وقد لاحظ البحث أن معظم تلك الموارد التي حصل بها الفصل بين (( الفاعل والمفعول به )) بشبه الجملة قد سيقت لتصوير مشهد أخروي ولا يخفى أن نقل أحداث مشهد من مشاهد الآخرة وتصويره بأدوات لغوية يحتاج نوعا من المغايرة في بناء التركيب والمخالفة في نظم التأليف .

---

<sup>(1005)</sup> شرح المقدمة المحسبة : الطاهر بن أحمد بن بابشاذ ، تح : خالد عبد الكريم : المطبعة العصرية ، الكويت ، ط: ١ ( ١٩٧٧ ) : ٣٠٢/٢ ، شرح ملحمة الإعراب : أبو القاسم بن علي الحريري البصري ، تح : د. فائز فارس ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط : ١ ( ١٩٩١ ) : ٩٢ .

<sup>(1006)</sup> القصص من الآية: ٥٥

<sup>(1007)</sup> ظ : ملحق برقم : ( ٩-أ ) .

<sup>(1008)</sup> ق من الآية: ٤٢ .

<sup>(1009)</sup> ظ : ملحق برقم ( ٩-ب ) .

<sup>(1010)</sup> الواقعة من الآية: ٢٥ .

ج- قد يرد المفعول به اسما ظاهرا وقد أضيف إلى اسم موصول ، كقوله تعالى

:

( لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ) (١٠١١) ، ولم يرد سوى ثلاث مرات (١٠١٢)

.

د- تعدى (( سَمِعَ )) لمفعول غير ظاهر في خمسة عشر موضعا (١٠١٣)

، وبالصور الآتية :

١- قد يقع المفعول به ضميرا متصلا سواء أكان للمخاطب أو للغائب أو للمتكلم

كقوله تعالى : ( لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ) (١٠١٤) .

٢- قد يقع المفعول به اسما موصولا كقوله تعالى : ( وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى

الرَّسُولِ تَرَى أُعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ) (١٠١٥) .

٣- قد يعدى الفعل ( سمع ) بأحد حروف المعاني برغم تعديته (( سَمِعَ )) بنفسه

لمقصد دلالي يقصده النص كقوله تعالى : ( فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ) (١٠١٦) ، إذ عدي

الفعل بالباء لزيادة التوكيد (١٠١٧) أو لتضمينه معنى الإصغاء (١٠١٨) أو لتضمينه معنى

الإخبار ، وأيا كان معنى التضمين فإن التعديته هنا حققت دلالة لم تحقق فيما لو عُدي

بنفسه – كما سيتضح – (١٠١٩) .

ثانيا : تعديته (( سمع )) لأكثر من مفعولين :

(1011) آل عمران من الآية: ١٨١ .

(1012) الآيات : (( آل عمران : ١٨١ ، المجادلة : ١ ، المائدة : ٨٣ )) .

(1013) الآيات: (( النور : ١٢ ، ١٦ ، القصص : ٣٦ ، ص : ٧ ، البقرة : ١٨١ ، الجاثية : ٨ ، الشعراء :

٧٢ ، الأنبياء : ٢ ، طه : ١٣ الطور : ٣٨ ، الإسراء : ٤٧ ، ٤٧ ، يوسف : ٤٢ ، محمد : ١٦ ، الصافات :

(( ٢٨

(1014) النور من الآية: ١٢ .

(1015) المائدة من الآية: ٨٣ .

(1016) يوسف من الآية: ٣١ .

(1017) ظ : التحرير والتوير : ٢١٦/١٢ .

(1018) ظ : الإعجاز القصصي في القرآن : ٢٦٥ .

(1019) ظ : البحث ، الفقرة الثانية من هذا البحث .

وقع الخلاف بين العلماء (( نحاة ومفسرين )) في عدد المفاعيل التي يتعدى إليها

الفعل

(( سمع )) بعد أن اتفقوا على تعديته بنفسه يجملها البحث بالآتي :

أ- اتفق النحاة أن الفعل (( سَمِعَ )) إذ تعدى إلى ما يمكن أن يسمع نصب مفعولا واحدا بلا خلاف<sup>(١٠٢٠)</sup> كقولهم : (( سمعت كلام زيد )) .

ب- ولكن الخلاف وقع في تعديته إلى غير المسموع كقولهم (( سمعت زيدا يتكلم )) ، فظن فريق منهم<sup>(١٠٢١)</sup> أنه مضارع لعمل (( ظن )) واشترطوا صفة السماع في الثاني ، وحجتهم بذلك إن (( سَمِعَ )) عندما دخل على ما لا يسمع جيء له بمفعول ثان له معنى المسموع ، فضلا عن أن الفعل (( ظن )) لما دخل على (( زيد )) وهو غير مظنون في المعنى جيء له بعد ذلك بمفعول ثان له معنى المظنون ، فيقال : ظننت زيدا منطلقا يقول أبو علي الفارسي (٣٩٥هـ) (( وأفعال الحواس كلها متعدية نحو رأيته وشمته وذقته ولمسته وسمعته ، إلا أن سمعت يتعدى إلى مفعولين ولا بد أن يكون الثاني مما يسمع كقولك : سمعت زيدا يقول ذاك ، ولو قلت سمعت زيدا يضرب أخاك ، لم يجز ، فإن اقتضرت على مفعول واحد وجب أن يكون مما يسمع ))<sup>(١٠٢٢)</sup> ج- إلا أن جمهور النحاة أنكروا ذلك ، وأصروا على تعديته لمفعول واحد ، وعللوا ذلك أنه لو كان مما يتعدى إلى مفعولين فهو أما من باب (( ظن )) أو (( أعطى )) وكلاهما باطل لأن

(( يتكلم )) في قولهم (( سمعت زيدا يتكلم )) فعل ، والفعل لا يكون في موضع المفعول الثاني من باب (( أعطى ))<sup>(١٠٢٣)</sup> لأنه جملة ، والجملة لا تقع مفعولة إلا في

<sup>(1020)</sup> ظ : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الراجعي ، الرياض ، ط : ١ (١٩٨١) : ١٧٢/٩ ، والتحرير والتنوير : ٢٦١/١٢ .

<sup>(1021)</sup> ظ : شرح جمل الزجاجي : ٣٠٢/١ ، مغني اللبيب : ٤١٧/٢ ، والبحر المحيط : ٣٢٤/٦ .

<sup>(1022)</sup> المقتصد في شرح الإيضاح : عبد القاهر الجرجاني ، تح : د. كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر - بغداد ، (د.ت) : ٥٩٧/١ .

<sup>(1023)</sup> ظ : شرح جمل الزجاجي : ٣٠٣/١ .

الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر وليس سَمِعَ منها<sup>(١٠٢٤)</sup> ، وباطل أيضا أن يكون من باب (( ظن )) لأن (( ظن وأخواتها )) يجوز فيها الإلغاء ولا يجوز إلغاء سَمِعَ<sup>(١٠٢٥)</sup> ، لذا عدوا الجملة التي بعد المفعول الأول حالا على تقدير حذف مضاف ، فالتقدير : سمعت صوت زيد في حال كونه يتكلم<sup>(١٠٢٦)</sup> ، وبهذا فسروا قوله تعالى : ( قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ )<sup>(١٠٢٧)</sup> فلا بد من تقدير محذوف ، أي : يسمعون دعائكم<sup>(١٠٢٨)</sup> ، أو يسمعونكم تدعون<sup>(١٠٢٩)</sup> (( فعلى الأول هي متعدية لواحد اتفاقا ، وعلى الثاني هي متعدية لأثنين قامت الجملة المقدره مقام الثاني وهو قول الفارسي ، وعند غيره الجملة المقدره حالا ))<sup>(١٠٣٠)</sup> ، وقد يقع المنصوب صفة كقوله تعالى : ( قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ )<sup>(١٠٣١)</sup> ، فالجملة (( يذكرهم )) صفة لفتى<sup>(١٠٣٢)</sup> ، وليس مفعولا ثانيا ، فالملاحظ : أن محل الخلاف يكمن في نوع التعدية وصورة تركيب الجملة ، وأرى : أن رأي الجمهور أقرب للقبول إذ لاحظ البحث أن النص القرآني عندما يورد الفعل (( سَمِعَ )) وقد استوفى مفعوله يكون مفعولا واحدا ، وتكون الجملة التي بعده حالا أو صفة لأن طبيعة المعنى الإجمالي للآية يقبل ذلكالتقدير ، ففي قوله

<sup>(1024)</sup> ظ : شرح المفصل : ٧٢/٧ .

<sup>(1025)</sup> ظ : شرح جمل الزجاجي : ٣٠٣/١ ، حاشية الصباني على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : محمد بن علي الصبان ، دار إحياء الكتب العربي ، (د.ت) : ١٩/٢ .

<sup>(1026)</sup> ظ : البحر المحيط : ٣٢٤/٦ ، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل : محمد الخضري ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، (د.ت) : ١١٧/١ .

<sup>(1027)</sup> الشعراء من الآية : ٧٢ .

<sup>(1028)</sup> ظ : معاني القرآن للأخفش : سعيد بن سعدة البلخي الجاشعي ، دراسة وتحقيق : د. عبد الأمير محمد أمين الورد ، علم الكتب - بيروت ، مكتبة النهضة العربية ، ط : ١ (١٩٨٥) : ٦٤٦/٢ ، والكشاف : ١١٧/٣ ، والتبيان في تفسير القرآن : ٩٩٦/٢ .

<sup>(1029)</sup> ظ : البحر المحيط : ٢٣/٧ .

<sup>(1030)</sup> اللباب في علوم الكتاب : ٣٩/١٥ .

<sup>(1031)</sup> الأنبياء من الآية : ٦٠ .

<sup>(1032)</sup> ظ : الكشاف : ١٢٤/٣ ، والبحر المحيط : ٣٢٤/٦ .

تعالى : ( رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ ) (١٠٣٣) فجملة (( ينادي للإيمان )) صفة للمنادي (١٠٣٤) ، لأن المراد من دلالة (( سَمِعَ )) إثبات فعل السَّمْعِ ابتداءً أما نوعه و صفته أو حاله فهي مرحلة تؤدي بخطوة ثانية .

الفقرة الثانية : تعديّة (( سَمِعَ )) بالواسطة :

الفعل المتعدي : هو الذي يتعدى لمفعول واحد أو أكثر بنفسه فلا يحتاج بذلك إلى واسطة (١٠٣٥) ، ولكن قد يتعدى الفعل الذي يتعدى بنفسه بحرف من حروف المعاني لمطالب دلالية يقصدها منشيء النص ، وقد وقعت هذه الظاهرة في الفعل (( سَمِعَ )) ، فلما كان متعدياً بنفسه وهو أكثر الاستعمالات التي جاء عليها نراه قد عُدي بالواسطة وما تلك إلا لقصد استعماله منظور فرضته مطالب سياقية في بنية النص بأكمله ، كما يتضح من خلال ما يأتي :

أ- تعديّة (( سَمِعَ )) بالباء : ومن ذلك قوله تعالى : ( فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا ) (١٠٣٦) إذ عُدي الفعل (( سَمِعَ )) هنا بالباء ، ولو قيل : فلما سمعت مكرهن لكان الكلام مستقيماً على الأصل في الاستعمال ، بيد أن النظام القرآني بهذا الموضع غير في الاستعمال ، ولا تكون تلك المغايرة إلا لسر دلالي لعله يتصل بوظيفة هذه (( الباء )) التي تستمد من نظام السياق (( فإنها تفيد معنى الملازمة والمعنى : فلما سمعت ما يتصل ويلابس مكرهن أي سمعت الأقاويل التي صدرت عن مكر )) (١٠٣٧) ، ولما كان فعل (( المكر )) تلتبس به حدود الأشياء ويلابس بعضها بعضاً لأنه يقوم على تجاوز السائد من الأعراف ناسب تعديّة الفعل هنا ما سيق له من

(1033) آل عمران من الآية: ١٩٣ .

(1034) ظ : البحر المحيط : ١٤١/٣ ، مواهب الرحمن في تفسير القرآن : عبد الأعلى الموسوي السبزواري ،

مطبعة الديواني - بغداد ، ط : ٣ (١٩٨٩) : ١٨٥/٧ .

(1035) ظ : شرح ابن عقيل : ١٥٢/٢ .

(1036) يوسف من الآية: ٣١ .

(1037) الإعجاز القصصي في القرآن : ٢٦٥ .



معنى ، فضلا عن أن (( الباء )) إفرزت دلالة التوكيد <sup>(١٠٣٨)</sup> ، وقيل : أن الفعل إنما عديب(( الباء )) لتضمنه معنى الأخبار <sup>(١٠٣٩)</sup> ، وأظن : أن (( الباء )) هنا قد ناسبت فعل (( المكر )) لأن النسوة قد تمادين في الظن والبخل واستنتاج أشياء كانت يمكن أن تترتب على المراودة في قولهن (( امرأة العزيز تراود فتاها )) لأن فعل (( المكر )) بما يشتمل عليه من زيغ في السلوك وأنحراف في التعامل جاءت الباء لترفع من درجة ضجر امراءة العزيز وألمها ، ومن ذلك قوله تعالى : ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ) <sup>(١٠٤٠)</sup> ، ولو قال (( يسمعونك أو يستمعونه )) لصح واستقام و (( لكن لما كان الغرض ليس الأخبار عن الاستماع فقط ، وكان متضمنا أن الاستماع كان على طريق الهزء بأن يقولوا : مجنون أو مسحور جاء الاستماع بالباء والى ليعلم أن الاستماع ليس المراد به تفهم المسموع دون هذا المقصد )) <sup>(١٠٤١)</sup> ، فالباء هنا وجهت فعل السماع غير وجهته الأساس الذي إذا ذكر انصرف الذهن إليه وهي : (( الاستماع قصد الفهم والإفهام )) وقد دلَّ هنا على ضدهما ومقابلهما سلبا وهو الهزء والسخرية ، فضلا عن إفراز دلالة القصد والإصرار على فعل الاستهزاء من قبلهم والتأكيد عليه أي (( نحن أعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو الهزء والتكذيب )) <sup>(١٠٤٢)</sup> ، ففرق بين قولنا (( استمعت واستمعت به )) فدلالة الأولى مجردة من الإصرار والتعمد فيما الثانية متضمنة له ، - إذن - اتضح من خلال المثالين السابقين أن الباء التي عدي بها الفعل (( سَمِعَ )) قد حققت ملامح دلالية ، تتسق مع مطالب السياق العامة الذي سيقنت من أجله الآية ، ولو جُرد الفعل منها لضعفت مستويات تلك الدلالة أصلا وتداخلت حدود المراد منها .

ب: تعدية (( سَمِعَ )) بـ(( إلى )) :

<sup>(1038)</sup> ظ : التحرير والتتوير : ٢٦١/١٢ .

<sup>(1039)</sup> ظ : خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب : ١٧٢/٩ ، والتحرير والتتوير : ٢٦١/١٢ .

<sup>(1040)</sup>الإسراء من الآية: ٤٧ .

<sup>(1041)</sup> اللباب في علوم الكتاب : ٣٠٢/٢ .

<sup>(1042)</sup> التفسير الكبير : مج ١٠ ، ٢٢٤/٢٠ .

ومن ذلك قوله تعالى : ( لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ ) (١٠٤٣) ، فليس المراد هنا السَّمْع الحسي إنما درجة أعلى منه وهي الإصغاء (( فلذلك عُدي بآلى وقيل أن معنى سمعت إليه ملت إلى جهته سمعي )) (١٠٤٤) ، وإنما عُدي لكونه مضعفاً (( ولو كان مخففاً لم يتعد بآلى ... واعلم أن الفرق بين قولك سمعت حديث فلان وبين قولك سمعت إلى حديثه أن قولك : سمعت حديثه يفيد الإدراك وسمعت إلى حديثه يقيد الإصغاء مع الإدراك )) (١٠٤٥) ، و على ذلك إن مقصد (( لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ )) نفي للإدراك والإصغاء معا وهو أكثر بلاغة على مدلول نفي السماع أو التسمع ، لأنه تعالى نفي (( أن يقع منهم استماع أو سماع قال في هذا : كانوا يستمعون ولكن لا يَسْمَعُونَ وروي عن ابن عباس : لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ قَالَ : هم لا يَسْمَعُونَ ولا يتسمعون )) (١٠٤٦) لأن السماع إدراك والاستماع وهما منفيان هنا ، وهذا أقوى في ردع الشياطين ومنعهم من استماع أخبار السماء فإن الذي منع من الاستماع بأن يكون ممنوعاً من السَّمْع أولى (١٠٤٧) ، من هنا يتضح : أن الفعل (( سَمِعَ )) لما ضُعف نتيجة إدغام التاء في السين (١٠٤٨) عُدي بـ(( إلى )) وكان من حقه أن يتعدى بنفسه ، لأن النص هنا لا يريد نفي السَّمْع بقدر نفي التسمع فضلاً عن (( أنه يلزم من نفي الإصغاء نفيه بالطريق الأولى والتهويل لأنهم إذا كانوا مع إصغائهم لا يسمعون يدل على مانع عظيم ودهشة تذهلهم عن الإدراك )) (١٠٤٩) ، وقيل : أنه إنما عُدي بـ(( إلى )) لتضمنه معنى الانتهاء لا الإصغاء أي : لا ينتهون بالسمع والتسمع إلى الملاء الأعلى (١٠٥٠) .

ج: تعديّة (( سَمِعَ )) بـ(( اللام )) :

(1043) الصافات من الآية: ٨ .

(1044) غرائب القرآن و رغائب الفرقان : ٥٥٥/٥ - ٥٥٦ .

(1045) اللباب في علوم الكتاب : ٢٨/٦ .

(1046) الجامع لأحكام القرآن : مج ٨ ، ٤٥/١٥ .

(1047) ظ : اللباب في علوم الكتاب : ٢٨/١٦ .

(1048) ظ : البحث ، المستوى الصوتي : ٢٨ .

(1049) حاشية الشهاب : ٢٤٥/٨ .

(1050) ظ : حاشية الشهاب : ٢٤٥/٨ .

ورد ذلك في قوله تعالى : ( وَإِنْ يُقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ )<sup>(١٠٥١)</sup> – هنا أيضا –

عُدي  
بـ(( اللام )) التي تجعل معنى الفعل ( مال الى ) وأظن : أن سماع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم كان سمعا متقصدا قصد الفهم والإدراك فر(( السماع متضمن معنى الإصغاء وليست اللام زائدة ))<sup>(١٠٥٢)</sup> ، وهذا توبيخ لهم إذ كان منظرهم يروق جمالا ، وقولهم يجلب بيانا لكنهم كالخشب المسندة إذ لا إفهام لهم نافعة<sup>(١٠٥٣)</sup> ، فالمراد بالسماع في : (( تسمع لقولهم )) الإصغاء إليهم لحسن إبانتهم ، وفصاحة ألسنتهم مع تقريرهم بحلاوة معانيهم<sup>(١٠٥٤)</sup> ، ( فاللام ) هنا كانت بمثابة المدلل على صنف دلالي آخر غير ظاهر ما يوحي به الأصل المعجمي لـ(( سَمِعَ )) إذ أفادت اللام هنا معنى (( الاختصاص )) أي : اختصاص الرسول لسماع كلامهم وتفهم مقاصده لأنهم كانوا ذوي بيان وملكة تعبير ساحرة ، ولكن بيانهم كان بيانا مؤسسا على العناد والكبرياء المعوج ، ولو أسقطت (( اللام )) لما تحقق ذلك الظل الدلالي ولما برزت تلك المستويات أصلا .  
وخلاصة ما تقدم : أن الفعل (( سَمِعَ )) إذا ما جاء متعديا بوساطة في سياق التعبير القرآني إنما يدل على معنى (( الإصغاء )) الذي يرتفع درجة على السماع لأن تلك الحروف تكسب دلالة الآية طابعا آخر من المغايرة في التوجه الدلالي لها بحسب ارتباطات دلالية

<sup>(1051)</sup> المنافقون من الآية: ٤ .

<sup>(1052)</sup> روح المعاني : مج ٩ ، ١٤ / ٣٠٥ .

<sup>(1053)</sup> تفسير الثعلبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن : عبد الرحمن بن محمد الثعلبي المالكي ، حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه الشيخ علي محمد معوض الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، عبد الفتاح أبو سنة دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان ، ط : ١ (١٩٩٧) : ٤ / ٣٠٣ .

<sup>(1054)</sup> ظ:التحرير والتنوير : ١ / ٤٤٢٦ .

## الفصل الرابع

### المستوى الدلالي لألفاظ السَّمع في القرآن الكريم

مدخل

المبحث الأول : دلالة السياق لألفاظ السمع :

الفقرة الأولى : التناسب بين السياق وفاصلة السمع القرآنية :

١- الفصل بـ(( تسمعون )) و (( تبصرون )) .

٢- الفصل بـ(( يسمعون )) .

٣- الفصل بـ(( السميع العليم )) .

٤- الفصل بـ(( السميع البصير )) .

٥- الفصل بـ(( سميع الدعاء )) .

الفقرة الثانية : أثر السياق في دلالة التقديم والتأخير :

١- تقديم السمع على البصر .

٢- تقديم البصر على السمع .

٣- تقديم السمع على العلم .

٤- تقديم السمع على الفؤاد .

٥- تقديم القلب على السمع .

المبحث الثاني : دلالة اقتران السمع بالألفاظ ذات الصلة ، وقد توزع على النقاط

الآتية :

١- اقتران السمع بالبصر .

٢- اقتران السمع بالبصر والفؤاد .

٣- اقتران السمع بالعقل .

المبحث الثالث : تغاير التركيب وأثره في المعنى الواحد (( تلاقي التعبير

واختلاف التركيب )) .

المبحث الرابع : دلالة الإطلاق والعموم .

مدخل :

إن العلاقة بين النص ودلالته علاقة ترابطية ناشئة من القصد الوظيفي في الإفصاح والإبانة ، لذا لا يمكن أن تكون هناك لغة بلا معنى<sup>(١٠٥٥)</sup> ، وأن هدف أية دراسة في أي فرع من فروع اللغة أو النحو إنما هو فهم المعنى وتحديدده لأنه المحطة الأخيرة والهدف الأساس لمستويات النص كافة: اجتماعية وصوتية وصرفية ونحوية ومعجمية<sup>(١٠٥٦)</sup> ، إذ إن (( الدلالة هي جوهر الظاهرة اللغوية ، وبدونها لا يتأتى للألفاظ والتركيب وظيفة وفاعلية ))<sup>(١٠٥٧)</sup> ، لذا تعدُّ دراسة المستوى الدلالي للنص القرآني دراسة لمرادات النص وتوجهاته القصديّة فهي دراسة لروح النص نفسه الذي تنتظم به الدلائل في مستويات متعددة (( دلائل نصية داخلية ودلائل نصية خارجية )) فلأجل ملامسة معنى النص توظف الدلائل كلها ، ومهمة هذا الفصل بيان دلالة ألفاظ السمع وهي في سياقها والبحث في اختيار النص لها وتحديد الفوارق بين استعمال وآخر .

<sup>(1055)</sup> ظ : علم الدلالة : أحمد مختار عمر ، مكتبة العروبة ، ط : ١ ( ١٩٨٢ ) : ١١ .

<sup>(1056)</sup> ظ : م.ن : ٥ .

<sup>(1057)</sup> ظ : علم الدلالة عد ابن جني : د. عبد الكريم مجاهد عبد الرحمن ، مجلة الدار ، العدد : ١ ، سنة :

## المبحث الأول

### دلالة السياق لألفاظ السَّمع

المراد بالدلالة السياقية : (( النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم ))<sup>(١٠٥٨)</sup> لأن المعنى المعجمي قد لا يفسر أو يقدم المعنى إلا في ضوء السياق المحدد الدلالة، فالسياق اللغوي يحل إشكالات لغوية كثيرة ومعقدة تقف حائلا دون فهم التراكيب اللغوية<sup>(١٠٥٩)</sup> وتظهر آثار الدلالة السياقية في النص القرآني من البنى اللغوية الفاعلة في تمييز متشابهات الاستعمال (لتعدد والاحتمال) بتقييد المطلق أو تفصيل المجلد أو تسويغ قصد الاختيار للمفردات، لذا أرجع الزركشي (٧٩٤هـ) أهمية دلالة السياق إلى أنه (( يرشد إلى تبيين المجلد ، والقطع بعد الاحتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، أو تقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على

---

<sup>(1058)</sup> دور الكلمة في اللغة : ٥٤-٥٥ .

<sup>(1059)</sup> ظ : اللغة والمجتمع ( رأي ومنهج ) : د. محمود السمران ، دار المعارف - الاسكندرية ، ( ١٩٦٠ ) :

مراد المتكلم)) (١٠٦٠) ، وقد كان للسياق في ألفاظ السَّمع القرآنية دور مزدوج في تحديد قصد الاختيار لفاصلة السَّمع وتسويغ سمة التقديم والتأخير على ألفاظ ذات صلة بمفردة (سَمِعَ) كما يأتي :

الفقرة الاولى: التناسب بين السياق وفاصلة السَّمع القرآنية :

إن جمالية النسق الكلامي في بناء النص – أيا كان – قائمة على سمة التناسب بين أجزائه من مفتتح لطيف وختام منيف ، ومقصد شريف احتضنها الكلام الواحد (١٠٦١) ، وهكذا كان التناسب بين فواصل الذكر الحكيم وما سبق قبلها من معنى فقد كان ترابطا مبنيا على وفق إيقاع التناسب ، فبالفاصلة (( يكمل معنى الآية ويتم بها النغم الموسيقي ... وتأتي الفاصلة في القرآن الكريم مستقرة في قرارها مطمئنة في موقعها ، فهي تؤدي في مكانها جزء من المعنى ينتقص ويختل بنقصانها )) (١٠٦٢) وهو سر عظيم من أسرار القرآن الكريم (١٠٦٣) ، وقد جاءت فاصلة السَّمع القرآنية على وفق اختيار مخصوص حيث تطلبها السياق ، وانتظمت ببنى منسجمة مؤثرة حيث أريد الانسجام بينها وبين جو الآية ومعناها ، فضلا عن التناسب الدلالي بينها وبين سياقها ، سواء كان ذلك المناسب : عاما أو خاصا ، عقليا أو حسيا أو خياليا أو غير ذلك من أنواع العلاقات ، أو كان تناسبا ذهنيا كالسبب والمسبب والعلة والمعلول ، والنظرين أو الضدين

ونحوه (١٠٦٤) ، وسيقف البحث على تلك التنوعات في فاصلة السَّمع القرآنية محاولا إيجاد الرابط الضامن بين السياق والفاصلة :

١- الفصل بـ (( تسمعون )) و (( تبصرون )) :

(1060) البرهان في علوم القرآن : ٧٩/١ .

(1061) ظ : التمهيد في علوم القرآن : ٤٥٣/٥ .

(1062) البناء الصوتي في البيان القرآني : د. محمد حسن شرشر ، دار الطباعة المحمدية – القاهرة ، ط : ١

(١٩٨٨) : ٦٩-٧٠ .

(1063) ظ : البرهان في علوم القرآن : ٧٩/١ .

(1064) ظ : م.ن : ٣٥/١ .

تتالت هاتان الفاصلتان في قوله تعالى : ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ تَسْمَعُونَ ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَيْلٍ تَبْصُرُونَ ) (١٠٦٥) فنلاحظ أن الآيتين قد أقيمت سمة الاختيار لفاصلتيهما على وفق معنييهما ، فسياق الآية الأولى دار حول آيات إلهية تدرك بالسمع فختمها بما يناسبها (( دليل سمعي )) في حين أن سياق الثانية تضمن آيات تدرك بالبصر فجاءت الفاصلة منسجمة معه كما يتضح من خلال المخطط الآتي :

الآية الأولى (( دليل سمعي = الليل ← أفلا تسمعون )) الآية الثانية (( دليل النهار ← أفلا تبصرون )) .

(( فلما كان الليل محل السكون ومجمع الحواس فهو أمكن للسمع وأنفذ للفكر  
فقال : ما يقال لكم إصغاء وتدبراً ... ولما كان الضياء مما ينفذ فيه البصر  
فقال :

أفلا تسمعون أي : ما يقال لكم إصغاء وتدبراً ... ولما كان الضياء مما ينفذ فيه البصر  
فقال :

أفلا تبصرون ، أي : بالبصر والبصيرة ... قال المبرد : السَّمْعُ بالليل وسلطان البصر  
في

النهار )) (١٠٦٦) وهذا من دقيق المناسبة المعنوية (١٠٦٧) ، فنلاحظ رفعة الاختيار وعمق المناسبة وحسن التوقيع مما يعد صورة أخرى من صور إعجازه ، وسيقت الفاصلتان (( تسمعون وتبصرون )) كذلك في قوله تعالى : ( أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْفُرُوجِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ، أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ )

(1065) القصص : ٧١-٧٢ .

(1066) نظم الدرر : ٢١٤/٥ .

(1067) ظ : البرهان في علوم القرآن : ٨٢/١ .



(١٠٦٨) وهنا تبرز ملامح التناسب وسمات الانسجام بين السياق والفاصلة ، فالموعظة في الآية الأولى (( سمعية )) إذ قال (( أ ولم يهد لهم )) ولم يقل (( أ ولم يروا )) فختم بـ (( أ فلا يسمعون )) لأنه تقدّم ذكر الكتاب وهو مسموع أو أخبار القرون وهي مما يسمع ، أما الآية الثانية الموعظة فيها (( بصرية )) (( أولم يروا )) ففصل بمناسبتها (( أفلا تبصرون )) لأن سوق الماء إلى الأرض الجزر مرئي<sup>(١٠٦٩)</sup> ، فناسب الاستعمال القرآني كل مفصل سياقي نوع فاصلة تتسق معه وتسهم في إكمال ملامح اللوحة البيانية التي أراد النص رسمها (( فلما كان السماع وهو الركن الأعظم وكان إهلاك القرون إنما وصل إليهم بالسماع قال منكرًا : أفلا تسمعون ... ولما كانت هذه الآية مبصرة وكانت في وضوحها في الدلالة على البعث لا يحتاج الجاهل به في الإقرار قال : أفلا تبصرون إشارة إلى أن من رآها ونبه على ما فيها من الدلالة وأصرّ على الإنكار لا بصر له ولا بصيرة ))<sup>(١٠٧٠)</sup> ، فضلا عن أنهم يسمعون بما حصل للأقرب إليهم فإن خاتمة الأقرب مما يؤخذ عن طريق السماع بخلاف الأقدمين<sup>(١٠٧١)</sup> ، -، إذن - فطبيعة المعنى المسوق هو الذي حدّد نوع الفاصلة في الاستعمالين المتناظرين تناغما مع ما سبق قبلهما من معنى وما تلاهما من مضمون باتجاه دلالي موحد ، ويطلق على هذا النوع من الفاصلة اسم : التمكين<sup>(١٠٧٢)</sup> .

## ٢- الفصل بـ (( يسمعون )) :

انتظمت مفردة (( يسمعون )) سياق الآية فاصلة قرآنية ست مرات<sup>(١٠٧٣)</sup> ، وقد سيقّت جميعها على معنى التدبر والتفكر بآيات الله ، وقد لاحظ البحث أنها وقعت فاصلة

<sup>(1068)</sup> السجدة : ٢٦-٢٧ .

<sup>(1069)</sup> ظ : البرهان في علوم القرآن : ٨٠/١ .

<sup>(1070)</sup> نظم الدرر : ٦٣/٦ .

<sup>(1071)</sup> ظ : التعبير القرآني : ١٧٩ .

<sup>(1072)</sup> التمكين : هو أن يمهد قبل نهاية الآية تمهيدا تأتي الفاصلة معها متمكنة في موضعها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في محلها ، غير نافرة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام تعلقا تاما ، ظ : معترك الأقران : ٤٠/١ ، والتمهيد : ٤٥٣/٥ .

<sup>(1073)</sup> الآيات : (( الروم : ٢٣ ، يونس : ٦٧ ، فصلت : ٤ ، النحل : ٦٥ ، السجدة : ٢٦ ، القصص :

مرتين وكان السياق قبلها متضمنا للتفكر بأية الليل ( دليل سمعي ) - كما مرَّ - (١٠٧٤) في حين جاءت المواضع الأربعة (١٠٧٥) وقد اقترن السياق بآيتي (( الليل والنهار )) كقوله تعالى : ( هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ) (١٠٧٦) ، فحاسة السَّمع عاملة في الليل والنهار (( فلما كانت هذه الآيات من الظهور بحيث لا يحتاج إلى أكثر من سماعها قال : إن في ذلك أي : الأمر العظيم لقوم يسمعون سَمِعَ سليم ... ويزيد ذلك وضوحا وحسنا كون السياق لنفي الشركاء فهو إشارة إلى أنها لا تسمع ولا تبصر أصلا فكيف بالاعتبار والأفكار )) (١٠٧٧) ، ومنه قوله تعالى : ( كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ فُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ) (١٠٧٨) فقد فرض عنصر السياق فاصلتين متقاربتين كل فاصلة كانت بمثابة السمة التعبيرية التي بها تتكامل أجزاء المشهد البياني ، ففي الآية الأولى كانت الفاصلة (( تعلمون )) منسجمة مع التواردات اللفظية التي يوحىها لفظ (( الكتاب )) الذي استهلته به الآية فالعلاقة بين الكتاب والعلم علاقة سبب ونتيجة فحصل التناسب بين الكتاب والفاصلة إذ حمل الكتاب يقتضي العلم بمضامينه ، في حين كانت الآية الثانية منتظمة مع ما يمكن أن يسمع ويبصر بالبشارة والإنذار فعلان صوتيان مدركان بحاسة السَّمع فوجب الاختتام بـ(( يسمعون )) اتساقا مع طبيعة فعلي البشارة والإنذار المسموعين .

### ٣- الفصل بـ(( السميع العليم )) :

(1074) الآياتان : (( فصلت : ٧١ ، السجدة : ٢٦ )) .

(1075) الآيات : (( الروم : ٢٣ ، يونس : ٦٧ ، النحل : ٦٥ ، القصص : ٧١ )) .

(1076) يونس من الآية: ٦٧ .

(1077) حاشية القونوي : ٢٠٨/٣ ، و ظ : نظم الدرر : ١٤٩/٢ .

(1078) فصلت من الآية: ٣-٤ .

بلغ مجموع ورود هذه الفاصلة احدى وثلاثين مرة (١٠٧٩) ، منها قوله تعالى : ( وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) (١٠٨٠) فلما كانت مظاهر الشيطان بحقيقته وبظله من خلال أفعاله ظاهرة فعلية واقعية بيد أنها لا ترى ولا تلمس ولا يمكن أن نتحقق من وجودها بمدرك حسي سوى حاسة السَّمْع جاء بالاستعاذة من الشيطان الذي نعلمه ولا نراه بقوله : ( إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) (١٠٨١) فلم تكن ظاهرة الفصل القرآني بهذا الموضوع من دون حساب فني تراعى به قيم التناسب (( فتأمل حكمة القرآن كيف جاء بالاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ السميع العليم )) (١٠٨٢) لأن السَّمْع أولى الحواس إحاطة به بعد أن توارى عن الحواس الأخرى ، فاقترضت البلاغة القرآنية أن يوقع (( السميع العليم )) فاصلة قرآنية من دون سواها من الفواصل انسجاما مع مطلب السياق قبلها وتناغما مع الآية بل معنى السورة كلها ، يقول أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) مسوِّغا الفصل بـ ( سميع عليم ) في قوله تعالى : ( وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) (١٠٨٣) بقوله (( وهاتان الفاصلتان مناسبتان هنا غاية التناسب ، إذ صدر منهما عمل وتضرع فهو السميع لضراعتهما ... وهو العليم بنيتهما في إخلاص عملهما )) (١٠٨٤) ، من هنا ندرك القصد في الاستعمال لهذا النمط من الفاصلة وندرك أيضا استحالة قيام فاصلة أخرى مقامها ، بمعنى أدق : إن الفاصلة جاءت هنا بموضعها البياني – الفني ،

(1079) الآيات: (( البقرة : ١٢٧ ، ١٨١ ، ٢٢٤ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، آل عمران : ٣٤ ، ١٢١ ، المائدة : ٧٦ ، الأنعام : ١٣ ، ١١٥ ، الأعراف : ٢٠٠ ، الأنفال : ١٧ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٦١ ، التوبة : ٩٨ ، ١٠٣ ، يونس : ٣٤ ، الأنبياء : ٤ ، ٧٥ ، النور : ٢١ ، ٦٠ ، الشعراء ، ٢٢ ، العنكبوت : ٥ ، ٦٠ ، فصلت : ٣١ ، الشورى : ١١ ، الدخان : ٦ ، الحجرات : ١ ، النساء : ١٤٨ ، فصلت : ٣٦ )) .

(1080) الأعراف : ٢٠٠ .

(1081) الأعراف : ٢٠٠ .

(1082) التفسير القيم : ٥٨٦ .

(1083) البقرة من الآية : ١٢٧ .

(1084) البحر المحيط : ٣٨٨/١ ، و ظ : اسماء الله الحسنى – دراسة بالبنية والدلالة – د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، ط : ١ (١٩٩٧) : ١٥١ .

أما البياني : فلأجل جمال التناسب بين الدعاء والسمع ، وأما الفني : فعلى حساب التناظر الاستعمالي للفواصل قبلها .

#### ٤- الفصل (ب) السميع البصير ) :

وقد وقعتا بموضع الفاصلة القرآنية تسع مرات <sup>(١٠٨٥)</sup> ، منها قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَغَيِّرُ سُلْطَانَ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) <sup>(١٠٨٦)</sup> فاسم الموصول الذي سيق ابتداءً ضمّن ما يمكن أن يسمع ويبصر من بني الإنسان (( فجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤمنون ويرون بالأبصار بلفظ السميع البصير ... لأن أفعال هؤلاء أفعال مقاربة بالبصر ... فأمر الاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يرى بالبصر ويدرك بالرؤية )) <sup>(١٠٨٧)</sup> ، فالفاصلة جاءت لأجل ملائمة ما ذكر في سياقها النصي لذا لا يمكن أن تحل فاصلة (( السميع العليم )) محل (( السميع البصير )) لأن من شأن الإنسان السَّمع والبصر وليس من خواصه السَّمع والعلم فضلا عن نسبية سَمع الإنسان وبصره وأن تمكن منهما ، ولأجل تعيين حدود السَّمع والبصر بين الله والإنسان اقترنت لفظتا (( السَّمع والبصر )) بالألف واللام فضلا عن ضمير الفصل (( هو )) الذي رفع مستوى التأكيد في إطلاق واستغراق سمعه وبصره على ما سواه ممن له حق السَّمع والبصر والتمكن منهما ، أي إن أداة التعريف وضمير الفصل كانتا بمثابة الحد الفاصل بين جنسين من السَّمع والبصر الأول محدود متلاش والثاني مطلق مستغرق فتكون الفاصلة هنا قد حققت وظيفة مزدوجة الأولى : (( فنية )) من خلال جمال المناسبة بين ما يمكن أن يسمع ويبصر وبين سَمع الله وبصره المطلقين ، أما الأخرى ( معنوية ) : هي تحقيق معنى التأكيد والفارق بين السمعين إذ نفى التأكيد التناسب بينهما ، - إذن - لما

<sup>(1085)</sup> الايات : (( الإسراء : ١ ، الحج : ٦١ ، ٧٥ ، لقمان : ٢٨ ، غافر : ٢٠ ، ٥٦ ، المجادلة : ١ ، النساء : ٥٨ ، ١٣٤ )) .

<sup>(1086)</sup> غافر من الآية : ٥٦ .

<sup>(1087)</sup> البرهان في متشابه القرآن لما فيه الحجة والبيان : محمد بن حمزة الكرمانى ، تح : ناصر بن سليمان العمر : ١٥٢ .

كان السياق للعياذ من شياطين الإنس والجن الذين لهم المكر الظاهر والباطن ختم بـ ( البصير ) الصالح للبصر فيعم المحسوس والمعلوم <sup>(١٠٨٨)</sup> ، وكقوله تعالى : ( إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ) <sup>(١٠٨٩)</sup> (( أي بالغ السَّمْع ... عظيم البصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة الدلائل ببصره وسماع الآيات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته )) <sup>(١٠٩٠)</sup> ، وخصَّ السَّمْع والبصر لأنهما من أعظم أدوات المعرفة وأكثر ما يرتبط به الإنسان مع الخارج بهذين الحسنيين <sup>(١٠٩١)</sup> .

##### ٥- الفصل بـ (( سميع الدعاء )) :

وردت هذه الفاصلة مرتين وكتاهما في سياق الدعاء والتضرع للذات الإلهية ، أما الأولى فجاءت حكاية عن نبي الله إبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ) <sup>(١٠٩٢)</sup> وعند إنعام النظر يتضح أن الفاصلة وقعت هنا بقرارها المناسب فالمقام مقام دعاء وتبتل وضعف ، فكأنها جاءت بمثابة البشارة بعد أن سيق مضمون الدعاء قبلها فانه يقبل دعوة الداعي وليس من كرمه ردها ، فيتضح عنصر المناسبة بين السياق والفاصلة من جزئية موضوع الدعاء نفسه ، فلما كان الدعاء يستلزم الإجابة ولا معنى للدعاء بلا إجابة وتمثل ختمها بقوله (( سميع الدعاء )) أي : من شأنه إجابة الدعاء فالسميع هنا بمعنى المجيب <sup>(١٠٩٣)</sup> .

يتضح مما تقدم : أن الفاصلة القرآنية لألفاظ السَّمْع في النص القرآني لم تأت للإيقاع أو للسجع كما هو الأمر في كلام البشر وإنما للتناسب بين هدف الآية ومبناها

<sup>(1088)</sup> ظ : نظم الدرر : ٢١٦/٤ .

<sup>(1089)</sup> الإنسان من الآية : ٢ .

<sup>(1090)</sup> نظم الدرر : ٢٦٣/٨ .

<sup>(1091)</sup> ظ : مفاهيم قرآنية : ١٢٣/٦ .

<sup>(1092)</sup> إبراهيم من الآية : ٣٩ ، أما الموضع الثاني فجاء في قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ آل عمران : ٣٨ .

<sup>(1093)</sup> ظ : نظم الدرر : ١٩٣/٤ .

واختيارها مقصودا دلاليا ، فهي جزء مهم من أجزاء وسائل الاتصال الدلالي بين مكونات النص القرآني للآية الواحدة وتماسكها البياني ، فلم تكن فاصلة (( سميع عليم )) إلا بمقتضيات العلم المسوق في الآية ، ولم تندرج فاصلة (( سميع بصير )) إلا بما يوافقها من الإمكانيات المبصرة قبلها ، ولم تكن فاصلة (( سميع الدعاء )) إلا لكون سياق الآية ومضمونها منصبا على فحوى الدعاء ، وقد مثلت خاتمة المسار للآية الواحدة ، فعندما تنتهي تدفقات الآية الواحدة تأتي الفاصلة بوصفها إيذانا لنهاية معناها وإشارة لمبتدأ آية ثانية وهذا ما أورده المحققون من المفسرين وعلماء الإعجاز (١٠٩٤) .

#### الفقرة الثانية: أثر السياق في دلالة التقديم والتأخير :

تعدُّ ظاهرة التقديم والتأخير في النص القرآني سمة أسلوبية مرتبطة بالمعنى المسوق دون أي اعتبار آخر ، فالتقديم والتأخير خاضع لبناء النص الأكبر ( السورة ) فهي القرينة السياقية الكبرى التي توجه الظاهرة ، لذا رأينا تقديم ما أُخِّر بموضع ثان بحسب ارتباطات القرائن أي إن (( تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام و سياق القول يجمعها قولهم إن التقديم يكون للعناية والاهتمام ، فما كانت عنايتك به أكبر قدمته في الكلام ، والعناية باللفظة لا تكون من حيث أنها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال ولذا كان عليك أن تقدم كلمة ثم تؤخرها في موضع آخر لأن مراعاة الحال يقتضي ذلك )) (١٠٩٥) ، بيد أننا يجب أن نتجاوز مبدأ الأهمية للبحث عن منشئها ولا نكتفي بالقول بالأهمية لأنه إبهام وتضييع لفهم التمايز بين الأساليب (١٠٩٦) ، لأن النص القرآني مسوق على وفق ارتباطات تؤثر في نفس المتلقي و فطرته الإنسانية ، وقد جاءت ظاهرة التقديم والتأخير في ألفاظ السَّمع على

(1094) ظ : النكت في إعجاز القرآن : ١٦٧ .

(1095) التعبير القرآني : ٥٠ .

(1096) ظ : م.ن : ٥٠-٥١ .

وفق مرتكزات السياق وما يفرضه من نمط في التعبير ، وسمّة في التناول كما يتضح من خلال ما يأتي :

#### ١- تقديم السَّمع على البصر :

بلغ مجموع مواضع اقتران السَّمع بالبصر تسعة وثلاثين موضعا<sup>(١٠٩٧)</sup> ، وقد قدّم السَّمع في

اثنين وثلاثين موضعا<sup>(١٠٩٨)</sup> ، في حين قدم البصر عليه في سبعة مواضع<sup>(١٠٩٩)</sup> ، وقد تباينت توجيهات العلماء لظاهرة تقديم السَّمع على البصر على وفق ما يأتي :

أ- إن المقام مقام أفضلية وحيث اقترن السَّمع بالبصر قدم على البصر ، ولأن السَّمع شرط النبوة بخلاف البصر ولذلك لم يبعث الله رسولا أصم وفيهم من كان مبتلى بالعمى ، فالسمع هو المنفذ لتزويد العقل بالمعارف ، فضلا عن حركة حاسة السَّمع بالجهات الست بخلاف حاسة البصر فإنها تعمل باتجاه واحد ، ولأن السَّمع متى بطل بطل النطق والبصر إذا بطل لم يبطل النطق<sup>(١١٠٠)</sup> .

ب- إن التقديم يأتي من اتساع منفعتها وتوسع حركتها فهي أنفع بالمخاطبات ولأن الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية<sup>(١١٠١)</sup> ، وجعل الزركشي (٧٩٤هـ) شرف الإدراك سببا في علة التقديم<sup>(١١٠٢)</sup> .

ج- الظاهر أن السَّمع في تلقي الرسالة أفضل من البصر ، ففاقد البصر يمكن أن يفهم ويعي مقاصد الرسالة والأعمى يمكن تبليغه بسهولة غير أن فاقد السَّمع لا يمكن

<sup>(1097)</sup> ظ : ملحق برقم ( ١٠ ) أولا .

<sup>(1098)</sup> ظ : ملحق برقم ( ١٠ ) ثانيا .

<sup>(1099)</sup> ظ : ملحق برقم ( ١٠ ) ثالثا .

<sup>(1100)</sup> ظ : التفسير الكبير :مج ١ ، ٥٩/١ ، وحاشية القونوي : ٧٠/١ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان : ١/

. ١٥٣

<sup>(1101)</sup> ظ : نظم الدرر : ٢٦٣/٨ ، والتحرير والتنوير : ١٥١/١ .

<sup>(1102)</sup> ظ : البرهان في علوم القرآن : ٢٥٤/٣ .

تبليغه بسهولة ، فالأصم أنأى عن الفهم من الأعمى ، ولذا كان من العميان علماء كبار بخلاف الصم لذا كان تقديم السَّمع أولى (١١٠٣) .

د- جعل بعضهم (١١٠٤) فارق المدى الإدراكي بينهما سببا في تقديم السَّمع وتأخير البصر وجعلوا منه قوله تعالى : ( قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ) (١١٠٥) فقدم السَّمع لأنه يرمز للقرب وكون الذي يسمعك على مقربة منك بخلاف الذي يراك فإنه قد يكون بعيدا لذا قدّم لقربه .

هـ- (( ليس علينا أن ندرك فضل السَّمع إلا أن تقارن بين ما يمكن أن يصل إليه إنسان فقد بصره من رقي عقلي وبين آخر أصم فالنبوغ كثير الاحتمال بين العمي في حين أنه نادر بين الصم وإن كانوا مبصرين ... والأصل في الفهم والإفهام أن يكون عن طريق تلك الوسيلة الطبيعية التي هي عماد كل نمو عقلي وأساس كل ثقافة ذهنية )) (١١٠٦) ، وهناك فريق من الباحثين ممن ربطوا مسلمات العلم الحديث بمعجزات النص القرآني فعللوا سبب التقديم بمنحى وظيفي مرتبط بسبق عمل كل منهما ، للمستزيد يحيل عليها البحث (١١٠٧) .

## ٢- تقديم البصر على السَّمع :

إن تقديم السَّمع على البصر لا يطرد في القرآن الكريم إنما قدّم البصر على السَّمع ببعض المواضع (١١٠٨) ، كقوله تعالى : ( رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ) (١١٠٩) (( لأن متعلق الأبصار النور ، ومتعلق الأسماع الريح ،

(1103) ظ : التعبير القرآني : ٥٠ .

(1104) ظ : الكشف : ٢١/٢ ، والتعبير القرآني : ٥٠ .

(1105) طه من الآية : ٤٦ .

(1106) الأصوات اللغوية : ١٣-١٤ .

(1107) ظ : الطب محراب الإيمان : ١٢٩ ، وإعجاز القرآن في حواس الإنسان في ضوء الطب وعلوم القرآن والحديث : د. محمد كمال عبد العزيز ، مكتبة القرآن - القاهرة (د.ت) : ٣٩ ، ومع الطب في القرآن الكريم : د. عبد الحميد ذياب ، د. أحمد قرموز ، مؤسسة علوم القرآن : ط : ٩ (د.ت) : ٥٣ .

(1108) ظ : ملحق برقم : ( ١٠ ) ثالثا

(1109) السجدة من الآية : ١٢ .



والبصر يرى من بعيد دون السَّمع ولأن عجائب الله تعالى في تخليق العين أكثر منها في تخليق السَّمع ... وفي العين جمال الوجه دون السَّمع ... ولا ريب أن معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر والإرشاد))<sup>(١١١٠)</sup> ، ولست أرى صوابا بهذا التعليل إذا وظفنا سياق ( المقام ) إذ يتضح أن المسوّغ دلالة الأساس في تقديم البصر هو أن يوم القيامة أكثر أحداثه مبصرة بالعين دون السمع فصورة النار والمعذبين بها ومشهد أهل الجنة ونعمهم مشاهد ترى ، فلأجل عنصر المقام قديم هنا وأخر السمع ليتحقق بذلك الانسجام بين المقام وسمة التعبير ، ومما يلفت النظر أن أداة الإبصار (( العين )) متى اقترنت بأداة السَّمع (( الأذن )) تقدمت العين على الأذن بصورة مطردة كقوله تعالى : ( وَلَهُمْ أُعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أْذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا )<sup>(١١١١)</sup> (( وليس في تقديم العين على الأذن مخالفة لما جرى عليه اصطلاح القرآن من تقديم السَّمع على البصر ... لأن الترتيب في سورة الأعراف هذه سلك طريقة الترقى من القلوب التي هي محل المدركات إلى آلات الإدراك العين ثم الأذان فللأذان المرتبة الأولى في الارتقاء ))<sup>(١١١٢)</sup> ، ولا تخفى ظاهرة التأويل المفرط في هذا التسويغ ، وأجد : أن المفاضلة بين الحواس الإنسانية أن كان ناتجا من ظاهرة تقديم حاسة على أخرى في النص القرآني فإن ذلك لا يعدّ مسوغا للقول بأفضلية أحدهما لمجرد التقديم لأن كل حاسة ترتبط بوظائف تخصها تعجز أية حاسة عن القيام بها ولو كان للسمع أفضلية على البصر لا طرد تقديمه فكل (( من الحواس ضروري في موضعه ومن فقد حسا فقد علما وتفضيل البعض على البعض تطويل من غير طائل ))<sup>(١١١٣)</sup> . لأن مبدأ التقديم والتأخير لا يتخذ أساسا للمفاضلة وإنما هذا يحكمه السياق لذا نجد يقدّم ما أخر بموضع ويؤخر ما قدّم بموضع ثان ، فمحاولة التشبث بأهمية السَّمع على البصر لمجرد التقديم فيها نظر ذلك بأن السياق قد يفرض التقديم ، وأن الأقوال التي مرّ ذكرها لا تخرج عن كونها

<sup>(1110)</sup> ظ : حاشية القونوي : ٢١٨١٧

<sup>(1111)</sup> الأعراف من الآية: ١٧٩ .

<sup>(1112)</sup> التحرير والتوير : ٦٧٧/١ .

<sup>(1113)</sup> روح المعاني : مج ١ ، ١٣٦/١ او ظ : نظم الدرر : ٢٦٤/٨ .

فرضيات ، ففي قوله تعالى : ( مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَ وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَمْ فَلَا تَذَكَّرُونَ )<sup>(١١٤)</sup> يتضح ان الايات التي سبقت قبلها وبعدها أكدت على حاسة البصر بوساطة إدراك الآيات المرئية غير المسموعة كقوله تعالى : ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ )<sup>(١١٥)</sup> فالدابة من المدركات البصرية فلأجل المناسبة قدم البصر أما بعدها فكقوله تعالى : ( وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ )<sup>(١١٦)</sup> فإذا كانت الآية الأولى تضمنت لمحة عن حاسة البصر بذكر ملزومها (( الرؤية )) ففي الموضع الثاني ذكرت (( العين )) صراحة الأمر الذي ترتفع لأجله درجة الإيمان بفاعلية الروابط السياقية التي توجه مبدأ التقديم والتأخير بين الألفاظ .

### ٣- تقديم السَّمع على العلم :

وقد بلغ مجموع اقتترانهما اثنتين وثلاثين مرة<sup>(١١٧)</sup> ، وقد قدّم السَّمع على العلم بالموارد جميعها ، ولم يستعمل مع السميع إلا العليم فلم يقل البصير العليم برغم استعمال صفة البصير في القرآن الكريم ، وقد قرن الزركشي (٧٩٤هـ) هذا الاطراد بدلالة (( التخويف والتهديد ، فبدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات وأن من سَمِعَ حَسَكَ يكون أقرب إليك في العادة ممن يعلم ، وأن كان علم الله يتعلق بما ظهر وما بطن ))<sup>(١١٨)</sup> ، ويبدو لي أن أسبقية السَّمع على العلم تعود لأمرين الأول : (( عام )) يندرج على الآيات جميعها والآخـر : (( خاص )) ببعـضها دون بعض ، أما العام فيندرج ضمن تقديم الخاص على العام لأن متعلق السَّمع أخص ومتعلق العلم أعم<sup>(١١٩)</sup> كقوله تعالى : ( وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ )

<sup>(114)</sup> هود من الآية: ٢٤ .

<sup>(115)</sup> هود من الآية: ٦٠ .

<sup>(116)</sup> هود من الآية: ٣٣ .

<sup>(117)</sup> ظ : ملحق برقم ( ١١ ) .

<sup>(118)</sup> البرهان في علوم القرآن : ٢٤٦/٣ .

<sup>(119)</sup> ظ : أسماء الله الحسنى ( دراسة في البنية والدلالة ) : ١٤٩ .

(١١٢٠) (( فجاءت هاتان الصيغتان باعتبار الشرط وجوابه إذا قدرناه فليوقفوه أي الطلاق فجاء سميع باعتبار إيقاع الطلاق لأنه من باب المسموعات وهو جواب الشرط وجاء عليم باعتبار العزم على الطلاق لأنه من باب النيات وهو الشرط ولا تدرك النيات إلا بالعلم وتأخر هذا الوصف لمواخاة رؤوس الآي ولأن العلم أعم من السَّمع فمتعلقه أعم ومتعلق السَّمع أخص )) (١١٢١) أي إن العلاقة بينهما علاقة ( عموم وخصوص ) فضلا عن الغاية لأن السَّمع بالنسبة للعلم كالوسيلة بالنسبة للغاية ، أما الملحظ الخاص : فمئات من تحقيق ظاهرة الانسجام لفواصل الآي كقوله تعالى : ( وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) (١١٢٢) (( إذ تقدمت صفة السميع وإن كان سؤال التقبل متأخرا عن العمل للمجاورة ... وتأخرت صفة العليم لكونها فاصلة ولعمومها إذ يشتمل علم المسموعات وغير المسموعات )) (١١٢٣) فهنا قد تعاضد على تقديم السَّمع وتأخير العلم قرينتان أوجبنا تقديم السَّمع على العلم أما القرينة الأولى : فتتمثل بالارتباط الدلالي بين الدعاء ( المسموع ) والمجيب ( السميع ) ، والآخر : ارتباط إيقاعي يتمثل بمراعاة الانسجام بين الفواصل السابقة والتالية لها ، فكان الموجه لذلك التقديم والتأخير قرينتان مزدوجتان باتجاه تحقيق مقصد واحد ، ومنه قوله تعالى : ( وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) (١١٢٤) فلما كان (( كلا من الإيمان وضده مشتمل على أقوال وأفعال وعلى عقائد فينشأ عنها تلك الأفعال والأقوال فناسب أن ختم بهما أي : هو السميع لأقوالكم العليم بنياتكم واعتقادكم ، ولما كانت الأقوال هي الظاهرة لنا لما في الباطن قدمت صفة السميع على العليم فاصلة أيضا )) (١١٢٥) ، فتقديم السميع على

(1120) البقرة من الآية: ٢٢٧ .

(1121) أسماء الله الحسنى ( دراسة في البنية والدلالة ) : ١٤٩-١٥٠ .

(1122) البقرة من الآية : ١٢٧ .

(1123) البحر المحيط : ٣٨٨/١ .

(1124) البقرة من الآية : ١٣٧ .

(1125) البحر المحيط : ٤١١/١ .

العليم هنا خضع لارتباطات سياقية – دلالية تتصل بطبيعة المعنى والأقوال هنا مما يسمع .

#### ٤- تقديم السَّمع على الفؤاد :

اقترن السَّمع بالفؤاد سبع مرات (١١٢٦) ، وقد قدم السَّمع عليه بالاستعمالات جميعها ، كقوله تعالى : ( وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) (١١٢٧) وإنما أخرج الفؤاد عن السَّمع والبصر (( لتقديم الظاهرة على الباطن أو لأن لهما مدخلا في إدراكه في الجملة بل هما في خدمته والخدم تتقدم بين يدي السادة ... أو لأن مدركاتهما أقل بقليل بالنسبة إلى مدركاته كيف لا ومدركاته لا تكاد تحصى )) (١١٢٨) .

#### ٥- تقديم القلب على السَّمع :

اقترن السَّمع بالقلب عشر مرات (١١٢٩) ، وقد قدم القلب عليه ثماني مرات (١١٣٠) ومرتين تقدم فيها السَّمع عليه ، ومن مواضع تقديم القلب قوله تعالى : ( خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ) (١١٣١) لأن الحواس خدمة القلب وموصلة إليه ، ولأن القلب يتزود بمقدماته الأولية بوساطة من نوافذ الحواس الخمس والسمع والبصر أحدهما ، وكأن النص القرآني راعى مبدأ التدرج في إنتاج المعرفة بادئا من مستقرها ( القلب ) إلى المفضي إليها ( السَّمع والبصر ) ، أما قوله تعالى : ( وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ) (١١٣٢) على تأخير القلب (( لأن العناية هنا بزم المتصاممين عن السماع ومنهم الذين كانوا يجعلون القطن في آذانهم حتى لا يسمعوا لهذا صدرت

(1126) ظ : ملحق برقم ( ١٢ ) .

(1127) النحل : ٧٨ .

(1128) ظ: روح المعاني :مج: ٧ ، ٤٣٩/٤ .

(1129) ظ : ملحق برقم ( ١٣ ) .

(1130) ظ : ملحق برقم ( ١٣ ) .

(1131) البقرة من الآية : ٧ .

(1132) من الجاثية من الآية: ٢٣ .

السورة بذكرهم في قوله تعالى : ( وَيَلْ لِكُلِّ أَقَالِكِ أَثِيمٍ ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُثْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ) (١١٣٣) ((١١٣٤) فالفارق بين النصين المتناظرين فارق بملحظ التقديم والتأخير وإنما قدم في الأول وآخر في الثاني استجابة لدواع دلالية – سياقية ، فسبب تقديم السَّمع في سورة الجاثية جاء لمعنى الاختصاص في دلالة الذم والاقتصار على معنى توبيخ فعل التصامي عندهم فلما سوَّى في البقرة بين الإنذار وعدمه (( كانت البداءة في القلوب أنسب تسوية لهم بالبهايم ولما كان الغبي قد يسمع أو يبصر فيتهدي ... أحرَّ لعمومه وخصوص البصر بأحوال الضياء نفي السَّمع ثم البصر تسفيلا لهم عن حال البهايم ، بخلاف ما في الجاثية فإنه لما أخبر فيها بالإضلال وكان الضال أحوج شيء إلى سماع الهادي نفاه ، ولما كان الأصم إذا كان ذا فهم أو بصر أمكنت هدايته وكان الفهم شرف نفاهما على ذلك الترتيب )) (١١٣٥) ، ولأن المراد في سورة البقرة بيان أصرارهم على الكفر وعدم إيمانهم الذي هو معناه التصديق ومحلة القلب فمقتضى هذا المقام التقديم لكونه أهم بهذا الاعتبار في حين أن المقصد في الجاثية إبانة عدم قبول النصيح والموعظة وهي مما ينال بالسمع فكان بهذا المقتضى أهم فقدم .

لاحظنا – مما تقدم – أن سمة التقديم والتأخير تتحرك على وفق اعتبارات ترتبط بعنصر السياق بأنواعه كافة وبحسب ارتباط المعنى المسوق وتارة تكون لمراعاة الفاصلة أيضا أو بهذه كلها تارة ثانية وبهذا التعليل يسقط مبدأ الأهمية الذي علقت عليه ظاهرة التقديم ويذهب عنصر الأقل أهمية الذي علل به المؤخر .

(1133) الجاثية : ٧-٨ .

(1134) البرهان في علوم القرآن : ٢٥٤/٣ .

(1135) نظم الدرر : ٣٨/١ .

## المبحث الثاني

دلالة اقتران السَّمع بالألفاظ ذات الصلة (١١٣٦)

والمراد به : تضام مفردة (( سَمِعَ )) بوصفها أداة من أدوات المعرفة مع أدوات معرفية تقترب من اتجاهها الوظيفي وتقع على مسار واحد مؤلفة منظومة استقطاب معرفي كما يتضح من خلال الفقرات الآتية :

١ : اقتران السمع بالبصر :

أقترن السَّمع بالبصر في النص القرآني تسعا وثلاثين مرة (١١٣٧) ، وأن لهذا الاقتران سمات دلالية ناتجة عن التقارب الوظيفي بينهما فهما (( من أعظم أدوات

---

(1136) إن طبيعة هذا المبحث جعلته قسيما للمبحث الأول .

(1137) ظ : ملحق برقم ( ١٠ ) .

المعرفة وأنفعهما وأكثر ما يرتبط به الإنسان مع الخارج بهذين الحسين فهما أشرف الحواس الظاهرة ولعله لأجل ذلك أطلق عليه سبحانه وتعالى السميع البصير دون غيرهما من أسماء الحواس)) (١١٣٨) ، لذا كان الختم عليهما سببا في ضلال المنافقين في قوله تعالى : ( خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ) (١١٣٩) (( تنبيهها على أن فسادهما يؤدي إلى الضلال العظيم وصلاحهما يؤدي إلى الوصول الحق القويم وما عداهما من المشاعر ليس في هذه المرتبة )) (١١٤٠) (( وقيل خصهما بالذكر لأنهما أشرف والاستدلال بمدركاتهما أكثر كما أن ذكر الصلاة والزكاة مع أن المراد جميع العبادة لشرافتهما وأصالتها... فيكون مجازا بذكر الخاص وإرادة العام )) (١١٤١) ، وما خصوصهما وشرفهما إلا لأنهما تسهمان بصورة كبيرة بتزويد الإنسان بالمعارف العقلية وأن تعطيلهما عن عملهما يؤدي إلى قطيعة بين الإنسان ومحيطه الذي ينتمي إليه سلوكيا ومعرفيا ، وهذا يجعلنا نؤمن بأن هذا التلازم الذي يكاد أن يكون تلازما مطردا أراد أن يبرز دورهما المعرفي وأن هذا الاقتران يجعل الحاستين مرتبتين بحسب الوظيفة يقول الزركشي (٧٩٤هـ) في حديثه في قوله تعالى : ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَلْفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ) (١١٤٢) (( فدل على فضل السَّمْع والبصر حيث جعل مع الصم فقدان العقل ولم يجعل مع العمي إلا فقدان البصر وحده )) (١١٤٣) بل النص القرآني عندما نفى ربوبية الأصنام على لسان إبراهيم (عليه السلام) بدعوته لأبيه جعل من أسباب استحالة ربوبيتهما فقدانهما لهاتين الحاستين قال تعالى : ( يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ) (١١٤٤) وليس تمكنهما منهما إجازة لمنزلة الربوبية وإنما خصهما بالذكر لأنهما أظهر الدلائل على اكتمال الذات ، نستنتج

(1138) مفاهيم القرآن : ١١٤/٦ .

(1139) البقرة من الآية : ٧ .

(1140) حاشية القونوي : ١١/٣٤٦-٣٤٧ ، و ظ : نظرية العلم في القرآن : ١١-١٩ .

(1141) حاشية ابن المجيد : ١١/٣٤٦ .

(1142) يونس : ٤٢-٤٣ .

(1143) البرهان في علوم القرآن : ٢٢٧/٣ .

(1144) مريم : ٤٢ .

مما تقدم : أن سمة اقتران السَّمْع بالبصر التي اطردت في القرآن الكريم راجعة إلى اتساع عمل هاتين الحاستين ويكفي معرفة قدرهما أن نتصور هيئة من فقد أحدهما فكيف إذا فقدهما معا ؟

ثانيا : اقران السَّمْع بالبصر والفؤاد :

بلغ مجموع تكرار هذه المصنوفة المعرفية اثنتي عشرة مرة (١١٤٥) ، وقد لاحظ

البحث الحقائق الآتية :

أ- إن السَّمْع يتقدم البصر والفؤاد بالاستعمالات القرآنية كلها .

ب- إن الفؤاد يقع بعد السَّمْع والبصر بالمواضع جميعها .

ج- إن الفؤاد يجمع متى ما جمع البصر وبصيغة المفرد متى أفرد البصر ؟

د- إن البصر يقع بين السَّمْع والفؤاد .

هـ- تارة يعبر عن تلك الأدوات الثلاث بـ ( وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ

وَالْأَفْئِدَةَ ) (١١٤٦) وتارة أخرى ( وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ

( ١١٤٧) .

وقد أكثر النص القرآني الحث على إعمال هذه الأدوات بوصفها سبلا معرفية

كقوله تعالى : ( وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) (١١٤٨) ويعد هذا النص مصداقا لـ (( إن الإنسان

يولد صفرا من كل معرفة ، ثم يكتسب بعد ذلك علومه ومعارفه عن طريق أدوات

خاصة تربطه بالواقع الخارجي )) (١١٤٩) والسمع والبصر والفؤاد من تلك الأدوات

وهي النوافذ على العالم ، فالعلاقة بينهما تكاملية فلا ينبغي تجزئة عملها وإفراد وظيفتها

، ولما كانت هذه – الثلاثية المعرفية – بهذه المكانة أسند إليها مهمات كبرى تتعلق

(1145) ظ : ملحق برقم ( ١٢ ) .

(1146) المؤمنون من الآية: ٧٨ .

(1147) النحل من الآية: ٧٨ .

(1148) النحل من الآية: ٧٨ .

(1149) نظرية المعرفة : الأستاذ جعفر السبحاني ، مطبعة القدس ، ط : ١ (١٩٩٥) : ١٣٧ .



بالإيمان والاعتقاد والسلوك وربط صلاحها بصلاح الإنسان ورهن فساده بفسادها كما يتضح من خلال ما يأتي :

أ- مسؤوليتها عن الإيمان وعدم العمي :

ويتضح ذلك المقصد بقوله تعالى : ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ) (١١٥٠) فوجودها كفيل بأن ينطلق الإنسان من خلالها في تحديد سبل الإيمان فيسلكها وتعيين طرق الضلال فيميل عنها ، لأن الفؤاد من أدوات العلم فلا عذر له ومعه السَّمْع والبصر إن سار بلا دليل وتجرد من الحجة فقلد تقليدا أعمى ((فقد جعل الله سبحانه وتعالى بين السَّمْع والبصر والفؤاد علاقة وارتباطا ونفوذا يقوم بعضها مقام بعض ... في الجملة لا في كل شيء )) (١١٥١) فالمعرفة بها معرفة تكاملية قائمة على أساس توزيع الوظائف ضمن حقول ، فالسمع والبصر إشارة واضحة إلى المعرفة الحسية و (( الأفئدة )) إشارة إلى العقل (١١٥٢) .

ب- بوصفها أدوات علمية ومعرفية :

فلما كانت المعرفة الاكتسابية لدى الإنسان تستلزم وجود حلقات اتصال ونوافذ ارتباط مع الخارج اقتضت الحكمة الإلهية تزويد الإنسان ببعضها كقوله تعالى : ( وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ) (١١٥٣) وهي القوة الفاعلة لهذه الحواس (( فأنه تفضل عليكم بالحواس الصحيحة التي هي طرق إلى العمل بالمدركات وتفضل عليكم بالقلوب التي تفقهون بها الأشياء إذ هي محل المعارف )) (١١٥٤) وإنما صار عالما عن طريق اتصاله بالخارج عبر الأجهزة الحسية (١١٥٥) .

ج- السَّمْع والبصر والفؤاد مدعاة للشكر الدائم :

(1150) الإسراء من الآية: ٣٦ .

(1151) التبيان في أقسام القرآن : ٢٥٤ .

(1152) ظ : نظرية المعرفة عند المعتزلة الأوائل : عقيل صادق زعلان الأسدي ، رسالة ماجستير - جامعة

الكوفة - كلية الآداب ، مخروبة على الآلة الحاسبة (٢٠٠٢) : ٥ .

(1153) الملك من الآية: ٢٣ .

(1154) مجمع البيان : ١٠٣/٩ .

(1155) ظ : نظرية المعرفة : ٣٣ .

ف فعل الشكر يكون بمقدار المشكور ومستواه ، ولا يخفى أن نعم وفضائل السَّمع والبصر والفؤاد لا يمكن عدّها كقوله تعالى : ( قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ) (١١٥٦) فالآية تشير إلى مرحلتين الأولى : خلق الإنسان مجرداً من أي شيء ( صفر المعارف ) والأخرى : تزويده بتلك الأدوات وتفعيلها لذا ليس معنى الشكر في الآية إلا أن توظف توظيفاً ينسجم مع ما خلقت له ويتفق مع عنوانها وذلك (( أن الأفئدة سبب الحياة والسمع والبصر منافذها فالنشأة والحياة لا قيمة لها دونها بل لا حياة دونها في حالتها الحيوانية المجردة من غاياتها العظمى فكيف وقد جعلها الله تعالى مراكز للفهم والحفظ والاعتبار ومعرفة آيات في القدرة والتقدير للوصول إلى الإيمان واليقين ومعرفة ما يضر وما ينفع )) (١١٥٧) ، لذلك كان من الواجب شكر هذه النعمة (( فالله جعل هذه الآلات ليعدكم بالشكر وقال ليعدكم بشكرها لتحصيل جميع العلوم وهذا ما خلقت لأجله )) (١١٥٨) .

د- انحراف وظائف السَّمع والبصر والفؤاد ينتج الكفر :

من ذلك قوله تعالى : ( وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْفَكْتُمْ فِيهَا فَكُفْرًا ) (١١٥٩) فلما انحرفت وظائف تلك الأدوات استحقوا منزلة الأنعام التي عبر عنها النص القرآني بالجحود وأهلكوا أنفسهم بذلك (( الله خلق الأفئدة وجعل منافذها السَّمع والأبصار للإيمان والتقرب إليه من خلال آياته ونعمه فاستعملها الكفار في غير ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم فلم تنفعهم فيما جعلت له لتنتقم منهم من عذاب جهنم فسقطوا في عذابها بسبب عدم اعتبارهم واتعاضهم من خلال هذه الأفئدة ونوافذها )) (١١٦٠) .

٣ : اقتران السَّمع بالعقل :

(1156) الملك من الآية: ٢٣ .

(1157) آيات العقل والقلب والألفاظ ذات الصلة في القرآن الكريم : ١٥٥ .

(1158) رسالة التوحيد : محمد عنده ، الثقافة العربية (د.ط) (د.ت) : ١٥٣ .

(1159) الأحقاف من الآية: ٢٦ .

(1160) آيات العقل والقلب والألفاظ ذات الصلة : ١١٥ .

يعد العقل أهم مميزات الإنسان من غيره وسرّ تكوينه وهو السبب في تكليفه بيد أن العقل لا يعمل بمفرده ما لم يتصل بنوافذ تزوده بالمعطيات الأولية (( فلا بد للعقل من وسائل للاتصال بهذا الكون آلة للنظر وآلة للسمع وغيرها من مكملات هذا العقل بل وأدوات لنقل تعبيره وتبليغ أفكاره فكان ذلك بأن جعل الله تعالى الحواس الخمس منافذ للعقل الذي كرّم الله تعالى به الإنسان وفضله به على العالمين ))<sup>(١١٦١)</sup> ، فالعلاقة بين السمع العقل علاقة اعتماد الأول على الآخر (( اعتماد العقل على السمع )) فإذا راعينا العلاقة بينهما وجدنا القرآن الكريم يوليها أهمية خاصة ويؤسسها في بنية جدلية متفاعلة ، وليس من ريب أن الفكر الفلسفي العتيق يقوم على اعتبار الحس والعقل معا في تحصيل المعرفة<sup>(١١٦٢)</sup> فيكون النص القرآني قد سبق العلم الفلسفي بفكرة امتزاجهما قبل أكثر من خمسة عشر قرنا وقد ورد اقتران السمع بالعقل ست مرات<sup>(١١٦٣)</sup> كقوله تعالى : ( إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ )<sup>(١١٦٤)</sup> ، فهؤلاء لما عطلوا منافذ سمعهم وآلة كلامهم كانوا بمنزلة الدواب التي لا تفقه إلا أصوات ناعقها ولا يطرق سمعها إلا أجراس الناعق بها فلما لم يسمعوا كان العقل معطلا وظيفيا )) وخاصة أن العقل مناط التكليف وإذا عطل بالجهل والغفلة والعمى وعدم استخدام حواسه منافذ فإنه يهبط من مستواه الإنساني إلى الحيوانات العجماء ))<sup>(١١٦٥)</sup> فالسمع مع العقل من أدوات الإدراك الذين يخصصهما خطاب القرآن التطع والتواصل ومهما يعرض لهما من خلل فإنه يعطل وظيفتيهما بحيث تطمس إنسانية البشر<sup>(١١٦٦)</sup> ، فالإنسان ينتفع بما يسمع من تقريع أو موعظة باستخدام السمع بما ينتفع ويعتبر من ذلك

<sup>(1161)</sup> آيات العقل والقلب والألفاظ ذات الصلة: ٦٦ .

<sup>(1162)</sup> ظ : نظرية المعرفة في القرآن : ١٥ .

<sup>(1163)</sup> الآيات : (( البقرة : ١٧١ ، الأنفال : ٢٢ ، يونس : ٤٢ ، الحج : ٤٦ ، الفرقان : ٤٤ ، الملك : ١٠ )) .

<sup>(1164)</sup> الأنفال من الآية: ٢٢ .

<sup>(1165)</sup> آيات العقل والقلب والألفاظ ذات الصلة : ٦٧ .

<sup>(1166)</sup> ظ : الشخصية الإسلامية (دراسة فنية) د. عائشة عبد الرحمن ، دار العلم للملايين : بيروت - لبنان ، ط : ٢ (١٩٧٧) : ٨٤٥ .

ويدرك قيمة هذه الحاسة وأهميتها فيعي ما سمع فيعقله ويعي ما يقول ولا يتناقض اعتقاده مع فعله (( وأنه بتجميده هذه الطاقات وقفل نوافذها وسحب الستائر والأغشية عليها يكون قد اختار بنفسه المنزلة التي ما أَرادها الله تعالى له يوم منحه السَّمع والبصر والفؤاد ألا وهي منزلة البهائم ))<sup>(١١٦٧)</sup> وقد ضُمَّنَ هذا المعنى في قوله تعالى : ( أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ )<sup>(١١٦٨)</sup> فنجد هنا التأكيد في ذكر حاسة السَّمع مع العقل ولكن أن جمّد الإنسان عقله فكأن سمعه قد عطل ، وقد ربط النص القرآني صلاح القلوب التي تعقل بصلاح الأسماع في قوله تعالى : ( أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ )<sup>(١١٦٩)</sup> فليس العمى بأبصارهم وإنما قلوبهم واستعماله القلب مجرى المثل<sup>(١١٧٠)</sup> وكناية عن شدة فساد القلب لأن نقل المعنوي بصورة الحسي أكثر إيصالاً للمعنى وإلا في مدركات البشر أن القلب لا يعمى فالترابط المشار إليه في الآية ناتج من أن (( القلب إذا فسد فسد السَّمع والعقل تبعهما فساد البصر فكل مدرك من هذه يصح بصحة الآخر ويفسد بفساده ))<sup>(١١٧١)</sup> لذا أكثر مجيئ السَّمع مقترنا بـ(( التعقل )) على نحو العطف بـ( أن ) مما يعطي نوعاً من صلاحية البديل كقوله تعالى : ( وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ، فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ )<sup>(١١٧٢)</sup> ، وهكذا فإن صحة وسلامة العقل مرهونة – كما يشير إليها النص القرآني – بصحة وسلامة السَّمع فالعلاقة علاقة تبادل وشرابة ، بيد أن السَّمع وأن تحقق مالم يقترن بعقل

<sup>(1167)</sup> مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم : د. عماد الدين خليل ، مطبعة الزهراء ، عراق – موصل ، ط

: ٢ (١٩٥٢) : ١٦ .

<sup>(1168)</sup> من البقرة من الآية: ٧٥ .

<sup>(1169)</sup> الحج من الآية: ٤٦ .

<sup>(1170)</sup> ظ : الكشاف : ١٧/٣ .

<sup>(1171)</sup> مفتاح دار السعادة : لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت -

لبنان ، (د.ت) : ١٠٢/١ .

<sup>(1172)</sup> الملك من الآية: ١٠ .

ما يسمع وفهم ما يلقي عليه فكأنه بمنزلة من لم يسمع والى هذا أشار قوله تعالى : ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ) (١١٧٣) فهو لاء صَمَّ لا يعقلون ما يلقي على مسامعهم بعد أن سلبوا أداة السَّمْعِ وعندئذ سقط العقل والسمع على حد سواء لذا جعل السَّمْع من فعله دون سواه .

### المبحث الثالث

تغاير التركيب وأثره في المعنى الواحد

(( تلاقي التعبير واختلاف التركيب ))

تمرُّ في القرآن تراكيب تناظر تراكيب أخرى في آيات ثنائية، ولكن تفترق هذه التراكيب المتناظرة بتفاصيلات جزئية من حيث تقديم أو تأخير أو حذف وذكر أو تعريف أو تنكير أو عطف الى ما هنالك من جزئيات لها أسبابها السياقية على الرغم من جريان المتناظرات في معنى عام واحد ، وتعد هذه الخصيصة مظهرا من مظاهر إعجازه أو إعجازه في الاختيار والقصد فيه ، لأن اقتراب النصين بعضهما من بعض مع افتراق دقيق يكشف عن نمط دلالي لا يتوفر ببنية النص الآخر ، وقد وقعت هذه الظاهرة في ألفاظ السَّمْعِ كقوله تعالى : ( وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) (١١٧٤) وقال بموضع ثان : ( وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) (١١٧٥) إذ تقارب النصان تقاربا يكاد ان يكون مغلقا ولكن اختلفت الفاصلتان في التعريف والتنكير وزيادة ضمير الفصل (( هو )) ، وعند مقارنة السياق يتضح أنه قد سبق قبل الآية في سورة الأعراف قوله تعالى : ( أ يُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ

(1173) يونس من الآية: ٤٢ .

(1174) الأعراف : ٢٠٠ .

(1175) فصلت : ٣٦ .

شَيْئاً وَهُمْ يُخْفُونَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ، وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى  
الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ  
لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا  
شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ) (١١٧٦) ، فالسياق يظهر أن ما يخصونه بالعبادة دونه  
لا قدرة له على السَّمع والإبصار لذا ساقهما نكرتين لأن الموقف لا يقتضي مزيد توكيد  
لنقض ما أدعوا فالأصنام لا قدرة لها على السَّمع والبصر ابتداء في حين أنهما من  
مظاهر كماله (( عزّ وجلّ )) لذا أسقط التوكيد في الأعراف أي إن (( سورة الأعراف  
لما تقدم فيها قبل الآية وصف آلهتهم المنحوتة من الحجارة والخشب التي وبخوبها في  
موضع آخر ( وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا  
يُبْصِرُونَ ) (١١٧٧) ، نفى عنهم القدرة وآلة البطش بقوله ( أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ  
أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ) (١١٧٨) ولم يتقدم ما يوهم أدنى شيء يلحقهما بشبه الأحياء فضلا عما  
فوق ذلك فوردت الصفات بقوله (( سميع عليم )) موردا لم يتقدمه ما يوهم صلاحية  
شيء من ذلك لغيره تعالى مما عبده من دونه مما قصد هنا ولا ذكر دعوى شيء من  
ذلك مدع فيستدعي ذلك التوهم مفهوما يتقيه فجاء على ما يجب ... ولما تقدم في سورة  
السجدة (١١٧٩) ما يظهر الفناء ويمكن أن يسمع ويبصر ويعلم ناسبه التعريف في الصفة  
ليعطي بالمفهوم المسمى عند كثير من الأصوليين بـ ( دليل الخطاب ) فصار الكلام في  
قوة أن لو قيل : الله السميع العليم لا غيره )) (١١٨٠) ولو جاء بهما نكرتين لم يفد هذا  
المعنى إذ كل من عنده سمع وعلم يصح أن يوصف بأنه سميع عليم (١١٨١) في حين  
رأى الإسكافي (٤٢٠هـ) غير ذلك : فإنه لما كان في سورة فصلت ما يشق يغلظ على

(1176) الأعراف : ١٩١-١٩٥ .

(1177) الأعراف : ١٩٨ .

(1178) الأعراف : ١٩٥ .

(1179) المقصود فصلت .

(1180) ملاك التأويل : ٤٥٢/١-٤٥٣ ، و ظ : التعبير القرآني : ١٧٥ .

(1181) ظ : التعبير القرآني : ١٧٥ .

الإنسان فعله بمناظرة السيئة بالحسنة ، ومقابلة غلظة السلوك بلين المعاملة وتلك ( ما يُلقّاها إلاّ ذو حَظٍّ عَظِيمٍ ) (١١٨٢) كانت وسوسة الشيطان في مثله أعظم والمؤمن لها أيقظ في حين أن ما قيل في سورة الأعراف أقل مما في فصلت إذ جاء فيها ( خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ) (١١٨٣) فلم تكن سمة الأفعال نفسها التي في فصلت فاكتفى هنا بالأعراض فقط دون الأعراف ومقابلة السيئة بالحسنة كما في فصلت فمستوى المشقة في الأعراف أقل فلم تقع المبالغة في اللفظ واقتصر بالخبر على الأصل أنه سميع عليم (١١٨٤) المخبر عنه معرفة والخبر نكرة لأنها في سورة فصلت مؤكدة بالتكرار بقوله : ( وَمَا يُلقّاها إلاّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلقّاها إلاّ ذو حَظٍّ عَظِيمٍ ) (١١٨٥) فبالغ في التعريف وليس هذا في سورة الأعراف (١١٨٦) أي : إن مقابلة السيئة بالحسنة في سورة فصلت والأعراض عن المسيء من دون الإحسان إليه في الأعراف هو الباعث الأساس في إيجاد نوع التفارق بين النصين لذا جيء بالضمير ولام التعريف ليناسب ما شق على النفس من المعاملة في حين أسقطهما في الأعراف ، ومنه قوله تعالى ( خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) (١١٨٧) وفي موضع آخر ( طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ) (١١٨٨) فالآيتان في المعنى العام واحد ولكن مانع السمع في الاستعمال الأول (( الختم )) وفي الثاني (( الطبع )) وتكرر حرف الجر ( على ) في الأولى ولم تكرر الثانية ، وفي النص الأول قصر الختم على القلوب والسمع وخص الأبصار بالغشاوة على حين امتد مانع ( الطبع ) في النص الثاني على القلوب والأسماع والأبصار فهذه فروق كمظهراً لأثر السياق أما الختم والطبع فيشتركان بكونهما من موانع الإدراك للحواس

(1182) فصلت من الآية: ٣٥ .

(1183) الأعراف من الآية: ١٩٩ .

(1184) ظ : درة التنزيل وغرة التأويل : ٤١٩-٤٢٠ ، والتعبير القرآني : ١٣٢ .

(1185) فصلت من الآية: ٣٥ .

(1186) ظ : البرهان في علوم القرآن : ١/١٢٧ .

(1187) البقرة : : ٧ .

(1188) النحل : ١٠٨ .

أن تقوم بوظيفتها لكنهما يفترقان في نسبة المنع ودرجة ثبوته (( أما الطبع فإنه أثر يثبت في المطبوع ويلزمه ، فهو يفيد معنى الثبات واللزوم ما لا يفيد الختم ، ولهذا قيل طبع الدرهم طبعا ، وهو الأثر الذي يؤثره فلا يزول عنه كذلك أيضا قيل : طبع الإنسان لأنه أثر ثابت غير زائل وقيل طبع فلان على هذا الخلق إذا كان لا يزول عنه )) (١١٨٩)

إذن الطبع أشد من الختم (١١٩٠) والفرق بينهما فرق في الشدة والنوع ولما كان السياق في سورة النحل يتطلب هذا المانع اختاره لقصد المناسبة إذ ورد قبل هذه الآية ما يوحي بتمكن الكفر في قلوبهم قال تعالى : ( مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ) (١١٩١)

فالطبع مناسب لشدة الكفر في أنفسهم ، في حين أن مدار السياق في البقرة أقل حدة من سياق النحل إذ قال : ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ) (١١٩٢) فضلا عن الآيات التي سبقت قبلها لذا قصد مانع (( الختم )) فإنها كالممنوعة من قبول الحق (١١٩٣) ، من هنا حصل التناسب بين المانعين لأن من ختم على سمعه جاز له السمع في حين لا يجوز لمن طبع على سمعه ، أما المفارقة في حرف الجر ( على ) الذي أعيد في الاستعمال الأول وأسقط عن الثاني مع بقاء حرف العطف (( الواو )) الدال على مطلق الجمع إفادة لمعنى التأكيد وليشعر من خلاله بظاهرة تغاير الختمين وهو أن ختم القلوب غير ختم الأسماع (١١٩٤) لذا فرّق النحويون بين (( مررت بزيد وعمرو )) و (( مررت بزيد وعمرو )) فقالوا في الآية الأولى أنه مرور واحد ، وفي الثانية مروران (١١٩٥) ، جاء في الكشاف : (( فإن قلت أيّ فائدة في تكرير حرف الجر

(1189) الفروق في اللغة : ٨٥ .

(1190) ظ : المفردات : طبع .

(1191) النحل : ١٠٦-١٠٧ .

(1192) البقرة من الآية : ٦ .

(1193) ظ : الكشاف : ٦٠/١ .

(1194) ظ : اللباب في علوم الكتاب : ٣٢٠/١ .

(1195) ظ : اللباب في علوم الكتاب : ٣٢٠/١ .



... قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والأسماع في تعديّة واحدة وحين استجد للأسماع تعديّة على حده كان أدل على شدة الختم في الموضوعين ((<sup>(١١٩٦)</sup>) في حين لم يكرر حرف الجر في الآية الثانية لاتحاد نوع الختم على (( القلب والسمع والبصر )) بمعنى : أن جنس ختم القلب هو ذاته ختم السَّمع وهو نفسه ختم البصر لأن مستوى ضلالهم وكفرهم أعظم من المعنيين في الآية الأولى ، أما لمَ لم يجعل غطاء الغشاوة مانعا للرؤية في النحل كما جعله مانعا للرؤية في البقرة ؟ فلفل السبب يكمن في طبيعة الموانع المسوقة (( الختم والطبع والغشاوة )) فالغشاوة أنسب للأبصار من الختم وكأن البصر يقبل الغشاوة والطبع كما نعين ويرفض مانع الختم ، لأن الأبصار تتعطل عن عملها بمجرد وضع الغطاء عليها في حين أن السَّمع والقلب لا يمنع الغطاء عملهما إلا إذا كان المانع ختما أو طبعا إذ لكل من القلب والسمع والبصر طبيعة تكوينية يناسبهما معطل من هنا ندرك القصدية في استقلال كل استعمال بنمط معين من الألفاظ ، ولم يقتصر التغيرات على ما مر من استعمالات فلظاهرة الحذف والذكر نصيب منه كقوله تعالى : ( وَيَلُّ لِكُلِّ أَقَاكِ أَيْمٍ ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُثْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ) (<sup>(١١٩٧)</sup>) وفي استعمال مناظر ورد قوله تعالى : ( وَإِذَا تُثْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ) (<sup>(١١٩٨)</sup>) فالنص الثاني زيد فيه (( كأن في أذنيه وقرا )) ويكمن قصد الزيادة لإفادة معنى التوكيد ومقصد التوبيخ لذا ترك الوصل واعتمد الفصل بين الجملتين ولم يكن معنى التوكيد مرادا في الآية الأولى فضلا عن أن (( آية الجائية لما تقدم فيها قوله : ( وَيَلُّ لِكُلِّ أَقَاكِ أَيْمٍ ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُثْلَى ) فوصفه بسماع آيات الله لم يكن ليطابق ذكر الوقر في الأذن لأنه قد ذكر سماعه الآيات ، والوقر مانع من السماع فلم يناسب الأعلام بالسماع ذكر الوقر المانع فيه ... ولما لم يقع ذكر سماع الآيات في آية لقمان وتقدم ذكر المشار إليه بقوله : ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا

(1196) الكشاف : ١٢٥/١ .

(1197) الجائية : ٧-٨ .

(1198) لقمان من الآية : ٧ .

هُزُؤاً) (١١٩٩) وهذه زيادة مرتكب فناسبها ذكر زيادة الوقر مع أنه لم يرد فيها ذكر سماعه الآيات كما في آية الجاثية فازداد وضحالتلاؤم (( (١٢٠٠) ، فاتضح أن ذكر جملة (( كأن في أذنية وقرا )) وعدم ذكرها في الجاثية مرهون بحكم السياق والقرائن .

#### المبحث الرابع

#### دلالة الإطلاق والعموم

#### أولا دلالة الإطلاق :

للإطلاق مفاهيم متعددة (١٢٠١) تضيقا وتوسعا ، أما ابن يعيش فقد حدّه بر (( ما كان دالا على حقيقة موجودة وذوات كثيرة وتحقيق ذلك أن الاسم المفرد مع ذلك الأمر الذي وقع به تشابه تلك الأشياء تشابه تاما حتى يكون ذلك الاسم اسما لذلك الأمر الذي وقع فيه التشابه فإذا قلت : إنسان وقع على كل إنسان باعتبار الأدمية )) (١٢٠٢) أي (( هو ما وضع للماهية من غير أن تعين في الخارج والذهن )) (١٢٠٣) فينطلق الذهن عنانه لاستيعاب أفراد الجنس محل الإطلاق جميعها دون قيد أو شرط يقلل نسبة

(1199) من لقمان من الآية: ٦ .

(1200) ملاك التأويل : ٧٨٩/٢-٧٩٠ .

(1201) ظ : تفصيل هذه التعاريف : الإطلاق والتقييد في النص القرآني : سيروان عبد الزهرة الجنابي ، جامعة

الكوفة - كلية الآداب ، رسالة ماجستير ، مخروبة على الآلة الحاسبة (٢٠٠٢) : ١٣-٣١ .

(1202) شرح المفصل : ٢٦/١ .

(1203) همع الهوامع : ٧٠/١ .

الإطلاق أو يحد ظاهرة التعدد اللذان هما قوام الإطلاق<sup>(١٢٠٤)</sup> ، وقد جاءت هذه الظاهرة في ألفاظ السَّمع بأنماط شتى هي :

أ- دلالة الإطلاق في حذف المفعول :

جاء الفعل (( سَمِعَ )) في الاستعمال القرآني متعد بنفسه تارة وبالواسطة تارة أخرى<sup>(١٢٠٥)</sup> ، إلا أنه لم يستوف مفعوله في خمسة وأربعين موضعاً<sup>(١٢٠٦)</sup> من ذلك قولهُ تَعَالَى إلى ( وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ )<sup>(١٢٠٧)</sup> إذ حذف مفعولي (( السَّمع والطاعة )) ليتسع ميدان التصور (( والمراد بهما كل ما أمر به الله سبحانه وتعالى ))<sup>(١٢٠٨)</sup> وقد حصل الإطلاق بالتركيب بحذف المتعلق بالسمع والطاعة والاقتصار على ذكر المسند والمسند إليه ، ومنه قوله تعالى ( يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا )<sup>(١٢٠٩)</sup> فالمفعول (( في فعلي السَّمع والبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا أبصار ))<sup>(١٢١٠)</sup> اتساقاً مع المعنى المسوق لأن الخطاب القرآني هنا عبر عن تجرد تلك الأصنام من أي إمارات الإحياء فالإطلاق قد حقق معنى انعدام ربوبيتها ولو استوفى الفعلان فعليهما وخصص بهما نوع مسموع أو مُبصر لما تحققت الدلالة المنوطة بالآية الشريفة لأن تمكنهما من السماع دلالة على حياتها وحيويتها وهذا ليس مراداً من هنا ندرك جمالية الاستعمال ورفعته في صناعة التراكيب القرآنية إذ

<sup>(1204)</sup> الصاحبى في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها : ١٩٤ .

<sup>(1205)</sup> ظ : البحث ، الفصل الثالث :

<sup>(1206)</sup> ظ : ملحق برقم ( ١٤ ) .

<sup>(1207)</sup> البقرة من الآية: ٢٨٥ .

<sup>(1208)</sup> دلالة الفعل في القرآن الكريم : هاتف بريهي شياح ، جامعة الكوفة - كلية الآداب ، أطروحة دكتوراه ،

مضروبة على الآلة الحاسبة (٢٠٠٠) : ١٢٣ .

<sup>(1209)</sup> مريم من الآية: ٤٢ .

<sup>(1210)</sup> الكشف : ١١١/٢ .

يعد حذف المفعول سرا من أسرار جمالية اللغة العربية لذا أدرجه ابن جني (٣٩٢هـ) تحت عنوان (( باب شجاعة العربية )) (١٢١١)

ب- دلالة الإطلاق في حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول :

إحدى موارد الإطلاق حذف الفاعل وإعطائها المفعول ما للفاعل من أحكام (١٢١٢) ، فيذهب الذهن كل مذهب في سبيل تعيين أو تحديد الفاعل فتتحقق بذلك دلالة

الإطلاق كقوله تعالى :

( قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ ) (١٢١٣) في قراءة من بناه للمجهول

(١٢١٤) ، إذا أفاد بناء الفعل للمجهول دلالة الإطلاق الذي يتوجه فيه الاهتمام بالحدث إلى

فعل (( السمع )) والتركيز عليه مع التقليل من شأن الفاعل لأن النص القرآني هنا أراد

باستحالة اسماع الصم الدعاء لأنهم فاقدين القدرة بغض النظر عن الفاعل لذا أهمل بعد

تصيير البناء للمعلوم مجهولا .

ج- دلالة الإطلاق في الفعل المضارع :

الفعل المضارع هو الدال على الحال والاستقبال (١٢١٥) إلا إذا اقترن بقرائن

تصرف دلالاته الزمنية لدلالة أخرى بحسب ارتباط صيغة الفعل بتلك القرائن (١٢١٦) ))

ويطلق المضارع من حيث

(1211) الخصائص : ٣٧٢/٢ .

(1212) ظ : شرح المفصل : ٦٩/٣ .

(1213) الأنبياء من الآية: ٤٥ .

(1214) ظ : مختصر في شواذ القراءات : ٩١ ، والبحر المحيط : ٣١٥-٣١٦ .

(1215) ظ : الكافية في النحو : ٢٢٦-٢٢٧ ، المقصد في شرح الإيضاح : ٨٣/١ .

(1216) ظ : البحث ، الفصل الثاني : ١٠٤

الزمن بالتجريد منه ودلالته على الدوام والاستمرار وكأن الفعل صفة لازمة للفاعل  
دائمة

فيه )) (١٢١٧) ، وكان البحث قد أشار إلى أن نسبة الفعل المضارع في أفعال السمع  
بلغت خمسا وستين مرة أي بنسبة ٥٧% من مجموع البناء الفعلي فيها (١٢١٨) ، ومن  
ذلك قوله تعالى ( لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لُعْواً وَّلا تَأْتِيماً ) (١٢١٩) ، فانتفاء سماعهم للغو والإثم  
ليس انتفاء مقيدا إنما هو مطلق إكراما لهم ، ورفعاً لشأنهم ، وجزاء الحسن أعمالهم ،  
فهم منعّمون إنعاما متجددا مستمرا لتجدد الفعل المضارع واستمراره ، ومنه قوله تعالى  
: ( بَشِيْرًا وَّنَذِيْرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ هُمْ لَا يَسْمَعُونَ ) (١٢٢٠) أي : لا يفقهون ما يسقط على  
آذانهم (١٢٢١) وقد دل البناء المضارع هنا على أن الكفر لديهم لم يكن كفرا مرحليا  
متلاش بتلاشي آثاره عند نقطة إنما هو كغروس متجذر في أعماقهم .

هـ- أداة نافية أو ناهية + كان :

وهو التركيب الذي تتحقق به دلالة الإطلاق والاستغراق لإفراد الجنس كله ،  
فإذا قلت : ما كان يكذب فإن النفي يكون مطلقا يشمل الأكوان جميعها لأن أداة النفي  
تكون على الكون وليس على الفعل نفسه (١٢٢٢) ، بخلاف فيما لو غير التركيب  
بالصورة الآتية (( كان لا يفعل )) لأن النفي يكون عندئذ مسلطا على الفعل لا الكون ((  
فإن كان لا يفعل تثبت له عدم الفعل وفي (( ما كان يفعل )) لا تثبت له الفعل )) (١٢٢٣)  
فبينهما فارق في توجه دلالة النفي ، وقد ورد تركيب (( ما كان يفعل )) في قوله تعالى

(1217) الإطلاق والتقييد في النص القرآني : ٩٠ .

(1218) ظ : ملحق برقم ( ٨ ) .

(1219) الواقعة من الآية: ٢٥ .

(1220) فصلت من الآية: ٤ .

(1221) ظ : البحر المحيط : ٩٠/٨ ، وحاشية القونوي : ٢٢٣/٣ .

(1222) ظ : معاني النحو : ٢٣٨/١ .

(1223) معاني النحو : ٢٣٨/١ .

: ( ما كانوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ )<sup>(١٢٢٤)</sup> فلما وقع النفي هنا على كان أطلقت دلالة نفي استطاعتهم على نحو الاستغراق والشمول وفي دلالة الإطلاق إمارة على التقرُّيع والتهديد والتوبيخ كل هذه المعاني معا ، ويبدو للبحث أن (( الألف واللام )) في مفردة (( السَّمْع )) عهديّة لا جنسية لأن اعتبارها (( جنسية )) يقتضي نفي استطاعتهم للمسموعات جميعها وهي دلالة العموم التي تتطلب (( الشمولية )) في حين أن تركيب (( ما + كان + يفعل )) يدل على الإطلاق وإن حملها على معنى (( العهديّة )) يتفق ودلالة الإطلاق التي تتطلب (( البدلية )) (( فالعام عمومه شمولي وعموم المطلق بدلي ... والفرق بين عموم الشمول وعموم البديل : أن عموم الشمول كلي يحكم فيه على كل فرد ، وعموم البديل كلي حيث إنه لا يمنع تصور مفهوم من وقع الشركة فيه ))<sup>(١٢٢٥)</sup> ، فإنهم كانوا يسمعون عدا وحي السماء ، ويتفاعلون معه سوى خطاب الحق (( لفرط تصامهم عن الحق ورفضهم له فكأنهم لا يقدرّون على السَّمْع ولما كان قبح حالهم في عدم أذهانهم للقرآن الذي طريق تلقّيته السَّمْع أشد منه في قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالإبصار بالغ في نفي الأول عنهم حيث نفي عنهم الاستطاعة واكتفى بالثاني بنفي الإبصار ))<sup>(١٢٢٦)</sup> ونلاحظ دقة التركيب في كلائمة المعنى إذ المراد نفي ثبات أصل فعل السَّمْع وهو أعلى من نفي حصول الفعل فالفرق بينهما واضح ، أي أن هذا التركيب انفتح النفي فيه على الأزمان كلها (( الزمن الاستغراقي )) ولو قال (( كانوا لا يستطيعون السَّمْع )) لا ينحصر النفي في الماضي والحاضر ولكن قد يتحقق بالمستقبل فضلا عن تسليط النفي على الاستطاعة لا الكون ، وفي لمحة بلاغية من التعبير القرآني ذيل الآية بقوله (( وما كانوا يبصرون )) الذي أطلق نفي البصر فيها فيكون نفي السَّمْع والبصر مطلقين دلالة ارتفاع مستوى الجهل لديهم واستغلاق نوافذهم

<sup>(1224)</sup> هود من الآية: ٢٠ .

<sup>(1225)</sup> إرشاد الفحول : محمد بن علي بن محمد ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر ، ط : ١ (د-تج) :

. ١١٥-١١٤ .

<sup>(1226)</sup> تفسير ابن مسعود : ١٩٧/٤ .

المعرفية استغلاقا كونيا لا مرحليا والفرق بين النفيين أن الأول نفي للاستطاعة أصلا في حين أن نفي البصر أقل منه مبالغة نفي الاستطاعة (١٢٢٧).

ثانيا : دلالة العموم :

يعرّف العام بأنه (( اللفظ الموضوع وضعا واحدا للدلالة على جميع ما يصلح له الإفراد على سبيل الاستغراق والشمول من غير حصر في كمية معينة أو عدد معين )) (١٢٢٨) لأن الانطباق فيه شمولي لا بدلي ، فالعام يدل (( على استغراق أفراد مدلوله مع كـون الإفراد غير محصورين )) (١٢٢٩) ، وللعام أدوات لغوية يسجل البحث ما ورد منها في سياق ألفاظ السمع :

أ- وقوع النكرة في سياق النفي :

يدل هذا التركيب على العموم باتفاق العلماء (١٢٣٠) ، وذلك بدخول النكرة تحت عنوان الحكم المسوق بكل أصنافه وأحكامه دخولا مستغرقا شموليا لا انطباقا بدليا كقوله تعالى :

( وَكَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَنصِتُونَ سَمْعًا ) (١٢٣١) إذ سيقّت مفردة (( سمع )) نكرة فدلّت بذلك على العموم أي : أنهم صمّوا آذانهم عن استماع الحق بعمومه لأن النكرة تنطبق على ماهيات عدة يمكن أن تكون تلك الماهيات مصداقا فتندرج تحتها ، فضلا عن مجيء النكرة على صيغة المصدر أفادت هي الأخرى دلالة العموم لأن المصدر من الأدوات اللغوية التي تدل على العموم والاستغراق لأنه يفيد (( بلفظه الجنس الذي وضع له ثم

(1227) ظ : م.ن : ١٩٧/٤ .

(1228) أصول السرخسي : للإمام الفقيه النظار أبي بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخي ، تح : أبو الوفاء الأفغاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : (٢٠٠٥) ١٠/١٢٥ .

(1229) دراسة المعنى عند الأصوليين : د. طاهر سلمان حمودة ، الدار الجامعية ، (د.ت) : ٢٣ .

(1230) ظ : بدائه الفوائد : ٣-٢/٤ ، وابن قيم الجوزية ( جهوده في الدرس اللغوي ) د. طاهر سلمان حمودة ، دار بور سعيد للطباعة ، (د.ت) : ٧٥ .

(1231) الكهف : ١٠١ .

ينصرف إلى الوحدة والانفراد بعلامة تلحقه ... فأسماء الأحداث نحو : الضرب والضربة ... من شرطها وشرط سائر الأجناس أن لا تقف على قليل دون قليل ولا كثير دون قليل إلا بدلالة )) (١٢٣٢) ، فتكون دلالة العموم على عدم استطاعتهم السمع قد تعاضدت على إبرازها أداتان لغويتان إحداهما في سياق تركيبى (( النكرة في سياق النفي )) والأخرى في سياق إفرادي (( المصدر )) وتبعاً لذلك تكون دلالة العموم أعمق وأكثر دقة في هذا الموضع .

#### ب- جمع الكثرة :

وهو الجمع الذي يتضمن ما لانهاية من الأعداد (١٢٣٣) ، وعمومه متأت احتوائه لهذا العدد  
ف)) وأعلم أن الأبنية التي تفيد الكثرة كالفجار ... والسودان والبيضان وما جرى مجراها متى لم يقترن بها ما يخصصها بعدد بعينه فحكمها حكم أسماء الأجناس إلا أن أسماء الأجناس ترتقي من الواحد وهذه الأبنية ترتقي من الثلاثة )) (١٢٣٤) وكان البحث قد أشار إلى مجيء مفردة ( صُمُّ ) بزنة (( فُعْل )) التي تطرد في الأسماء والأوصاف في إحدى عشرة مرة (١٢٣٥) بأبنية مختلفة (١٢٣٦) فيها قوله تعالى ( صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) (١٢٣٧) ف( صُمُّ ) مع الوصفين الآخرين جمع تكسير لم تكن منحصرة بعدد معين حتى تفتضي التقييد فضلاً عن مجيئها فضلاً عن مجيئها

(1232) القول ففي ألفاظ الشمول والعموم والفصل بينهما ( ضمن رسائل في اللغة ) : نح : فاضل إبراهيم

السامرائي : ٦٧

(1233) ظ : الكتاب ٤٩٠/٣ ، وشرح الوافية على نظم الكافية : ٣٢١ .

(1234) القول في ألفاظ الشمول والعموم والفصل بينهما : ٩٦-٩٧ .

(1235) ظ : ملحق برقم ( ٥ ) .

(1236) ظ : ملحق برقم ( ٥ ) .

(1237) البقرة : ١٧١ .





المعجم واستظهرت مدى تمكنه من مفردات اللغة ومقدار مرونته في التعامل مع واقعها

٢: تُعدُّ حاسة السمع مقوماً أساساً من مقومات استقامة السلوك ، ونافذة مهمة من نوافذ الاتصال بين الإنسان ومحيطه وبانعدامها تضيع حلقات التبادل الفكري ، فتحصل ظاهرة العزلة لدى فاقدها وإن كان ذلك التأثير نسبياً .

٣: فقدان حاسة السمع لدى الإنسان أبلغ تأثيراً على منجزاته – السلوكية والمعرفية – من فقد أية حاسة أخرى إذا أخذنا بالحسبان قياس حركة كل واحدة منها ، لذا لم يبعث الله رسولا أصم بينما كان من الأنبياء من ابتلي بالعمى لاتساع عمل حاسة السمع في إنجاز المشروع الرسالي .

٤ : إذا كانت الحواس الأخرى يتعطل عملها ، ويضعف مستوى تأثيرها بليل أو نهار فإن حاسة السمع عاملة بكليهما ، لذا من أجل تنويم أهل الكهف ضرب الله على أذانهم .

٥: نقل الخطاب القرآني أن سبب ضلال كثير من الناس أنهم لم يفعلوا حاستهم السامعة إذ كانوا صُمًّا بكما عميا مما يعني أن حاسة السمع تشارك مشاركة معتبرة في ترسيخ مبدأ الإيمان أو تجريدهم .

٦: بلغ مجموع تكرار مفردة (( سمع )) واشتقاقاتها خمسا وثمانين ومائة مرة موزعة على إحدى وستين سورة من مجموع أربع عشرة ومئة سورة وهي سور القرآن ، أي إن السمع شغل حيزاً تبلغ مسبته ٥,٣٥% من القرآن الكريم ، وهي نسبة كبيرة كانت إحدى المحفزات لدى الباحث في سبر أغوارها والكشف عن أسرارها العجيبة ، فيما بلغت نسبة تكرار مفردة (سمع) الصريحة والضمنية وجميع ما يندرج ضمن حقلها الدلالي إحدى وأربعين ومئتي مرة .

٧: إن الاستعمال القرآني رصف مفردات السمع رصفا صوتيا معبرا عن آفاق الدلالة المرادة على وفق قصد معبرٍ تنتظم فيه المفردات بسياق لفظي موحد ، واتساق تألوفي مدلل بحسب ما يتطلبه السياق من نظم فجاءت البنية الصوتية لتلك الألفاظ معبرة

عن معناها حيث انتظمت في سياقها ، ومدللة على مقصدها حيث استقرت في قرارها الأمر الذي يتعذر لأجله مغايرة التركيب واختلال التشاكل الصوتي فيما بينها .

٨: إن الخفة النطقية وانسجام المفردة كانت أبرز علائم ألفاظ السمع ، أما بتأثير الصوائت أو بفعل ارتفاع نسبة الأصوات المجهورة التي لا تتطلب سوى قدر من الجهد العضلي البسيط ، أو نتيجة للمعالجات الصوتية التي تحدث في بنية المفردة كظاهرة الإبدال والإدغام والإمالة إذ تصب جميعها نحو تقليل الجهد وتقليص العمل النطقي لها .

٩: إن (( المبالغة )) قد حدثت في أبنية ألفاظ السمع أما بفعل التشديد أو بأثر المد المصاحب لبعض المفردات التي أكسبها حساً مبالغاً أو نفساً تأكيدياً بفعل تلك التأثيرات الموقعية انسجاماً مع أصل الحدث وطبيعة المقام .

١٠: لم تسر البنية الصرفية لألفاظ السمع على نمط موحد فجاء بعضها بالبناء الأسمي والآخر بالنمط الفعلي على وفق أبنية صرفية ملونة بتلون تعابيره ، وبتعدد الحالات النفسية التي يعالجها ، فمتى أراد الثبوت جاء بالاسم ، ومتى أراد الحدث مفرغاً من الزمن التزم المصدر ، وأن كان المصدر يتطلب استمراراً استعمال البناء الفعلي مزيداً كان أم مجرداً .

١١: انقسمت أزمنة أفعال السمع على قسمين (( ومن الصيغة وزمن السياق )) وقد تفاوتت أزمنة الصيغة فجاء الزمن المضارع بالمرتبة الأولى بنسبة ٥٧% ، فيما جاء الماضي بنسبة ٢٩% ، وبواقع ١٣% لفعل الأمر ، ولم تكن تلك النسب خارجة عن إطار المناسبة بين دلالة النص ومعنى زمن الصيغة .

١٢: تقلبت مفردة السمع ضمن سياقات تركيبية متعددة ، وقنوات تعبيرية ملونة فجاءت مرة ضمن الأسلوب الخبري وسيقت مرة ثانية بمعنى الإنشاء وبمعنى الشرط مرة ثالثة كل ذلك بصور تركيبية متعددة ، وأنماط متغايرة ، كلُّ حالة تعبر عن ارتباط نفسي يقصده النص ، وتمليه ضرورات الحدث .

١٣: انسجمت مفردة السمع مع ما جاورها من الألفاظ انسجاماً بعيداً عن التعقيد أو المعاظلة لذلك ابتعدت عن الغموض في دلالتها أو الإفصاح عن معناها ، فالمعاني الإعرابية التي حملتها مفردة السمع معان جلية متناسقة ، أما الاختلاف الآراء وتعدد

الاحتمالات فهي فرضيات لا دليل عليها وإن استقامة المعنى هو الموجه للمعنى المراد

١٤: جاء فعل السمع عدة صور من حيث ارتباطه بمفعوله ، فقد عُدي لمفعول واحد تارة ولمفعولين تارة ثانية ، وجاء متعديا بنفسه مرة وبالواسطة مرة ثالثة ، وما تلك المغايرة في أصل الاستعمال إلا على وفق ما يتطلبه العنصر الدلالي للنص حينما يريد معنى آخر يتجاوز به معنى السمع .

١٥: إن السياق كان الموجه الأساس في اختيار الفاصلة عندما تكون من مفردات السمع فلم يكن الفصل بـ(( يسمعون )) إلا إذا سبق ما يلائمها ، ولم يختم بـ( سميع بصير ) إلا إذا كان البصر أو ما يلزمه قد ذكر مسبقا ، ولم يقع (( سميع عليم )) فاصلة إلا إذا صتمَّ السياق ذلك ، وإذا كان السياق متضمنا دعاء وتبتلا فصل بـ( سميع الدعاء) .

١٦: أن النص القرآني يؤسس منظومة معرفية متكاملة في قضية استحصال المعرفة يتضح في قوله تعالى : ( وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) النحل : ٧٨، وبهذا النص إشارة إلى حقيقتين أساسيتين :

أ- إن المعرفة لدى الإنسان معرفة اكتسابية في الغلب (( يلد الإنسان صفر المعرفة ))

ب- إن لتلك المعرفة نوافذها السمع والأبصار والأفئدة أحدها .

ج- إنه يؤسس لنظرية فلسفية – إسلامية سابقة لكل النظريات التي خاضت في هذا المضمار مما يمكن تسميتها (( نظرية المعرفة القرآنية )) ، فهو يضرب نظرية الحسين ، ولا يؤمن بروى الفعلين ويزاوج بين الاثنين لاستحصال المعرفة .

١٧: شكلت ظاهرة اقتران (( السمع بالبصر والقلب والفؤاد والعقل )) أدوات معرفية يكمل بعضها بعضا ، لذا استندت مهمات كبرى تتعلق بالإيمان والعقيدة تارة وبالمعرفة واستحصالها تارة ثانية .

١٨: عندا اقتران السمع بالبصر والفؤاد اطردت الحقائق الآتية :

أ- إن الفؤاد يقع بعد السمع والبصر .

ب- إن الفؤاد يجمع متى ما جمع البصر ويفرد متى ما أفرد .

ج- إن البصر يقع بين السمع والفؤاد .

د- تارة يعبر عن تلك الأدوات بالفعل (( أنشأ )) وتارة بالفعل (( جعل )) .

إن هذه الحقائق تعدُّ من أبرز علائم إعجاز النظم القرآني ، وارتفاع حس الذوق في رصف تلك الأدوات .

١٩ : إن ظاهرة تقديم السمع على البصر لم تكن سمة مطرودة في أسلوب القرآن إذ قدّم البصر على السمع ببعض المواضع لذا لم يؤمن البحث بأفضلية أحدهما على الآخر فأصم أذنيه عما نادى به كثير ، وأرجعها للمحرك الأساس في تقديم ما قدّم أو تأخير ما أخر وهو (( عنصر السياق )) لأن تلك الآراء فرضيات تفتقد إلى الدليل المرجح ، وينسحب هذا المفهوم على العلم والقلب والفؤاد حينما يقدم السمع عليها أو يؤخر عنها .

٢٠ : استعمل النص القرآني صيغة المفرد للسمع والجمع للبصر بشكل مطرد عند اقترانهما ، أما لكون السمع قد غلب عليه معنى المصدرية والمصادر لا تجمع ، أو لخفة المفرد على الجمع أو لأصالته وفرعية السمع عليه .

٢١ : حصلت ظاهرة (( تلاقي التعبير واختلاف التركيب )) في الآيات التي تضمنت مفردة سمعية ، أما بإسقاط أو حذف أو ذكر أو إضمار أو تقديم أو تأخير أو بهذه كلها ، وقد لاحظ البحث أن السياق هو الأساس الذي يهيكل نمطية هذه التعبيرات بالشكل الذي يراه مناسباً .

٢٢ : إن الاطلاق الذي تحرك في الفاظ السمع مثل اداة يستعملها النص القرآني اذا ما ارد طرح قيمة دلالية داخل الاية تنسجم مع الحدث المسوق سواء بالمفردة ام بالتركيب ام بالاثنتين معا .

## الملاحق

ملحق رقم ( ١ ) يبين توزيع الأصوات الصائتة (( القصيرة والطويلة ))

الأصوات الصائتة						تكرارها	مفردة السَّمع	
الطويلة			القصيرة					
الياء	الألف	الواو	الكسرة	الفتحة	الضمة			
-	-	-	٢	٤	-	٢	سَمِعَ	١.
-	-	-	١	٢	-	١	سَمِعْتُ	٢.
-	-	-	١	١	-	١	سَمِعْتُمْ	٣.
-	-	٢	٢	٢	٦	٢	سَمِعْتُمُوهُ	٤.
-	١٧	-	١٧	-	-	١٧	سَمِعْنَا	٥.

-	-	-	٢	٢	١	١	سَمِعَهُ	٦
-	-	٦	٦	٦	٦	٦	سَمِعُوا	٧
-	١	-	-	١	١	١	أَسْمَعُ	٨
-	-	-	-	٨	٤	٤	تَسْمَعُ	٩
-	-	-	-	٤	١	١	لَتَسْمَعَنَّ	١٠
-	-	١	-	٢	١	١	تَسْمَعُوا	١١
-	-	١	-	٦	٢	٢	تَسْمَعُونَ	١٢
-	-	-	١	٤	١	٢	نَسْمَعُ	١٣
٦	-	-	-	١٢	٦	٦	يَسْمَعُ	١٤
٢	٢	-	-	٤	-	٢	يَسْمَعُهَا	١٥
٢	-	٢	-	٤	-	٢	تَسْمَعُوا	١٦
١٩	-	١٩	-	٥٧	-	١٩	يَسْمَعُونَ	١٧
١	-	١	-	٣	٢	١	يَسْمَعُونَكُمْ	١٨
-	-	-	-	٢	-	٢	اسْمَعُ	١٩
١	٤	٤	-	٤	-	٤	اسْمَعُوا	٢٠
-	-	١	١	١	-	١	فَاسْمَعُونَ	٢١
-	١	-	-	٤	٢	٢	أَسْمَعُهُمْ	٢٢
-	-	-	١	-	٨	٨	تَسْمَعُ	٢٣
١	-	-	١	-	٢	١	يُسْمَعُ	٢٤
-	-	-	٢	٢	-	٢	أَسْمَعُ	٢٥
١	-	-	-	٦	-	١	يَسْمَعُونَ	٢٦
-	-	-	١	١	-	١	اسْتَمِعُ	٢٧
-	١	١	١	١	١	١	اسْتَمِعُوهُ	٢٨
-	-	١	١	٣	-	١	تَسْمَعُونَ	٢٩
٣	-	-	٣	٦	٣	٣	يُسْمَعُ	٣٠
٦	-	٦	١	١٨	-	٦	يَسْمَعُونَ	٣١
-	١	-	٢	٤	-	٢	اسْتَمِعُ	٣٢
-	١٢	-	-	٣٦	-	١٢	اسْتَمِعُوا	٣٣
-	-	-	-	٤	-	٢	الْسَّمْعَ	٣٤
-	-	-	-	٤	٢	٢	سَمْعاً	٣٥
-	-	-	٢	١	-	١	سَمْعِهِ	٣٦
-	-	-	-	٥	١٠	٥	سَمْعَهُمْ	٣٧

٤٣	-	-	-	٤٣	٤٣	٤٣	سَمِيعٌ	٣٨
٤	٤	-	٤	٤	-	٤	سَمِيعاً	٣٩
-	-	-	١	-	١	١	مُسْمَعٌ	٤٠
-	-	-	-	١	١	١	مُسْتَمِعُهُمْ	٤١
-	-	-	١	١	٣	١	مُسْتَمِعُونَ	٤٢
٤	٤	-	١	١٢	-	٤	سَمَّاعُونَ	٤٣
٩٣	٤٧	٤٥	٥٤	٢٨٥	١٠٧	١٨٥	المجموع	
١٨٥			٤٤٦				المجموع	
			٦٣١				المجموع	

ملحق رقم ( ٢ ) ، ويبين مجموع توزيع الأصوات المجهورة والمهموسة التي اشتملت عليها مفردة (( سَمِعَ ))

تكرارها	المهموسة	ت	تكرارها	المجهورة	
١٩٢	س (١٢٤١)	.١	٢٠٧	م (١٢٤٠)	.١
٢٢	ت	.٢	١٨٥	ع	.٢
		.٣	٤٩	و	.٣
		.٤	١٠	ن	.٤
		.٥	٤٤	ي	.٥
		.٦	٣٤	الألف	.٦
٢١٤	المجموع		٥٢٩	المجموع	

ملحق رقم ( ٣ ) ، ويبين مجموع انواع المدّ في ألفاظ السَّمْع في القرآن الكريم

نوع المد	تكرارها	مفردة السَّمْع	
أصلي	٤٩	يَسْمَعُونَ	.١
أصلي	٦	سَمِعُوا	.٢
أصلي	١	تَسْمَعُوا	.٣

(1240) يشمل الميم المشددة .

(1241) يشمل السين المشددة .



أصلي	٢	تَسْمَعُونَ	٤.
أصلي	٢	يَسْمَعُوا	٥.
أصلي	٤	سَمَاعُونَ	٦.
أصلي	١	يَسْمَعُونَكُمْ	٧.
أصلي	٤	اسْمَعُوا	٨.
أصلي	١	فَاسْمَعُونَ	٩.
أصلي	١٩	يَسْمَعُونَ	١٠.
أصلي	١	اسْتَمَعُوهُ	١١.
أصلي	١	تَسْتَمِعُونَ	١٢.
أصلي	٦	يَسْتَمِعُونَ	١٣.
أصلي	٤٣	سَمِيعٌ	١٤.
أصلي	٤	سَمِيعاً	١٥.
أصلي ، فرعي (( بدل ))	٢×٤	أَذَان	١٦.
أصلي ، فرعي (( بدل ))	٣×١	أَذَانِنَا	١٧.
أصلي ، فرعي (( بدل ))	٢×٧	أَذَانِهِمْ	١٨.
أصلي ، فرعي (( بدل ))	١	فَأَذِّنُوا	١٩.
أصلي ، فرعي (( بدل ))	٢×١	أَذِّنَاكَ	٢٠.
أصلي ، فرعي (( بدل ))	١	أَذِّنْكُمْ	٢١.
فرعي (( مثقل ))	١	الصَّاحَّةُ	٢٢.
	١٧٩مداً	المجموع	

جدول رقم ( ٤ ) يبين مواضع توزيع البنية المصدرية لألفاظ السمع في القرآن الكريم

ت	المفردة	تكرارها	مواضع ورودها في القرآن الكريم
١.	السَّمْع	١٢	يونس : ٣١ ، هود : ٢٠ ، الحجر : ١٨ ، المحل : ٧٨ ، الشعراء : ٢١٢ ، ٢٢٣ ، السجدة : ٩ ، ق : ٣٧ ، الملك : ٢٣ ، الجن : ٩ .
٢.	سَمِعاً	٢	الكهف : ١٠١ ، الأحقاف : ٢٦ .
٣.	سَمِعَهُ	١	الجاثية : ٢٣ .
٤.	سَمِعَكُمْ	٢	الأنعام : ٤٦ ، فصلت : ٢٢ .
٥.	سَمِعَهُمْ	٥	البقرة : ٧ ، ٢٠ ، النحل : ١٠٨ ، فصلت : ٢٠ ، الأحقاف : ٢٦ .

٦ .	وَقَرَّ	٢	فصلت : ٥ ، ٤٤ .
٧ .	وَقَرَأَ	٤	الأنعام : ٢٥ ، الإسراء : ٤٦ ، الكهف : ٥٧ ، لقمان : ٧ .
المجموع الكلي		٢٨	

جدول رقم ( ٥ ) يبين توزيع مجموع الكثرة والقلّة لألفاظ السمع في القرآن الكريم

ت	المفردة	تكرارها	مواضع ورودها في القرآن الكريم
١ .	صُمُّ	٩	البقرة : ١٨ ، ١٧١ ، الأنعام : ١٣٩ ، الأنفال : ٢٢ ، يونس : ٤٢ ، الأنبياء : ٤٥ ، النحل : ٨٠ ، الروم : ٥٢ ، الزخرف : ٤٠ .
٢ .	صُمًّا	٢	الإسراء : ٩٧ ، الفرقان : ٧٣ .
٣ .	آذان	٤	النساء : ١١٩ ، الأعراف : ١٧٩ ، ١٩٥ ، الحج : ٤٦ .
٤ .	آذاننا	١	فصلت : ٧ .
٥ .	آذانهم	٧	البقرة : ١٩ ، الأنعام : ٢٥ ، الإسراء : ٤٦ ، الكهف : ١١ ، ٥٧ ، فصلت : ٤٤ ، نوح : ٧ .
المجموع الكلي		٣٢	

ملحق رقم ( ٦ ) يبين توزيع المشتقات لألفاظ السمع

أولاً : اسم الفاعل :			
ت	المفردة	تكرارها	مواضع ورودها
١ .	مُسِمِعٌ	١	النساء : ٤٦ .
٢ .	مُسْتَمِعُهُمْ	١	الطور : ٣٨ .
٣ .	مُسْتَمِعُونَ	١	الشعراء : ١٥ .
ثانياً : اسم المفعول :			
ت	المفردة	تكرارها	مواضع ورودها
١ .	مُسْمِعٌ	١	النساء : ٤٦ .

ثالثا : الصفة المشبهة :

ت	المفردة	تكرارها	مواضع ورودها
١.	صُمُّ	٩	البقرة : ١٨ ، ١٧١ ، الأنعام : ٣٩ ، الأنفال : ٢٢ ، يونس : ٤٢ ، الأنبياء : ٤٥ ، الروم : ٥٢ ، الزخرف : ٤٠ ، النمل : ٨٠ .
٢.	صُمًّا	٢	الإسراء : ٩٧ ، الفرقان : ٧٣ .

رابعا : صيغ المبالغة :

ت	المفردة	تكرارها	مواضع ورودها
١.	سميع	٤٣	البقرة : ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٨١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٤ ، ٢٥٦ ، آل عمران : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ١٢١ ، المائدة : ٧٦ ، الأنعام : ١٣ ، ١١٥ ، الأعراف : ٢٠٠ ، الأنفال : ١٧ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٦١ ، التوبة : ٩٨ ، ١٠٣ ، يونس : ٦٥ ، هود : ٤٢ ، يوسف : ٣٤ ، إبراهيم : ٣٩ ، الإسراء : ١ ، الأنبياء : ٤ ، الحج : ٦١ ، ٧ ، النور : ٢١ ، ٦٠ ، الشعراء : ٢٢ ، العنكبوت : ٥ ، ٦٠ ، لقمان : ٢٨ ، سبأ : ٥٠ ، غافر : ٢٠ ، ٥٦ ، فصلت : ٣٦ ، الشورى : ١١ ، الدخان : ٦ ، الحجرات : ١ ، المجادلة : ١ .
٢.	سميعاً	٤	النساء : ٥٨ ، ١٣٤ ، ١٤٨ ، الإنسان : ٢ .
٣.	سماعون	٤	المائدة : ٤١ ، ٤١ ، ٤٢ ، التوبة : ٤٧ .

ملحق رقم (٧-أ) يبين توزيع الأفعال السمعية المزيدة بحرف واحد في القرآن الكريم

ت	المفردة	الوزن	تكرارها	مواردها في القرآن الكريم
١.	أَسْمِعْ	تُفْعِلْ	٨	يونس : ٤٢ ، النمل : ٨٠ ، ٨٠ ، ٨١ ، الروم : ٥٢ ، ٥٣ ، الزخرف : ٤٠ .
٢.	يُسْمِعْ	يُفْعِلْ	٦	البقرة : ١٧١ ، التوبة : ٦ ، مريم : ٤٢ ، الأنبياء : ٤٥ ، الجاثية : ٨ ، المجادلة : ١ .
٣.	أَدْنِتُكُمْ	أَفْعَلْتُكُمْ	١	الأنبياء : ١٠٩ .

٤.	أَدَّن	فَعَّلَ	٤	الأعراف : ٤٤ ، يوسف : ٧٠ ، الحج : ٢٧ ، فصلت : ٤٧
المجموع الكلي			١٩	
ملحق رقم (٧-ب) يبين توزيع الأفعال السمعية المزيدة بحرفين في القرآن الكريم				
ت	المفردة	وزنها	تكرارها	مواردها في القرآن الكريم
١.	تَأَدَّ	تَفَعَّلَ	٢	الأعراف : ١٦٧ ، إبراهيم : ٧ .
٢.	تَحَسَّسَ	تَفَعَّلَ	١	يوسف : ٧٨ .
٣.	اسْتَمِعَ	أَفْتَعَلَ	١٧	الجن : ١ ، الأنبياء : ٢ ، الشعراء : ٢٥ ، الأنعام : ٢٥ ، محمد : ٢٦ ، الجن : ٩ ، الصافات : ٨ ، يونس : ٤٢ ، الإسراء : ٤٧ ، الزمر : ١٨ ، الأحقاف : ٢٩ ، الطور : ٣٨ ، طه : ١٣ ، ق : ٤١ ، الأعراف : ٢٠٤ ، الحج : ٧٣ .
٤.	اسْتَمِعَ	افْتَعَلَ		
٥.	يَسْتَمِعُ	يَفْتَعِلُ	٣	الأنعام : ٢٥ ، محمد : ١٦ ، الجن : ٩ .
٦.	يَسْتَمِعُونَ	يَفْتَعِلُونَ	٦	يونس : ٤٢ ، الإسراء : ٤٧ ، الزمر : ١٨ ، الأحقاف : ٢٩ ، الطور : ٣٨ .
المجموع الكلي			٢٩	

ملحق رقم ( ٨ ) يبين نسب الأفعال (( الماضوية والمضارعية والأمرية )) الأفعال السمع في القرآن الكريم

أولاً : الفعل المضارع :

ت	الفعل	تكراره	مواضع وروده
١.	يَسْمَعُ	٦٢	طه : ٤٦ ، مريم : ٩٨ ، طه : ١٠٨ ، المنافقون : ٤ ، الغاشية : ١١ ، آل عمران : ١٨٦ ، فصلت : ٤٦ ، الأنفال : ٢ ، القصص : ٧١ ، الزخرف : ٨٠ ، الملك : ١٠ ، البقرة : ١٧١ ، التوبة : ٦ ، مريم : ٤٢ ، الأنبياء : ٤٥ ، الجاثية : ٨ ، المجادلة : ١ ، لقمان : ٧ ، الجاثية : ٨ ،

المجادلة : ١ ، لقمان : ٧ ، الأعراف : ١٩٨ ، فاطر : ١٤ ، البقرة : ٧٥ ، الأنعام : ٣٦ ، الأعراف : ١٠٠ ، ١٧٩ ، ١٩٥ ، الأنفال : ١٢١ ، يونس : ٦٧ ، النحل : ٦٥ ، مريم : ٦٢ ، الأنبياء : ١٠٠ ، الحج : ٤٦ ، الفرقان : ٤٤ ، الروم : ٢٣ ، السجدة : ٢٦ ، فصلت : ٤ ، ق : ٤٢ ، الواقعة : ٢٥ ، النبأ : ٣٥ ، الشعراء : ٧٢ ، يونس : ٤٢ ، النحل : ٨٠ ، ٨٠ ، ٨١ ، الروم : ٥٢ ، ٥٢ ، ٥٣ ، الزخرف : ٤٠ ، فاطر : ٢٢ ، الصافات : ٨ ، الشعراء ، ٢٥ ، الأنعام : ٢٥ ، محمد : ١٦ ، الجن : ٩ ، يونس : ٤٢ ، الإسراء : ٤٧ ، ٤٧ ، الزمر : ١٨ ، الأحقاف : ٢٣ ، الطور : ٣٨			
الأنعام : ١١٣ .	١	تصغي	٢ .
	٦٣	المجموع الكلي	
ثانيا : الفعل الماضي :			
مواضع وروده	تكراره	الفعل	ت
آل عمران : ١٨١ ، المجادلة : ١ ، يوسف : ٣١ ، النساء : ١٤٠ ، النور : ١٢ ، ١٦ ، البقرة : ٩٣ ، ٢٨٥ ، آل عمران : ١٩٣ ، النساء : ٤٦ ، ٤٦ ، المائدة : ٧ ، الأنفال : ٢١ ، ٣١ ، الأنبياء : ٦٠ ، المؤمنون : ٢٤ ، النور : ٥١ ، القصص : ٣٦ ، السجدة : ١٢٠ ، الأحقاف : ٣٠ ، الجن : ١ ، ١٣ .	٢٢	سَمِعَ	١ .
الانشقاق : ٢ ، ٥ ، الأعراف : ١٦٧ ، إبراهيم : ٧ ، فصلت : ٤٧ .	٥	أذِنَ	٢ .
المائدة : ٧١ ، ٧١ ، محمد : ٢٣ .	٣	صَمَّوْا	٣ .
التحريم : ٤ .	١	صَغَى	٤ .
	٣١	المجموع الكلي	

ثالثا : فعل الأمر :

ت	الفعل	تكراره	مواضع وروده
١.	سَمِعَ	١٠	الكهف : ٢٦ ، مريم : ٣٨ ، الجن : ١ ، الأنبياء : ٢ ، طه : ١٣ ، ق : ٤١ ، الأعراف : ٢٠٤ ، الحج : ٧٣ ، الأعراف : ٢٠٢ ، الأحقاف : ٢٩ .
٢.	أَدْن	٢	البقرة : ٢٧٩ ، الحج : ٢٧ .
٣.	تَحَسَّسُوا	١	يوسف : ٧٨ .
٤.	أَنْصَتُوا	٢	الأعراف : ٢٠٤ ، الأحقاف : ٢٩ .
	المجموع الكلي	١٥	
المجموع الكلي : ١٠٩ فعلا مضارعا وماضيا وأمرأ .			

ملحق رقم (٩-أ) يبين مواضع ورود فعل (( السَّمْع )) الذي لم يفصل بين الفعل

والفاعل والمفعول به

(( آل عمران : ١٨١ ، المجادلة : ١ ، يوسف : ٣١ ، النساء : ١٤٠ ، النور : ١٢ ، ١٦ ، البقرة : ١٨١ ، المائدة : ٨٣ ، القصص : ٥٥ ، فاطر : ١٤ ، القلم : ٥١ ، المنافقون : ٤ ، الزخرف : ٨٠ ، التوبة : ٦ ، الجاثية : ٨ ، لقمان : ٧ ، فاطر : ١٤ ، البقرة : ٧٥ ، الأنبياء : ١٠٢ ، ق : ٤٢ ، الشعراء : ٧٢ ، يونس : ٤٢ ، النمل : ٨٠ ، الروم : ٥٢ ، الزخرف : ٤٠ ، الأنبياء : ٢ ، الزمر : ١٨ ، الأحقاف : ٢٩ )) .  
المجموع : ٣٠ .

ملحق رقم (٩-ب) يبين مواضع ورود فعل (( السَّمْع )) الذي فصل بينه وبين المفعول

به الجار والمجرور

(( الفرقان : ١٢ ، الملك : ٧ ، طه : ١٠٨ ، المنافقون : ٤ ، الغاشية : ١١ ، آل عمرتن : ١٨٩ ، فصلت : ٢٦ ، الواقعة : ٢٥ ، النبأ : ٣٥ ، الصافات : ٨ ، الأنعام : ٢٥ ، محمد : ١٩ ، يونس : ٤٢ ، الإسراء : ٤٧ )) .  
المجموع : ١٤ .

ملحق رقم ( ١٠ ) يبين ظاهرة اقتران السمع بالبصر وتقديم السمع وتأخيرته على

### البصر

أولاً : مواضع اقتران السمع بالبصر :

(( الأعراف : ١٧٩ ، ١٩٥ ، البقرة : ١٠٤ ، الكهف : ٢٦ ، هود : ٢٤ ،  
الزخرف : ٤٠ ، طه : ٤٦ ، مريم : ٤٢ ، المجادلة : ١ ، النساء : ٤٦ ، مريم : ٣٨ ،  
هود : ٢٠ ، النمل : ٧٨ ، الإسراء : ٣٦ ، المؤمنون : ٧٨ ، السجدة : ٢٦ ، ق : ٣٧ ،  
الملك : ٢٧ ، الأحقاف : ٣٦ ، الأنعام : ٤٦ ، فصلت : ٢٢ ، البقرة : ٧ ، ٢٠ ،  
النحل : ١٨٠ ، فصلت : ٢٠ ، الأحقاف : ٢٦ ، الحج : ٦١ ، الإسراء : ١ ، لقمان : ٢٨ ،  
غافر : ٢٠ ، ٥٦ ، النساء : ٥٨ ، ١٣ ، الإنسان : ٢ ، الشورى : ١٨ ، الزخرف :  
٤٠ ، الحج : ٧٥ ، النساء : ٤٦ ، مريم : ٩٨ )) .

المجموع : ٣٩ موضعاً .

ثانياً : مواضع تقديم السمع على البصر :

(( الحج : ٧٥ ، طه : ٤٦ ، مريم : ٤٢ ، المجادلة : ١ ، النساء : ٤٦ ، مريم :  
٣٨ ، هود : ٢٠ ، النحل : ٧٨ ، البقرة : ٧ ، ٢٠ ، النحل : ١٠٨ ، فصلت : ٢٠ ،  
الأحقاف : ٢٦ ، الحج : ٦١ ، الإسراء : ١ ، لقمان : ٢٨ ، الإسراء : ٣٦ ، المؤمنون :  
٧٨ ، السجدة : ٢٦ ، ق : ٣٧ ، الملك : ٢٣ ، الأحقاف : ٢٦ ، الأنعام : ٤٦ ، غافر :  
٢٠ ، ٥٦ ، النساء : ٥٨ ، ١٣ ، الإنسان : ٢ ، الشورى : ١٨ ، الزخرف : ٤٠ ،  
النساء : ٤٦ ، مريم : ٩٨ )) .

المجموع : ٣٢ موضعاً .

ثالثاً مواضع تقديم البصر على السمع :

(( السجدة : ١٢ ، مريم : ٩٨ ، الأعراف : ١٧٩ ، ١٩٥ ، البقرة : ١٠٤ ،  
الكهف : ٢٦ ، هود : ٢٤ )) .

المجموع : ٧ مواضع .

ملحق رقم ( ١١ ) يبين ظاهرة اقتران السميع بالعليم والتي قدّم السميع بالمواضع كلها  
( ( البقرة : ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٨١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، آل عمران :  
٣٤ ، ٣٥ ، ١٢١ ، المائدة : ٧٦ ، الأنعام : ١٣ ، ١١٥ ، الأعراف : ٢٠٠ ، الأنفال :  
١٧ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٩٨ ، التوبة : ١٠٣ ، يونس : ٦٥ ، يوسف : ٣٤ ، الأنبياء :  
٤ ، النور : ٦٠ ، ٢١ ، الشعراء : ٢٢٠ ، العنكبوت : ٥ ، ٦٠ ، فصلت : ٣٦ ،  
الدخان : ٦ ، الحجرات : ١ ، النساء : ١٤٨ ) .

المجموع : ٣٢ موضعا .

ملحق رقم ( ١٢ ) يبين مواطن اقتران السمع بالفؤاد والتي تدقم فيها السمع جميعها  
وهي المواضع نفسها التي اقترن بها السمع بالبصر والفؤاد  
( ( النحل : ٧٨ ، الإسراء : ٣٦ ، المؤمنون : ٧٨ ، السجدة : ٩ ، الملك : ٢٣ ،  
الأحقاف : ٢٦ ، ٢٦ ) .  
المجموع : ٧ مواضع .

ملحق رقم ( ١٣ ) يبين مواطن اقتران السمع بالقلب والتي قدّم القلب فيها غير مرة  
واحدة تقدم فيها السمع على القلب  
( ( الحج : ٤٦ ، ق : ٣٧ ، البقرة : ٧ ، الأنعام : ٤٦ ، الأعراف : ١٠٠ ،  
الأعراف : ١٧٩ ، الحج : ٤٦ ، البقرة : ٩٣ ، أما الموضعان اللذان تقدم فيهما السمع  
على القلب فهما : النحل : ١٠٨ ، الجاثية : ٢٣ ) .



ملحق رقم ( ١٤ ) يبين مواطن حذف مفعول سمع

(( البقرة : ٩٣ ، ٢٨٥ ، ٤٦ ، النساء : ٤٦ ، المائدة : ٧ ، الأنفال : ٢١ ،  
٣١ ، الأنبياء : ٦٠ ، النور : ٥١ ، السجدة : ١٢ ، طه : ٤٦ ، الأنفال : ٢٠ ، القصص  
: ٧١ ، الملك : ١٠ ، مريم : ٤٢ ، الأعراف : ١٩٨ ، الأنعام : ٣٦ ، الأنفال : ٢١ ،  
يونس : ٦٧ ، النحل : ٦٥ ، الأنبياء : ١٠٠ ، الفرقان : ٤٤ ، الروم : ٢٣ ، السجدة :  
٢٦ ، فصلت : ٤ ، النساء : ٤٦ ، البقرة : ٩٣ ، المائدة : ١٠٤ ، التغابن : ١٦ ،  
يس : ٢٥ ، الكهف : ٢٦ ، الجن : ١ ، الشعراء : ٢٥ ، محمد : ٢٦ ، يونس : ٤٢ ،  
ق : ٤١ )) .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم  
أولاً: المخطوطات

- ديوان القطامي، محفوظة في مكتبة أمير المؤمنين العامة في النجف الاشرف  
برقم ٣٣٠٢٥

#### ثانياً: المطبوعات

- الإبدال : أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ، تح : عز الدين التنوخي ،  
نشر : مجمع اللغة العربية – دمشق ، (د.ط) (د.ت) .
- أبنية الصرف في كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي ، مط : مكتبة النهضة – بغداد ،  
(د.ط) (١٩٦٥) .
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر : العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد  
بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء ، وضع حواشيه الشيخ : انس  
مهرة ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: ٣ ، (د.ت)
- أدب الكاتب : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المرزوقي الدينوري ،  
تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مط : السعادة مصر ، ط : ٣ (١٩٦٣) .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان يوسف بن علي الأندلسي ، تح :  
مصطفى أحمد النحاس ، مط : النسر الذهبي ، (د.ط) (د.ت) .
- إرشاد الفحول : محمد بن علي بن محمد ، مط : مصطفى البابي الحلبي وأولاده –  
مصر ، ط : ١ (د.ت) .
- أساس البلاغة : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، تح :  
محمد باسل عيون السود ، مط : مطابع الرسالة – الكويت ، ط : ٣ (١٩٨٠) .
- أساليب التوكيد في القرآن الكريم : عبد الرحمن المطردي ، مط : دار الجماهيرية  
للنشر والتوزيع والإعلان – ليبيا ، (د.ط) (١٩٨٦) .
- أسلوبا النفي والاستفهام في العربية في منهج وصفي في التحليل اللغوي : د. خليل  
أحمد عميرة .
- أسماء الله الحسنى ( دراسة بالبنية والدلالة ) : د. أحمد مختار عمر ، مط : عالم  
الكتب ، ط : ١ (١٩٩٧) .
- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : ركن الدين محمد بن علي بن محمد

- الجرجاني ، تح : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط: ١ (٢٠٠٢) .
- اشتقاق أسماء الله الحسنى : أبو القاسم عبد الرحمن إسحاق الزجاج ، تح : عبد الحسين مبارك ، مط : النعمان ، ط: ١ (د.ت) .
  - الأصوات اللغوية : د.إبراهيم أنيس ، مط : الأنجلو المصرية – القاهرة .
  - أصول الرضي : الإمام الفقيه النظار أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسي ، تح : أبي الوفاء الأفغاني ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: ١ (٢٠٠٥) .
  - الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : د. عبد الحميد أحمد يوسف ، مط : المكتبة العصرية – بيروت ، ط: ١ (د.ت) .
  - إعجاز القرآن في حواس الإنسان في ضوء الطب وعلوم القرآن والحديث : د. محمد كمال عبد العزيز ، مكتبة القرآن – القاهرة ، (د.ط) (د.ت) .
  - الإعجاز القصصي في القرآن : د. عطية علي مطاوع ، مط : دار الآفاق العربية ، ط: ١ (٢٠٠٦) .
  - إعراب القرآن : أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ، تح : د. زهير غازي زاهد ، مط : النهضة العربية – بغداد ، ط: ٢ (١٩٨٥) .
  - إعراب القرآن : محمد جعفر الكرباسي ، مط : منشورات دار مكتبة الهلال – بيروت ، ط: ١ (٢٠٠١) .
  - إعراب القرآن : المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق ودراسة : إبراهيم الأبياري ، مط : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة ، (د.ط) (د.ت) .
  - أقرب الموارد إلى فصيح العربية والشوارد : العلامة السيد الخوري الشر توتي اللبناني ، (د.ط) (د.ت) .
  - الألفاظ الكتابية : عبد الرحمن بن عيسى الهمداني الكاتب ، راجعه وقدم له د. السيد الجميلي ، مط : دار الكتاب العربي – بيروت ، ط: ٢ (١٩٩١) .

- الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل : العلامة الفقيه المفسر الشيخ : ناصر مكارم الشيرازي ، مط : دار إحياء التراث ، بيروت – لبنان ، ط:١ (٢٠٠٢) .
- امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة : إيليا الحاوي ، مط : دار الثقافة – بيروت ، ط:١ (دب) .
- إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، تح : إبراهيم عطوة عوض ، مط : مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ، ط:٢ (١٩٦٩) .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين : كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مط : السعادة – مصر ، ط:٣ (١٩٥٥) .
- أنوار الربيع في أنواع البديع : السيد علي صدر الدين معصوم المدني ، حققه وترجم لشعرائه : شاكر هادي شكر ، مط : النعمان – النجف الأشرف ، ط:١ (١٩٦٨) .
- أوزان الفعل ومعانيها : د. هاشم طه شلاش ، مط : الآداب – النجف الأشرف ، (دب) (دب) .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مط : السعادة – مصر ، ط:٤ (١٩٥٦) .
- البحث النحوي عند الأصوليين : د. مصطفى جمال الدين ، مط : دار الرشيد – بغداد ، ط:١ (دب) .
- البحر المحيط : أثير الدين أبو حيان عبد الله يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي ، مط : مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، (دب) (دب) .

- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، خرّج حديثه وقدّم له وعلّق عليه : مصطفى عبد القادر عطا ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: ١ (١٩٨٨) .
- البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان : محمد بن حمزة الكرمانى ، تح : ناصر بن سليمان العمر ، (د.مط) (د.بط) (د.بت) .
- بصائر نوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تح : محمد علي النجار ، مط : دار التحرير للطباعة والنشر – القاهرة ، (د.بط) (د.بت) .
- بلاغة أرسطو بين العرب واليونان : د. إبراهيم سلامة ، مط : مخيمر ، ط: ٢ (١٩٥٢) .
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : د. فاضل السامرائي ، مط : دار الشؤون الثقافية – بغداد ، ط: ١ (د.بت) .
- البناء الصوتي في البيان القرآني : د. محمد حسن شرشر ، مط : دار الطباعة المحمدية – القاهرة ، ط: ١ (١٩٩٨) .
- البيان في روائع القرآن ( دراسة لغوية وأسلوبية ) : د. تمام حسان ، مط : عالم الكتب ، ط: ٢ (٢٠٠٠) .
- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، مط : الخانجي – القاهرة ، (د.بط) (د.بت) .
- التبيان في أقسام القرآن : شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بـ( ابن قيم الجوزية ) ، تح : طه يوسف شاهين ، مط : دار الكتاب العربي – القاهرة ، (د.بط) (د.بت) .
- التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تح : أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب القصير ، مط : العلمية – النجف الأشرف ، (د.بط) (د.بت) .
- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن : ابن الزملكاني ، تح : د. خديجة

- الحديثي و د. أحمد مطلوب ، مط : العاني – بغداد ، ط: ١ (١٩٦٤) .
- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، مط : عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ط: ١ (١٩٦٤) .
- تجويد القرآن الكريم ( أسسه وتطبيقاته ورموزه وضبطه ) : عامر سعيد ، مط : مكتبة الفلاح – الكويت ، ط: ١ (١٩٨٢) .
- التجويد الميسر : عبد العزيز عبد الفتاح ، مط : دار الأرقم – الكويت ، ط: ٢ (١٩٨٠) .
- التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم : د. رابح بوحش ، مط : مكتبة الأداب – القاهرة ، ط: ١ (٢٠٠٦) .
- تصريف الأسماء والأفعال : د. فخر الدين قباوة ، مط : جامعة حلب ، (د.ط) (١٩٧٨) .
- التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، مط : دار المعارف ، (د.ط) (١٩٦٣) .
- التعبير القرآني : د. فاضل السامرائي ، مط : المكتبة الوطنية – بغداد ، (د.ط) (١٩٩٨) .
- التعريفات : أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني ، مط : التونسية للنشر ، (د.ط) (١٩٧١) .
- تفسير البيضاوي : المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل : إمام المحققين وقادة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: ١ (٢٠٠٢) .
- تفسير الثعالبي المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن : عبد الرحمن بن محمد الثعالبي المالكي ، حقق أصوله وعلق عليه وحرّج أحاديثه الشيخ : محمد معوض الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أو سنه ، مط : دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، ط: ١ (١٩٩٧) .
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب : الإمام فخر الدين

- الرازي أبي عبد الله محمود بن عمر بن الحسين القرشي ، مط : الهيئة المصرية – مصر ، ط:١ (١٩٣٨) .
- تفسير المراغي : صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير المرحوم : أحمد مصطفى المراغي ، مط : مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ، ط:٢ (١٩٥٣) .
  - تقريب النشر في القراءات العشر : أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ( ابن الجزري ) ، صححه وراجعاه : علي محمد الضياع ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) (د.ت) .
  - تفسير غرائب و رغائب الفرقان : العلامة نظام الدين الحسن النيسابوري ، وضبطه وحققه الشيخ : زكريا عمير ، مط : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:١ (١٩٨٧) .
  - التكملة : أبو علي الفارسي ، تحقيق ودراسة : د. كاظم بحر المرجان ، مط : دار الكتب للطباعة والنشر – الموصل ، ط:١ (١٩٨١) .
  - التمهيد في علوم القرآن : محمد هادي معرفة ، مط : مؤسسة النشر الإسلامي ، ط:٣ (٢٠٠٥) .
  - تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن محمد الأزهري ، تح : عبد السلام هارون وآخرين ، مط : المؤسسة العامة للتأليف والأنباء والنشر – القاهرة ، ط:٢ (١٩٧٠) .
  - التيسير في القراءات السبع : أبو عمر عثمان بن سعيد بن عثمان الداني ، تح : أوتو بوتزل ، مط : الدولة ، (د.ط) (د.ت) .
  - الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور : ضياء الدين بن الأثير ، قام بتحقيقه والتعليق عليه ، د. مصطفى جواد و د. جميل سعيد ، مط : المجمع العلمي العراقي ، (د.ط) (د.ت) .
  - الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تصحيح : أحمد عبد العليم البردوني ، مط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ،

ط:٢ (٢٠٠٤) .

- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال ، مط : الرشيد للنشر - بغداد ، ط:١ (١٩٨١) .
- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير : د. أحمد ياسوف : دار المكتبي ، سوريا - دمشق ، ط:١ (د.ت) .
- الجمانة في شرح الخزانة : الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني ، مط : مكتبة دار البيان - بغداد ، ط:١ (د.ت) .
- الجنى الداني في حروف المعاني : علي بن قاسم المرادي ، تح : طه محسن ، مط : مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع - الموصل ، (د.ط) (١٩٧٦) .
- حاشية ابن المجيد : مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي ، ضبطه وخرّج آياته : عبد الله محمود محمد عمر ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط:١ (٢٠٠١) .
- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل : محمد الخضري ، مط : دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، (د.ط) (د.ت) .
- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي : للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي على تفسير البيضاوي للإمام أبي سعيد الدين عبد الرحمن بن عمر ابن محمد ، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق مهدي ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط:١ (١٩٩٧) .
- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين : شرح الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي المالكي ، تح : محمد عبد السلام شاهين ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط:٤ (٢٠٠٦) .
- حاشية الصباني على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : محمد بن علي الصبان ، مط : دار إحياء الكتاب العربي ، (د.ط) (د.ت) .
- حاشية القنونوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي على تفسير الإمام



البيضاوي ، ضبطه وصححه وخرّج آياته عبد الله محمود محمد عمر ، مط : دار  
الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: ١ (٢٠٠١) .

● حاشية محيي الدين الشيخ زاده : محمد بن مصلح الدين الشيخ مصطفى القوجي  
الحنفي على تفسير القاضي البيضاوي ، ضبطه : محمد عبد القادر شاهين ، مط :  
دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: ١ (١٩٩١) .

● خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر عمر البغدادي ، تحقيق وشرح :  
عبد السلام هارون ، مط : مكتبة الخانجي – القاهرة ، دار الرافعي ، ط: ١  
(١٩٩٨) .

● الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : حامد المؤمن ، مط : النعماني –  
بغداد ، (د.ط) (د.ت) .

● دراسات في الأدوات النحوية : مصطفى النحاس ، مط : الربيعات – الكويت ،  
ط: ١ (د.ت)

● دراسة الصوت اللغوي : د. أحمد مختار عمر ، مط : عالم الكتب – القاهرة ،  
ط: ٤ (١٩٧٣) .

● دراسة المعنى عند الأصوليين : د. طاهر سلمان حموده ، مط : الدار الجامعية ،  
(د.ط) (د.ت) .

● الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : الإمام شهاب الدين أبو العباس بن يوسف  
بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي ، تح : الشيخ علي معوض والشيخ  
أحمد عبد الموجود و د. جاد مخلوق جاد وزكريا عبد المجيد النوتي ، قدّم له  
وقرضه د. أحمد محمد خير ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: ١  
(١٩٩٤) .

● دفاع عن البلاغة : أحمد حسن الزيات ، مط : الرسالة – القاهرة ، ط: ٣ (١٩٤٥)

● دقائق العربية : أمين آل ناصر الدين ، بيروت (١٩٥٣) .

- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، صحح أصله : محمد عبد والأستاذ اللغوي : محمد محمود التزكري ، وقف على تصحيحه وطبعه : محمد رشيد رضا ، مط : المنار – مصر ، ط:٣ (١٣٦٧هـ) .
- دلالة الألفاظ : د. إبراهيم أنيس ، مط : الأنجلو المصرية – القاهرة ، (د.ط) (١٩٩٩) .
- الدلالة الزمنية في الجملة العربية : د. علي جابر المنصوري ، مط : الجامعة – بغداد ، (د.ط) (١٩٨٤) .
- دور الكلمة في اللغة : استيفان أولمان ، تر : د. كمال محمد بشر ، (د.ط) (د.ت) .
- ديوان الراعي النميري : دراسة وتحقيق : د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي ، مط : المجمع العلمي العراقي ، (د.ط) (١٩٨٠) .
- ديوان زهير بن أبي سلمى : صنعه أحمد الشنتمري ، تح : د. فخر الدين قباوة ، مط : المكتبة العربية بحلب ، ط:١ (١٩٧٠) .
- ديوان طرفة بن العبد : دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت ، (د.ط) (١٩٦١) .
- ديوان الطرمّاح : تح : د. عزّة حسن ، مط : مديرية إحياء التراث القديم – دمشق ، (د.ط) (١٩٦٨) .
- الرسم واللون: محيي الدين طابو.
- الرعاية : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، تح : أحمد حسن فرحات ، دار المعارف للطباعة – دمشق ، (د.ط) (١٩٨٣) .
- روح البيان : الشيخ إسماعيل حنفي البروسوي ، مط : العثمانية ، (د.ط) (٢٠٠٣) .
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط:٢ (٢٠٠٥) .
- سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، شرح وتحقيق : عبد المتعال الصعيدي ، مط :

- محمد علي صبيح ، ط: ١ (١٩٦٩) .
- سر صناعة الإعراب : صنعه أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : مصطفى السقا  
ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مط : مصطفى البابي الحلبي  
وأولاده - مصر ، ط: ١ (١٩٥٤) .
- الشخصية الإسلامية ( دراسة فنية ) : د. عائشة عبد الرحمن ، مط : دار العلم  
للملايين ، بيروت - لبنان ، ط: ٢ (١٩٧٧) .
- شذا العرف في فن الصرف : الاستاذ الشيخ أحمد الحملوي ، مط : مصطفى  
الحلبي القاهرة ، ط: ٦ (١٩٦٥) .
- شرح ابن عقيل : قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري  
الهذاني ، مط : أمير - قم ط: ١ (١٩٧٢) .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مط :  
السعادة - مصر ، ط: ١ (١٩٥٥) .
- شرح التصريح على التوضيح : خالد عبد الله الأزهري ، مط : دار إحياء التراث  
- الاستقامة - مصر ، (د.ط) (١٩٨٠) .
- شرح الجمل للزجاجي : علي المؤمن المعروف بابن عصفور ، تح : د. صاحب  
أبي جناح ، مط : إحياء التراث الإسلامي ، (د.ط) (١٩٨٠-١٩٨١) .
- شرح الحدود النحوية : عبد الله أحمد علي الفاكهي ، دراسة وتحقيق : د. زكي  
فهمي الألوسي ، مط : دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل ، (د.ط)  
(د.ت) .
- شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين الاستربادي مع شرح شواهد العالم عبد  
القادر البغدادي ، تح : محمد نور الحسن الزفزاف و محمد محيي الدين عبد الحميد  
، مط : حجازي - القاهرة ، ط: ١ (١٩٣٩) .
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام  
الأنصاري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط: ١ (١٩٦٧) .

- شرح قطر الندى وبل الصدى : تصنيف أبي محمد بعد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري ، مط : السعادة – مصر ، ط: ١١ (١٩٦٣) .
- شرح كافية ابن الحاجب : الإمام المحقق رضي الدين الاسترلابادي ، تحقيق وضبط وشرح محمد نور الحسن ومحمد الزفزراف محمد محيي الدين عبد الحميد ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) (١٩٧٥) .
- شرح المراح في التصريف : العلامة بدر الدين محمود بن محمد أحمد العيني ، تح : عبد الستار جواد ، (د.ط) (د.ت) .
- شرح المفصل : موفق الدين بن يعيش النحوي ، مط : عالم الكتب – بيروت ، (د.ط) (د.ت) .
- شرح المقدمة المحسبة : الطاهر أحمد بن بابشاذ ، تح : خالد عبد الكريم ، مط : العصرية – الكويت ، ط: ١ (١٩٧٧) .
- شرح ملحمة الإعراب : أبو القاسم بن علي الحريري البصري ، تح : د. فائز فارس ، مط : دار الأمل للنشر والتوزيع – الأردن ، ط: ١ (١٩٩١) .
- شرح الوافية نظم الكافية : أبو عمر عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، دراسة وتحقيق : د. موسى العلي ، مط : الآداب – النجف الأشرف ، ط: ١ (د.ت) .
- الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية : د. عبد السلام المسدي و د. عبد الهادي الطرابلسي ، مط : الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ط: ١ (د.ت) .
- الصاحب في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها : أحمد بن فارس ، تح : مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، (د.ط) (د.ت) .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري ، تح : عبد الغفور العطار ، مط : دار العلم للملايين ، ط: ١ (١٩٩٤) .
- الصرف الواضح : د. عبد الجبار النايله ، جامعة الموصل ، (د.ط) (١٩٨٨) .

- الصوت اللغوي في القرآن : د. محمد حسين الصغير ، مط : دار المؤرخ ، بيروت – لبنان ، ط:١ (٢٠٠٥) .
- الصورة السمعية في الشعر الجاهلي : د. صاحب خليل إبراهيم ، مط : دار السلام – بغداد ، ط:١ (٢٠٠٥) .
- الصيغ الزمنية في اللغة العربية : د. مالك المطليبي ، مط : دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط:١ (١٩٨٦) .
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) (١٩٨٢) .
- علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر ، مط : مكتبة العروبة ، ط:١ (١٩٨٢) .
- علم اللغة ( مقدمة للقارئ العربي ) : د. محمود السعران ، مط : مرك – الإسكندرية ، (د.ط) (١٩٦٢) .
- علوم البلاغة ( البيان والمعاني والبديع ) : أحمد مصطفى المراغي ، مط : دار القلم – بيروت ، ط:٢ (د.ت) .
- الفعل زمانه وأبنيته : د. إبراهيم السامرائي : مط : مؤسسة الرسالة ، (د.ط) (د.ت) .
- فقه اللغة وخصائص العربية:محمد المبارك،دمشق،ط:٢(١٩٦٤)
- فن التجويد : إعداد عزة عبيد ، مط : الميناء – بغداد ، (د.ط) (د.ت) .
- في التراكيب اللغوية في الشعر العربي المعاصر : مالك المطليبي ، مط : دار الرشيد – بغداد ، ط:١ (د.ت) .
- في النحو العربي ( نقد وتوجيه ) : د. مهدي المخزومي ، مط : دار الرائد ، بيروت – لبنان ، ط:٢ (١٩٨٦) .
- الكتاب : تأليف سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، مط : دار الكتب – بيروت ، ط:١ (١٩٧٩-١٩٨٣-١٩٨٨) .

- كتاب الأزهية في علم الحروف : علي بن محمد النحوي الهروي ، تح : عبد المعين المومي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط: ١ (١٩٧١) .
- كشف اصطلاحات الفنون : محمد علي الغارفي التهانوي ، تح : لطفي عبد البديع ، مط : المؤسسة المصرية ، (د.ط) (١٩٦٣) .
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل : تأليف الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، تح : محمد عبد السلام شاهين ، مط دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: ٣ (٢٠٠٣) .
- اللامات : لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تح : د. مازن المبارك ، مط : الهاشمية – دمشق ، (د.ط) (١٩٦٩) .
- اللباب في علوم الكتاب : الإمام المفسر أبي حفص الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: ١ (١٩٩٨) .
- لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفرريقي المصري ، مط : دار صادر – بيروت ، ط: ٤ (١٩٥٥) .
- اللغة العربية معناها ومبناها : د. تمام حسان ، مط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.ط) (١٩٧٣) .
- اللغة والمجتمع ( رأي ومنهج ) : د. محمود السعران ، مط : دار المعارف – الإسكندرية ، (د.ط) (١٩٦٠) .
- لهجة تميم وأثرها في اللغة العربية الموحدة : د. فاضل غالب المطلبي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية ، (د.ط) (د.ت) .
- مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي ، عارضه بأصوله وعلق عليه : د. محمد فؤاد سكرين ، مط : الخانجي ، دار الفكر ، ط: ٢ (١٩٧٠) .
- مجمع البحرين: للعلامة المحدث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي، منشورات دار و مكتبة الهلال (١٩٨٥).

- مجمع البيان في تفسير القرآن : أمين الأسلام أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي ، تح : لجنة من العلماء الإخصائيين ، مط : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط: ١ (١٩٩٥) .
- المحرر الوجيز في الكتاب العزيز : للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: ١ (٢٠٠١) .
- المحصّل : أبو عبد الله محمد بن محمد بن حسين فخر الدين الرازي ، مط : أمير – قم ، ط: ١ (١٩٩٩) .
- محاضرات في علم الصرف : د. علي جابر المنصوري وعلاء هاشم الخفاجي ، مط : التعليم العالي في الموصل ، ط: ١ (د.ت) .
- المخالفة : أبو بكر بن السراج النحوي البغدادي ، تح : د. عبد الحسين الفتلي ، مط : النعمان – النجف الأشرف ، (د.ط) (١٩٧٣) .
- المدخل الى علم أصوات العربية : د. غانم قدوري ، مط : المجمع العلمي العراقي ، (د.ط) (٢٠٠٣) .
- المدخل إلى علم اللغة ( ومناهج البحث اللغوي ) : د. رمضان عبد التواب ، مط : دار الرفاعي – مصر ، ط: ١ (١٩٨٢) .
- مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم : د. عماد الدين خليل ، مط : الزهراء ، عراق – موصل ، ط: ٢ (١٩٥٢) .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : للعلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تح : محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، مط : دار إحياء الكتب العربية ، ط: ٤ (١٩٨٥) .
- مشكل إعراب القرآن : أبو محمد مكي بن أبي طالب ، دراسة وتحقيق : حاتم صالح الضامن ، مط : دار الحرية للطباعة ، (د.ط) (١٩٧٥) .

- المطالع السعيدة في شرح المفيدة : جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي ،  
تح : د. نبهان ياسين حسين ، مط : دار السالة للطباعة – بغداد ، (د.ط) (١٩٧٧)
- المطول : للعلامة سعد الدين سعود بن عمر التافازاني ، تح : د. عبد الحميد  
هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط:١ (٢٠٠١) .
- مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة : د. نعمة رحيم العزاوي ، مط : درا  
الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط:١ (١٩٩٨) .
- معاني الأبنية في العربية : د. فاضل السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره  
، ط:١ (١٩٨١) .
- معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن الفراء ، تح : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي  
النجار ، مط : دار الكتب المصرية ، (د.ط) (١٩٥٥) .
- معاني القرآن : الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي ، دراسة وتحقيق : د.  
عبد الأمير محمد أمين الورد ، مط : عالم الكتب – بيروت ، مكتبة النهضة  
العربية ، ط:١ (١٩٨٥) .
- معاني القرآن الكريم : الإمام أبو جعفر النحاس ، تح : الشيخ محمد علي الصابوني  
، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مركز إحياء التراث الإسلامي  
، ط:١ (١٩٩٨) .
- معاني القرآن وإعرابه : أبو إسحاق الزجاج ، شرح وتحقيق : د. عبد الجليل  
الشبلي ، خرّج أحاديثه : علي جمال الدين محمد ، مط : دار الحديث – القاهرة ،  
(د،ط) (٢٠٠٣) .
- المعاني في ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ، مط : دار الفكر للنشر  
والتوزيع – عمان ، (د.ط) (١٩٨٥) .



- معترك الأقران في إعجاز القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تح : محمد علي البجاوي ، مط : دار الفكر العربي – دار الثقافة العربية ، (د.ط) (١٩٦٩) .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، مط : دار الحديث – القاهرة ، ط:٢ (١٩٩٨) .
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (د.ط) (د.ت) .
- مفاتيح السعادة : لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) (د.ت) .
- مفاهيم القرآن : جعفر السبحاني ، مط : الإمام الصادق – قم ، ط:٣ (٢٠٠٠) .
- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد بن علي السكاكي ، تح : عثمان يوسف ، مط : دار الرسالة – بغداد ، ط:١ (١٩٨٤) .
- المفردات في غريب القرآن : العلامة الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ، الناشر : نور محمد ، آرماغ فيروز آبادي ، كراچي ، ط:٣ (١٩٨٧) .
- المفصل في علم العربية : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، مطبعة التقدم ، مصر ، ط:١ (١٣٢٣هـ) .
- المقتصد في شرح الإيضاح : عبد القاهر الجرجاني ، تح : د. كاظم بحر المرجان ، مط : دار الرشيد للنشر – بغداد ، (د.ط) (د.ت) .
- المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد ، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، مط : مؤسسة الأعلمی للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة ، (د.ط) (١٣٨٦هـ) .
- مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون ، تح : عبد الواحد وافي ، مط : لجمة

- البيان العربي – القاهرة ، ط:٣ (١٩٦٥) .
- المقرّب : علي بن عصفور ، تح : د. أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبوري ، مط : العاني – بغداد ، ط:١ (١٩٧١) .
- ملاك التأويل بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه متشابه اللفظ في آي التنزيل : أبو جعفر أحمد الزبير الغناطي ، تح : محمد كامل أحمد ، ط : دار النهضة العربية – بيروت ، ط:١ (١٩٨٥) .
- مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان ، مط : دار الثقافة – مصر ، ط:٢ (١٩٧٤) .
- من بلاغة القرآن : أحمد بدوي طبانة ، مط : لجمة البيان العربي – القاهرة ، (د.ط) (١٩٥٠) .
- من قضايا اللغة:تالي الاستاذ الدكتورمصطفى النحاس،مطبوعات جامعة الكويت،ط:١(١٩٩٥)
- المنهج الصوتي للبنية العربية : د. عبد الصبور شاهين ، مط: مؤسسة الرسالة – بيروت ، (د.ط) (١٩٨٠) .
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن : عبد الأعلى السبزاوري ، مط : الديواني – بغداد ، ط:٣ (١٩٧٣) .
- موسيقى الشعر : د. إبراهيم أنيس ، مط : مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، ط:٤ (١٩٧٣) .
- نحو القرآن : د. أحمد عبد الستار الجوارى ، مط : المجمع العلمي العراقي – بغداد ، ط:١ (د.ت) .
- نحو المعاني : د. احمد عبد الستار الجوارى ، مط : المجمع العلمي العراقي – بغداد ، (د.ط) (١٩٨٧) .
- النحو الوافي : عباس حسن ، مط : دار المعارف – مصر ، ط:٥ (١٩٧٣) .

- النشر في القراءات العشر : أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ( ابن الجزري ) .  
صححه وراجعته : علي محمد الضياع ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق غالب مهدي ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط:٢ (٢٠٠٣) .
- النكت في إعجاز القرآن ( ضمن ثلاث رسائل في اللغة ) : أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، حققها وعلّق عليها : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، مط : دار المعارف – مصر ، (د.ب.ط) (د.ب.ت) .
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز في وجوه البلاغة والبيان وإعجاز القرآن الشريف : الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، مط : الآداب والمؤيد بمصر ، (د.ب.ط) (١٣١٧هـ) .
- نهاية المرام في علم الكلام : العلامة الحلي ، تح : فاضل العفان ، مط : اعتماد – قم ، ط:١ (د.ب.ت) .
- همع الهوامع شرح جمع جوامع في علم العربية : جلال الدين بن أبو بكر السيوطي ، تصحيح السيد محمد بدر الدين النسائي ، مط : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، (د.ب.ط) (د.ب.ت) .
- الوافي الحديث في فن التصريف : أبو زيد الأنصاري ، تحقيق ودراسة : عبد القادر أحمد ، مط : دار الشرق – بيروت ، ط:١ (١٩٨١) .
- الوجيز في فقه اللغة : محمد الأنطاكي ، مط : دار الشرق ، (د.ب.ط) (د.ب.ت) .

الرسائل الجامعية :

- الإطلاق والتقييد في النص القرآني ( دراسة دلالية ) : سيروان عبد الزهرة

- الجنابي ، رسالة ماجستير ، جامعة الكوفة – كلية الآداب ، مخروبة على الآلة الحاسبة ، (٢٠٠٢) .
- آيات العقل والقلب والألفاظ ذات الصلة : علي حسين عبد الله سلمان ، رسالة ماجستير – جامعة الكوفة – كلية الآداب ، مخروبة على الآلة الحاسبة ،
  - دلالة الفعل في القرآن الكريم : هاتف بريهي شياح ، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة – كلية الآداب ، مخروبة على الآلة الحاسبة ، (٢٠٠٠) .
  - الطب محراب الإيمان : خالص جلبي ، أطروحة دكتوراه، جامعة دمشق – كلية الطب ، مخروبة على الآلة الكاتبة (١٩٧١) .
  - القلب والإبدال : عادل أحمد زيدان ، أطروحة دكتورا ، جامعة بغداد – كلية الآداب ، مخروبة على الآلة الكاتبة (١٩٧٨) .
  - اللون في القرآن الكريم ( دراسة لغوية نحوية دلالية ) : نضال حسن سلمان ) ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة – كلية التربية ، مخروبة على الآلة الكاتبة (١٩٩٧) .
  - المصطلح الصوتي في العربية : عادل أحمد زيدان ، أطروحة دكتورا ، جامعة بغداد – كلية الآداب ، مخروبة على الآلة الكاتبة ، (١٩٧٨) .
  - نظرية المعرفة عند المعتزلة الأوائل : عقيل صادق زعلان الأسدي ، رسالة ماجستير ، جامعة الكوفة – كلية الآداب ، مخروبة على الآلة الحاسبة (٢٠٠٢) .
- الدوريات:

- مجلة الدار، العدد ١، سنة: ١٩٨٣، بحث بعنوان ((البحث الدلالي عند ابن جني)) د. عبد الكريم مجاهد عبد الرحمن.
- مجلة السدير ، العدد : ٦ ، سنة : ٢٠٠٤ ، بحث بعنوان ( الحيثية الاستعمالية لحروف المعاني في القرآن الكريم : مديحة خضير السلامي ) .
- مجلة المبين ، العدد : ١ ، سنة ٢٠٠٥ ، بحث بعنوان ( البصر في القرآن الكريم ) لغة ودلالة ) : د. نضال حسن سلمان ) .

- بحوث شبكة المعلومات العالمية((الانترنت))
- من سمات الأداء البياني في ثقافة العرب الأولين  
( ( الإيقاع ) ) : د. بلقاسم بلعرج بن أحمد . [www.litrture of Arabic.org](http://www.litrture of Arabic.org)